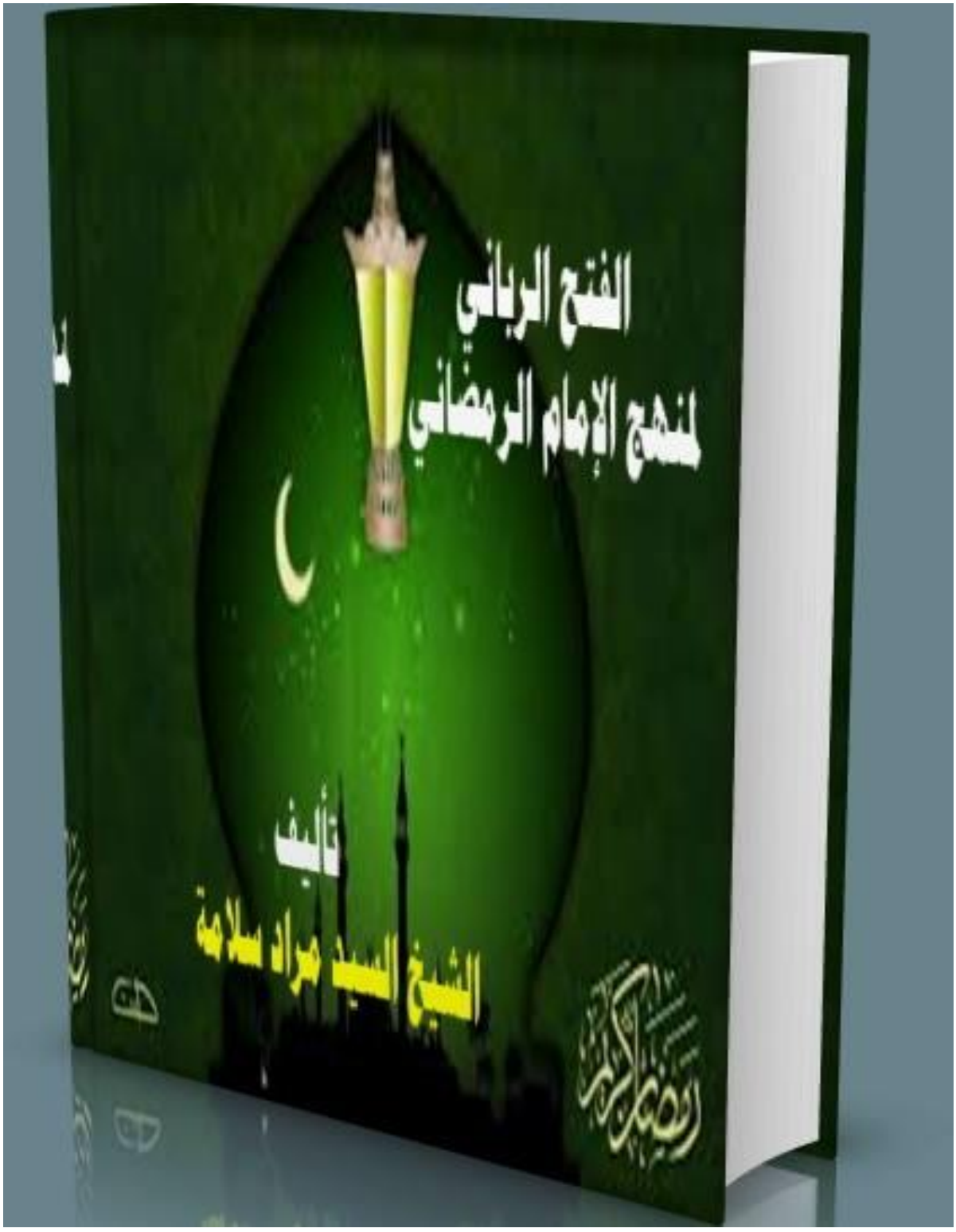
الفتح الرباني
لمنهج الإمام الرمضاني
تأليف
الشيخ السيد مراد سلامة
رمضان كريم

الفتح الرباني
لمنهج الإمام الرمضاني

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

حقوق الطبع والنشر

مكفولة لكل مسلم يبتغي الأجر والثواب

الناشر المكتبة المرادية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلا له، ومن يضلل فلا هادى له، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون} ([1]) {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}([2]) وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما *}([3])

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد – ﷺ – وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ([4]) وبـــــــــعد

أخي المسلم ٠٠ أختي المسلمة ٠٠٠ كل عام أنتم بخير فها هو شهر الخير والبركات، شهر التقوى والقرآن، شهر الصدقة والإحسان، قد هل على الأمة الإسلامية بل على الدنيا كلها يحمل لهم التحف والهدايا من رب البرايا، جاءهم ليطهرهم من الخطايا وينقيهم من الرزايا

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولا وفعلا وزادك فاتخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادما يوم الحصاد

وها هو منهج متواضع أضعه بين أيدي السادة العلماء الأجلاء من الأئمة والخطباء و سميته **{الفتح الرباني لمنهج الإمام الرمضاني}** والهدف من ذلك العمل هو تفريغ الإمام في هذا الشهر للعبادة والطاعة و قراءة القران و إراحته من عناء البحث في بطون الكتب عن مادة علمية للدرس أو لجلسة صلاة التراويح

منهجي في الكتاب

---

[1] – (آل عمران ١٠٢)

[2] – (النساء ١)

[3] – (الأحزاب ٧٠: ٧١)

[4] – هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه فالاستفتاح بها سنة

جاء المنهج في ثلاثة فصول:

* **الفصل الأول الوصايا الغراء للإمام في رمضان**

وفي هذا الفصل أسديت إلى علمائنا الفضلاء وصايا رمضانية تتعلق بالأداء وبالمعاملة مع الجمهور ،من باب قول الله تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل: ١٢٥]

* **الفصل الثاني ثلاثون ترويحة دروس وعبر:**

وذكرت في هذا الفصل ثلاثون قصة استنبطت من الدروس والعبر التي تشنف الأذان وترقق القلوب وتشحذ الهمم وتوقظ الغفلان

* **الفصل الثالث: ثلاثون درسا:**

وفي هذا الفصل وضعت بين يدي الإمام مادة علمية تحتوي على ثلاثين درسا تتعلق برمضان وبفوائده وبأحكامه، فهو عبارة عن روضة غناء يتنقل فيها الإمام مع جمهوره في كل يوم بدرس جديد وبمعلومة ونكتة علمية تأخذ بالأذان والألباب.

فالله تعالى اسأل أن ينفعنا وأن ينفع جميع المسلمين وأن يجعل ذلك في موازين الحسنات انه ولي ذلك والقادر عليه

إن شئت أن تحظى بجنَّة ربنا وتفوز بالفضل الكبير الخالد
فانهض لفعل الخير واطرق بابه تجد الإعانة من إلهٍ ماجد
واعكف على هذا الكتاب فإنه جمع الفضائل جمع فذٍ ناقد
يهدي إليك كلام أفضل مرسل فيما يقرب من رضاء الواحد
فأدم قراءته بقلب خالص وادع لكاتبه وكلِّ مساعد

تأليف:

أبو همـــــام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

hamam4111@gmail.com

abo_hamam2012@yahoo.com

الفصل الأول

الوصايا الغراء للإمام في رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله – محمد صلى الله عليه وسلم–و بعد

فهذه رسالة و نصائح أسديها إلى إخواني الأمة و الدعاة من أئمة المساجد لتكون لهم نبراسا طوال شهر رمضان المبارك من باب قول النبي – صلى الله عليه كما في الحديث، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِعَامَّتِهِمْ» .([٥])

الوصية الأولى: راجع أحكام الصيام

ففي هذا الشهر تكثر الأسئلة التي تتعلق بأحكام الصيام وآدابه فينبغي لك أن تذاكر جيدا حتى لا تفتي بغير علم

الوصية الثانية: راعي أحوال المصلين في صلاتك فليس هناك قدر معلوم في مقدار القراءة ولا تنفر الناس منك

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ، فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ» ([٦])

قال ابن دقيق العيد: التّطويل والتّخفيف من الأمور الإضافيّة فقد يكون الشّيء خفيفاً بالنّسبة إلى عادة قوم طويلاً بالنّسبة لعادة آخرين.

قال: وقول الفقهاء لا يزيد الإمام في الرّكوع والسّجود على ثلاث تسبيحاتٍ لا يخالف ما ورد عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – أنّه كان يزيد على ذلك؛ لأنّ رغبة الصّحابة في الخير تقتضي ألاّ يكون ذلك تطويلاً.

---

[٥] – مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٤٨)إسناده صحيح على شرط مسلم،

[٦] – أخرجه : البخاري ١٨٠/١ (٧٠٤) ، ومسلم ٤٢/٢ (٤٦٦) (١٨٢) .

قلت: وأولى ما أخذ حدّ التّخفيف من الحديث الذي أخرجه أبو داود والنّسائيّ عن عثمان بن أبي العاص ، أنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال له: أنت إمام قومك، واقدر القوم بأضعفهم. إسناده حسنٌ. وأصله في مسلم.

وقال اليعمريّ: الأحكام إنّما تناط بالغالب لا بالصّورة النّادرة، فينبغي للأئمّة التّخفيف مطلقاً.(يعني في الصلاة)

قال: وهذا كما شرع القصر في صلاة المسافر وعلَّل بالمشقّة ، وهو مع ذلك يشرع – ولو لَم يشقّ – عملاً بالغالب؛ لأنّه لا يدري ما يطرأ عليه، وهنا كذلك. ([٧])

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: حَدَّثَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: «آخِرُ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَمْتَ قَوْمًا، فَأَخِفَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ» ".([٨])

، عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوجِزُ فِي الصَّلَاةِ وَيُتِمُّ». ([٩])

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً، وَلَا أَتَمَّ صَلَاةً مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ([١٠])

قال النووي: في الأحاديث الأمر للإمام بتخفيف الصلاة، بحيث لا يخل بسننها ومقاصدها، وأنه إذا صلى لنفسه طول ما شاء في الأركان التي تحتمل التطويل، وهي القيام والركوع والسجود والتشهد، دون الاعتدال والجلوس بين السجدتين. اهـ ([١١])

الوصية الثالثة: ليست القراءة بكثرتها ولكن بخشوعها وتدبرها فلو صليت بثلاث آيات في الركعة بتفكر وتدبر خير من أن تصلي بجزء وقلب مشغول باخره

لذا لا يكن همك الكم ولكن همك الكيف

---

[٧] – فتح السلام شرح عمدة الأحكام من فتح الباري (٢/ ٢٨٥)

[٨] – أخرجه مسلم (٣٤٢/١ ، رقم ٤٦٨) ، وابن ماجه (٣١٦/١ ، رقم ٩٨٨)

[٩] – أخرجه أحمد (٢٦٢/٣) ومسلم (٤٤/٢)

[١٠] – أخرجه أحمد (١٠٩/٣). والبخاري (١٨١/١)

[١١] – فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٢)

وقال الإمام البخاري –رحمه الله–: (لا يجدُ طَعْمَه ونَفْعَه إلا مَن آمَنَ بالقرآنِ، ولا يحملُه بحقِّه إلا الموقِن) ([١٢])

ويقول ابن عمر –رضي الله عنهما–: (كان الفاضِلُ من أصحابِ النبيِّ r في صَدْرِ هذه الأُمّةِ لا يحفظُ من القرآنِ إلا السورة أو نحوها، ورُزِقوا العملَ بالقرآن، وإنّ آخرَ هذه الأُمّةِ يُرْزَقُون القرآنَ منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العملَ به). (١٣)

وقد تجلّى ذلك في حالِ السلف، ومما وَرَدَ عنهم في ذلك قولُ ابنِ أبي مليكة: (سافرتُ مع ابنِ عباس – رضي الله عنهما – مِن مكةَ إلى المدينةِ، فكان يَقومُ نصفَ الليلِ فيقرأُ القرآنَ حرفاً حرفاً، ثم يَبكي حتى تَسمعَ له نَشيجاً). (١٤)

وقال ابن مسعود: (لا تَهُذُّوا القرآنَ هذ الشِّعْر، وتَنثروه نَثْرَ الدّقَل، وقِفُوا عند عجائبه، وحَرِّكوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدِكم مِن السورة آخرَها). (١٥).

إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا ، وثواب كثرة القراءة أكثر عددا :

فالأول: كمن تصدق بجوهرة عظيمة ، أو أعتق عبدا قيمته نفيسة جدا .

والثاني : كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم ، أو أعتق عددا من العبيد قيمتهم رخيصة .

الوصية الرابعة: احذر التنافس المذموم الذي نراه في رمضان حيث يتنافس كثير من المساجد للهيمنة على المساجد الأخرى بفتح مكبرات الصوات و الغلوشة على الأخرين وهذا كله مناف للاخلاص و الخشوع ولسنة

أما عن كونه مناف للإخلاص فان صلاة التراويح سنة و السنة يستحب للإنسان أن يسر بها عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ» ([١٦])

---

[١٢] –صحيح البخاري ٤١٠/٢٤.

[١٣] –الجامع لأحكام القرآن ٣٠/١ .

[١٤] –مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر ص١٣١ .

[١٥] – مختصر قيام الليل ص١٣٢

[١٦] – أخرجه : البخاري ١٣٠/٨ (٦٤٩٩) ، ومسلم ٢٢٣/٨ (٢٩٨٧) (٤٨) .

(من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به) قال العلماء معناه من راءى بعمله وسمعه الناس – ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه وقيل معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وقيل أسمعه المكروه وقيل أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه وقيل معناه من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه]

أما عن كونه مناف للسنة فالسنة في النوافل أن يسر بها المرء لا أن يصيح بأعلى صوته قال رسول الله– صلى الله عليه و سلم– فَإِنَّ صَلَاةَ السِّرِّ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاةِ الْعَلَانِيَةِ»

الوصية الخامس: اجعل مسجدك روضة من رياض الجنة: استخدم المعطرات التي تجعل رائحة مسجدك تفوح منه الرائحة الطيبة و خاصة أن بعض العوام قد يأتي و قد تناول البصل و غيرها من الأطعمة التي لها رائحة مكروهة

احرص على نظافته بعد صلاة المغرب وقبل صلاة العشاء

الوصية السادسة: الرفق الرفق ؛: وخاصة في رمضان مع كثير من المصلين الذين لا يأتون إلى المساجد إلا في رمضان واغلبهم لا يعرف آداب و أحكام المسجد فهم يتصرفون بغوغائية تحتاج منك إلى حكمة و رفق

الوصية السابعة: ترشيد الاستهلاك في المياه و الكهرباء فبعض المساجد يفتح أبوابه منذ الصباح الباكر و لكن دون مراقبة لاستخدام المراوح و المكيفات و المياه فيكون هناك تعدي و إسراف في استخدمها و شهر رمضان هو شهر الاقتصاد لا الإسراف

الوصية الثامنة: احذر من الاختلاط بين الرجال والنساء وخاصة في المساجد الكبيرة التي يرتادها الرجال والنساء

الوصية التاسعة: وفر الماء والمثلجات من عصائر وغيرها لروادك: اعمل على إعداد المياه المثلجة وبعض العصائر و ذلك من خلال وضع خطة لذلك العمل بالتنسيق مع بعض الرواد الخيرين

الوصية العاشرة: عدم الاعتداء في الدعاء: و ومن الاعتداء الإطالة فيها فتجد بعض الأئمة يظل بالربع و النصف ساعة يدعو مما يصيبمن خلف بالضجر و الملل عن أبي عَبَايَة أَوْ قَيْسَ بْنَ عَبَايَة، شَكَّ أَبُو دَاوُدَ أَنَّ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ غُرَفَهَا كَذَا وَكَذَا وَأَعُوذُ

بِكَ مِنَ النَّارِ وَأَغْلَالِهَا وَسَلَاسِلِهَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ خَيْرًا كَثِيرًا وَتَعَوَّذْتَ بِهِ مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ أَوْ قَالَ: عَظِيمٍ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ» ، وَبِحَسْبِكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ([17])

والوصية الحادية عشر: لتكن قراءتك قراءة دون تكلف أو تقعر أو تقليد بليد، فأحيانا تجد الأمام يقلد قراء كثر في ركعة واحدة بل يبكي عند الموضع الذي بكى فيه المقلد (بالضم والفتح) فيذهب الوقار وحلاوة كلام الله تعالى وفي ذلك يقول ابن الجزري رحمه الله: "فليس التجويد بتمضيغ اللسان ولا بتقعير الفم ولا بتعويج الفك ولا بترعيد الصوت ولا بتمطيط الشد ولا بتقطيع المد ولا بتطنين الغنات ولا بحصرمة الراءات".

وما أجمل القراءة بالطبع والسجية كما جبلوا عليها من غير تكلف مذموم.

الوصية الثانية عشر: احذر أن تتاجر بالقران: فبعض الإخوة من حفظة القران من ذوي الأصوات الحسنة يتاجرون بالقران الكريم ويجعلونه موسما لكسب المال فهذا يتفق مع المصلين على المبلغ المطلوب مقابل صلاته ويغالي حتى وصل ببعضهم انه يطلب أرقاما خيالية من المصلين من اجل صوته الندي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ " ([18])

---

[17] – حديث حسن إن شاء الله تعالى، أبو نعامة –واسمه قيس بن عباية الحنفي– كان من جلساء ابن عباس، وقد صحيح إسناد هذا الحديث ابن حبان (٦٧٦٤)، والحاكم في "المستدرك" ١/ ٥٤٠، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حجر في "التلخيص الحبير" ١/ ١٤٤، وحسن إسناده ابن كثير في "تفسيره" ٣/ ٤٢٥.

[18] – أخرجه أحمد (٣/٤٢٨ ، رقم ١٥٥٦٨) ، وأبو يعلى (٣/٨٨ ، رقم ١٥١٨) ، حسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: ٢٥٨.

الفصل الثاني

ثلاثون ترويحة دروس وعبر

أخي المسلم ٠٠ أختي المسلمة ٠٠٠ كل عام أنتم بخير فها هو شهر الخير والبركات، شهر التقوى والقرآن، شهر الصدقة والإحسان، قد هل على الأمة الإسلامية بل على الدنيا كلها يحمل لهم التحف والهدايا من رب البرايا، جاءهم ليطهرهم من الخطايا وينقيهم من الرزايا

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولا وفعلا وزادك فاتخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادما يوم الحصاد

و شهر رمضان شهر التراويح التي بها يسموا المسلم بمناجاته لربه و تلاوته آيات القران الكريم صلاة التراويح سنة سنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأمته، فقد قام بأصحابه ثلاث ليالٍ، ولكنه صلى الله عليه وسلّم ترك ذلك خوفاً من أن تُفرض عليهم، ثم بقي المسلمون بعد ذلك في عهد أبي بكر وصدر من خلافة عمر، ثم جمعهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على تميم الداري وأُبيّ بن كعب، فصاروا يصلون جماعة إلى يومنا هذا ولله الحمد. وهي سُنَّة في رمضان.

والتراويح : جمع ترويحة ، أي ترويحة للنفس ، أي استراحة ، من الراحة وهي زوال المشقة والتعب ، والترويحة في الأصل اسم للجلسة مطلقة ، وسميت الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي رمضان بالترويحة للاستراحة ، ثم سميت كل أربع ركعات ترويحة مجازا ، وسميت هذه الصلاة بالتراويح ؛ لأنهم كانوا يطيلون القيام فيها ويجلسون بعد كل أربع ركعات للاستراحة ([19]) .

[19] –المصباح المنير ، قواعد الفقه ٢٢٥ ، فتح القدير ١ / ٣٣٣ ، حاشية العدوي على الكفاية ٢ / ٣٢١ .

وصلاة التراويح: هي قيام شهر رمضان، مثنى مثنى، على اختلاف بين الفقهاء في عدد ركعاتها، وفي غير ذلك من مسائلها ([٢٠]) .

و أنا أضع بين يدي الأئمة و الدعاة هي المجالس و هي عبارة عن قصة اذكرها ثم أُبين ما فيها من دروس و عبر، يستجم بها الفؤاد و تشحذ من خلالها الهمم و خاصة أننا في شهر المسارعة إلى الخيرات، و المسابقة إلى المكرمات ، شهر تذكر فيها البطولات و الفتوحات و الانتصارات فما أجوجنا إلى جُرع تغذي أرواحنا و تشفي أسقامنا فها هي المشكاة تضيء لك الطريق و تبين لك صحة ما تركنا عليه نبينا – صلى الله عليه وسلم ، و ها هي المشكاة تخرجك من ضوضاء القنوات الفضائية لتعيش لحظات في صحبة الأنبياء و الأولياء و السعداء

والغرض من كتابتها: إراحة الداعية أو المتحدث من عناء البحث في بطون الكتب عن طرفة أو قصة أو خاطرة يقولها في جلسة التراويح

الليلة الأولى

وجاء الفرج في رمضان

[٢٠] –قواعد الفقه ٣٥٢، الدسوقي ١ / ٣١٥، المجموع ٤ / ٣٠، المغني ٢ / ١٦٥.

قال بعض الرواة: كنا في جنازة، وحضرها معنا الشيخ أبو بكر الضرير. وبين يدي الجنازة صبيان يبكون، ويقولون: من لنا بعدك يا أبة، فلما سمعهم أبو بكر يقولون ذلك، قال: الذي كان لأبي بكر الضرير. فسألته عن سبب ذلك. فقال: كان أبي من فقراء المسلمين، وكان يبيع الخزف. وكانت لي أخت أسن مني، وكنت قد أتي علي في بصري. فانتبهت ليلة، فسمعت أبي يقول لأمي: أنا شيخ كبير، وأنت أيضًا قد كبرت وضعفت. وقد قرب منا ما بعد. ثم أنشد:

وإن أمرًا قد سار خمسين حجة إلى منهل من ورده لقريب

وهذه الصبية تعيش بصحة جسمها، وتخدم الناس. وهذا الصبي ضرير، قطعة لحم. ليت شعري! ما يكون منه؟ ثم بكيا وداما على ذلك وقتًا طويلاً من الليل. فأحزنا قلبي.

فأصبحت ومضيت إلى المكتب، على عادتي. فما لبثت إلا يسيرًا إذ جاء غلام للخليفة، فقال للمعلم: السيدة تسلم عليك، وتقول لك: قد أقبل شهر رمضان، وأريد منك صبيًا دون البلوغ، حسن القراءة، طيب الصوت، يصلي بنا التراويح. فقال: عندي من هذه صفته، وهو مكفوف البصر، ثم أمرني بالقيام معه. فأخذ الرسول بيدي، وسرنا حتى وصلنا الدار. فاستأذن علي. فأذنت السيدة لي بالدخول، فدخلت وسلمت. واستفتحت وقرأت، فبكت واسترسلت في القراءة، فزاد بكاؤها. وقالت: ما سمعت قط مثل هذه التلاوة، فرق قلبي، فبكيت. فسألتني عن سبب ذلك، فأخبرتها بما سمعت من أبي. فقالت: يا بني، يكون ذلك من لم يكن في حساب أبيك.

ثم أمرت لي بألف دينار. فقالت: هذه يتجر بها أبوك، ويجهز أختك. وقد أمرت لك بإجراء ثلاثين دينارًا في كل شهر، إدرارًا. وأمرت لي بكسوة، وبغلة مسرجة ملجمة، وسرج

محلي. فهو سبب قولي جوابًا للصبيان عندما قالوا: من لنا بعدك يا أبة. [نكث الهميان في نكت العميان]

دروس وعبر

الدرس الأول: أن الله تعالى لا يضع أحد من خلقه فالله هو الرزاق ذو القوة المتين يرزق جميع خلقه من يحمل رزقه و من لا يحمل رزقه قال – تعالى – {كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: ٦٠]

يقول السعدي – رحمه الله –أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم { مِنْ دَابَّةٍ } في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. { لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا } ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال اللّه يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته.

{اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} فكلكم عيال اللّه، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم، { وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.

كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}([٢١])

ومن ذلك أيضاً: ما ذكره الزمخشري في تفسير هذه الآية قال: وعن الأصمعي قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له ، فقال : ممن الرجل؟ قلت: من بين أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن.

---

[٢١] – تفسير السعدي (ص: ٦٣٥)

فقال: اتل علي فتلوت : والذاريات فلما بلغت قوله تعالى : { وَفِي السماء رِزْقُكُمْ } قال : حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر ، وعمد إلى سيفه وقوسة فكسرهما وولى ، فلما حججت مع الرشيد طفتق أطواف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت ، فإذا أنا بالأعرابي قد نحل أصغر فسلم علي واستقرأ السورة ، فلما بلغت الآية صاح ، وقال : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، ثم قال : وهل غير هذا؟ فقرأت { فَوَرَبِّ السمآء والأرض إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ } [الذاريات : ٢٣] فصاح وقال : يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجؤوه إلى اليمين ، قائلاً ثلاثاً ، وخرجت معها نفسه انتهى .)([٢٢])

الدرس الثاني: بركة القران الكريم فالقران هو مفتاح النجاح و الفلاح في الدنيا و الاخرة و الله تعالى يقول {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } [فاطر: ٢٩، ٣٠]فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن

الليلة الثانية

يعذبني الله على الصلاة !!

سعيد بن المسيب –رحمه الله–

---

[٢٢] – أضواء البيان – (ج ٨ / ص ٦)

ها هو سعيد بن المسيب سيد التابعين وأمام من أئمة السنة والفقه كان شديد الحرص على الإتباع شديد البغض للابتداع ينكر على من سول له شيطان الابتداع في دين الله ما لم يأذن به ويحض عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم – . رأى رجل يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال يا أبا محمد: يعذبني الله على الصلاة ! ! قال لا ولكن يعذبك على خلاف السنة. ([٢٣])

ومن المواقف الدالة على حرص الإمام مالك على الاعتصام بالسنة وإتباع منهج النبي –صلى الله عليه وسلم – ذلك الموقف المشرق جاء رجل إلى الأمام مالك– رحمه الله –فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؛

فقال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله. –صلى الله عليه وسلم

فقال: أني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.

قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة.

فقال: أي فتنة هذه؛ إنما هي أميال أزيدها.

قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة؛ قصر عنها رسول الله –صلى الله عليه وسلم؛ إني سمعت الله تعالى يقول { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: ٦٣] ([٢٤]).

دروس وعبر

الدرس الأول: أن من استحسن فقد شرع فالذي يبتدع في الدين بدعة إنما زين له الشيطان سوء عمله، فهذا الذي كان يصلي بعد الفجر ظن أنه بذلك قد قام بعمل طيب ويقربه إلى الله تعالى و ما درى المسكين أنه بذلك يخالف سنة سيد المرسلين — صلى الله عليه و سلم — و أن عمله هذا بدعة منكرة و إن كان العمل صلاة إلا أنه ليس على هدي النبي — صلى الله عليه وسلم —

الدرس الثاني: أن الابتداع سبب من أسباب وقوع الفتن في الدنيا و العذاب الأليم في الاخرة {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]

---

[٢٣] – السنن الكبير للبيهقي جـ٢ / ٤٩٦ .و عبد الرزاق في مصنفه ح ٤٧٥٥ ،

[٢٤] – الفتنة والمتفقة ج١ ص١٤٨

يقول العلامة الشنقيطي – رحمه الله –قد دل استقراء القرآن العظيم أن الفتنة فيه أطلقت على أربعة معان:

الأول: أن يراد بها الإحراق بالنار ؛ كقوله تعالى: { يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} [الذاريات: ١٣] ، وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} [البروج: ١٠] ، أي : أحرقوهم بنار الأخدود على القول بذلك .

الثاني وهو أشهرها: إطلاق الفتنة على الاختبار ؛ كقوله تعالى : {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } [الأنبياء: ٣٥] وقوله تعالى : {اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } [الجن: ١٦].

والثالث: إطلاق الفتنة على نتيجة الاختيار إن كانت سيئة ؛ كقوله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٣] وفي «الأنفال» : {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } [الأنفال: ٣٩] ، فقوله : حتى لا تكون فتنة أي : حتى لا يبقى شرك على أصح التفسيرين ، ويدل على صحته قوله بعده : ويكون الدين لله ؛ لأن الدين لا يكون كله لله حتى لا يبقى شرك ، كما ترى . ويوضح ذلك قوله –صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِى بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ([٢٥]) كما لا يخفى .

والرابع: إطلاق الفتنة على الحجة في قوله تعالى: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣]، أي: لم تكن حجتهم، كما قال به بعض أهل العلم.

والأظهر عندي: أن الفتنة في قوله هنا: أن تصيبهم فتنة أنه من النوع الثالث من الأنواع المذكورة.

وأن معناه أن يفتنهم الله، أي: يزيدهم ضلالا بسبب مخالفتهم عن أمره ، وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

---

[٢٥] – أخرجه أحمد (١/١٩ ، رقم ١١٧) ، والبخارى (٦/٢٦٥٧ ، رقم ٦٨٥٥)

وهذا المعنى تدل عليه آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ؛ كقوله –جل وعلا –{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤] ، وقوله تعالى {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [الصف: ٥] وقوله {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [البقرة: ١٠]وقوله تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} [التوبة: ١٢٥]، والآيات بمثل ذلك كثيرة ، والعلم عند الله تعالى .)([٢٦])

الليلة الثالثة

حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون

[٢٦] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٥٦٠)

عن هريرة–رضي الله عنه – عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فذكر أحاديث منها وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– « غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى ([٢٧])بها ولما يبن ولا آخر قد بنى بنيانا ولما يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات ([٢٨])وهو منتظر ولادها. قال فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيئا.

فحبست عليه حتى فتح الله عليه –قال –فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل. فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك. فبايعته –قال – فلصقت([٢٩]) بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم – قال – فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب – قال – فوضعوه في المال وهو بالصعيد([٣٠]) فأقبلت النار فأكلته. فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ([٣١])ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا ».)([٣٢])

دروس وعبر

* الفائدة الأولى: أن التعلق بفتن الدنيا يدعو صاحبه إلى الهلع والجزع

الفائدة الثانية: أن الغنائم لم تحل لأحد غير محمد وأمته.

* الفائدة الثالثة: دليل على تجديد البيعة إذا احتيج إلى ذلك لأمر وقع، وقد فعل ذلك (صلى الله عليه وسلم) تحت الشجرة.

* الفائدة الرابعة: جواز إحراق أموال المشركين وما غنم منها.

---

[٢٧] –يبني بها: أي يدخل دخول الرجل على زوجته.

[٢٨] – الخلفات: الحوامل.

[٢٩] –لصقت: المراد لصقت يد النبي بيد رجلين أو ثلاثة.

[٣٠] – الصعيد: أي وجه الأرض

[٣١] –هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٣٢] –أخرجه أحمد (٣١٨/٢ ، رقم ٨٢٢١) ، والبخاري (١١٣٦/٣ ، رقم ٢٩٥٦) ، ومسلم (١٣٦٦/٣ ، رقم ١٧٤٧) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (١٣٧/١١ ، رقم ٤٨٠٨) .

* الفائدة الخامسة: أن الأمور المهمة لا ينبغي أن تفوض إلا لحازم فارغ البال لها ؛ لأن من له تعلق ربما ضعفت عزيمته وقلت رغبته في الطاعة ، والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح وإذا اجتمع قوي.

* الفائدة السادسة: أن النار عندها تمييز وإدراك، فإنه لما حصل غلول في الغنيمة رفضت أن تأكلها، ولما أعيد ما غل منها أكلتها وتقبلها الله؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

الفائدة السابعة: رحمة الله تعالى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم – حيث باح لهم ما حرمه على غيرهم واختصهم بخصائص هي من تكريمه وتشريفه لهذه الأمة المرحومة.

الليلة الرابعة

يرحمك الله -هو ابنها

عن أبى هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال «بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما.

فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت. وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما.

فقالت الصغرى لا يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصغرى». ([٣٣])

دروس وعبر

* **الفائدة الأولى:** قسوة قلب الأم الكبرى في هذه القصة، فلقد سرق الذئب ابنها، ولم تظهر حزنها عليه، بل أظهرت قسوة لا يتصورها عقل رجل، فضلاً عن قلب امرأةٍ، فلجأت إلى سرقة ابن زميلتها، لأنه لا يعقل أن يكونا متشابهين تشابهاً تماماً، كما لا يعقل ألا تميز الأم ابنها من بين طفلين، فالحديث دلَّ على قسوة قلب الأم الكبرى، ورحمة قلب الصغرى .

*–**الفائدة الثانية:** قال القرطبي: وفيه دليل على أن الحاكم إذا تعارضت الأقوال عنده وتعذرت الشهادة مكنة الاستدلال بالقرائن على ترجيح بعض الدعاوى نفذ الحكم بذلك كما فعله سليمان عليه السلام حيث قال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، ([٣٤])

الفائدة الثالثة: أنه جائز للعالم مخالفة غيره من العلماء وإن كانوا أسن منه وأفضل إذا رأى الحق في خلاف قولهم. ويشهد لهذا قوله تعالى: {دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ } [الأنبياء: ٧٨]

الليلة الخامسة

سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعهم بعضا"

---

[٣٣] – أخرجه أحمد (٣٢٢/٢ ، رقم ٨٢٦٣) ، والبخاري (١٢٦٠/٣ ، رقم ٣٢٤٤) ، ومسلم (١٣٤٤/٣ ، رقم ٧٢٠) ، والنسائي في الكبرى (٤٧٣/٣ ، رقم ٥٩٦٠) .

[٣٤] – تفسير القرطبي جـ ١١ص ٣١٣.

ومن جميل ما قرأت أن إبراهيم بن أدهم ذلك السلفي الذي ظن كثير من أحبابنا أنه من المتصوفة ولكنه محسوب على سلف الأمة رضوان الله عليهم كما قال المحققون من أكثر أهل الجرح والتعديل، فذلك الرجل الذي جلس يوما ليأكل بعض قطع اللحم المشوي فجاءت قطة فخطفت قطعة لحم وجرت فقام ورائها ليتابع لماذا جرت فرأى إبراهيم أن القطة قد وضعت قطعة اللحم جحر في مكان مهجور وانصرفت فازداد عجب وظل يراقب الموقف مراقبة دقيقة فنظر فرأى ثعبان أعمي فقأت عيناه خرج من هذا الجحر ليأخذ قطة اللحم ثم يرجع إلي جحره مرة أخري فبكي إبراهيم بن أدهم وقال : " سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعهم بعضا"([٣٥])

دروس وعبر

في هذه القصة الطريفة التي يرويها لنا المحدث إبراهيم بن أدهم – رحمه الله –عبر و دروس منها:

* **رحمة إبراهيم ابن دهم** –رحمه الله– حيث أنه لم يضرب ذلك القط و لم ينهره عندما أخذ من أمامه قطع اللحم لقد كانوا كرماء حتى مع الحيوانات

* **و منها: أن الله تعالى هو الذي يرزق كل الكائنات** لا يغفل عن أي مخلوق مهما كان نوعه {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [العنكبوت: ٦٠]

يقول السعدي – رحمه الله: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم { مِنْ دَابَّةٍ } في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. { لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا } ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته. {اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ } فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم

[٣٥] – دروس للشيخ محمد حسان ، و دروس أكاديمية المجد (ص: ١٠٥)

وتدبيركم، { وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود: ٦]

* **ومنها تسخير الله تعالى الكائنات والأعداء لخدمة بعضهم بعضا** عند الضعف وذلك من رحمته جل في علاه

الليلة السادسة

الطفل الداعية

قال محمد بن ظفر المكي: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى لما حفظ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١-٢].

قال لأبيه: يا أبتي! من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال: يا بني! ذلك النبي محمد ﷺ.

قال أبو يزيد: يا أبتي! ما لك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ؟

قال: يا بني! إن قيام الليل خصص بافتراضه النبي ﷺ دون أمته.. فسكت عنه أبو يزيد.

فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

قال: يا أبتي! إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال: يا بني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو يزيد: يا أبتي! فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟

قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي.

فاستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأصلي معك.

فقال أبوه: يا بني! ارقد، فإنك صغير بعد..

قال أبو يزيد: يا أبتي! إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك، فأبي، وقال لي: ارقد، فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني، ما أحب هذا، وعلمه، فكان يصلي معه! (٤) الحافظ الأصفهاني

قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأصفهاني: حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت إلى أبي بكر المقرئ لأسمع ولي أربع سنين.

فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لي ابن المقرئ: اقرأ سورة (التكوير) فقرأتها.

فقال لي غيره: اقرأ سورة (المرسلات) فقرأتها، ولم أغلط فيها.

فقال ابن المقرئ: اسمعوا له، والعهدة علي [٣٦].

دروس وعبر

الدرس الأول: العناية بالأبناء في الصغر تغرس في نفوسهم حب الله و حب رسوله — صلى الله عليه و سلم – عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :"أدبوا أولادكم على خصال ثلاث: على حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه". ([٣٧])

الدرس الثاني : فضل قيام الليل: . فعن أبي الدر داء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحيـــــن قبلكم، قربة إلى الله عز وجل ، ومنهاة عن الإثم و تكفير للسيئـــات ومطردة للداء عن الجسد ([٣٨])

الدرس الثالث: العمل بما تعلم المسلم من أمور دينه و هذه سنة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين –عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثني الذين كانوا يقرئوننا عثمان بن عفان و عبد اللّه بن مسعود و أبي بن كعب رضي اللّه عنهم و في رواية الطحاوي كان أصحابنا يقرئونا و يعلّمونا و يخبرونا– أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يقرئ أحدهم عشر آيات فما يجاوزها حتّى يتعلّم العمل فيها قال: و قالوا علمنا القران و العمل جميعا «٢» و في لفظ: فعلمنا العلم و العمل «[٣٩]».

الليلة السابعة

---

(٣٦) الكفاية في علم الرواية ص (١١٧).

[٣٧] – إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة – (٨ / ٦٨)[٧٧٥٣] ضعيف

[٣٨] – جامع الأحاديث – (١٤ / ٢٩٩)أخرجه الترمذي (٥/٥٥٢ ، رقم ٣٥٤٩) وقال : غريب . والبيهقي (٢/٥٠٢ ، رقم ٤٤٢٥) . وأخرجه أيضًا : الروياني (٢/١٤ ، رقم ٧٤٥) . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٩٥٨.

[٣٩] –أحمد (٥/ ٤١٠)، ابن أبي شيبة (٦/ ١١٧)

لأغلبن الليلة على المقام

عثمان بن عفان ﷺ.. قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي – رحمه الله– قلت : لأغلبن الليلة على المقام فسبقت إليه فبينا أنا قائم أصلي إذا وضع رجل يده على ظهري فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان – رحمه الله– وهو خليفة فتنحيت عنه فقام فما برح قائما حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها فلما انصرفت قلت : يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة قال أجل وهي وتري أي ركعة الوتر . ([40])

وعن ابن سيرين قال : قالت امرأة عثمان حين قتل لقد قتلتموه وأنه ليحي الليل كله بالقرآن في ركعة . ([41])

دروس وعبر

منقبة عثمان–رضي الله عنه–في القرآن: عثمان رضي الله عنه هو من أنزل الله في شأن القرآن فله أسرار وأسرار مع العزيز الغفار يقول الله تعالى {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]

وعن يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ اليل سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ } قال ابن عمر : ذاك (عثمان بن عفان) رضي الله عنه »([42])

*علو همة السلف في العبادة و الطاعة فهذا نبينا —صلى الله عليه و سلم — يصلي حتى تتورم قدماه، و هذا عثمان — رضي الله عنه يقرا القران كله في ركعة، أما حالنا نحن اليوم فترى ضعف في الهمم و العزائم فها هم في صلاة التراويح يصلونها في عجلة و قلة خشوع و اذا أطال الإمام قليلا ثاروا عليه و ربما يحدث الخلاف و النزاع بين المصلين لأن الإمام يقرا بضع آيات لا أقول سورا و إنما يقرأ قراءة لو شاهدها السلف لقالوا مالكم في العبادة تلعبون !

---

[40] – أخرجه المبارك في الزهد ١٢٧٦ وعبد الرازق في مصنفه ٢٤/٣ وابن سعد في طبقاته ٧٥/٣،

[41] – الزهد للإمام أحمد ص ١٢٧.،و الزهد لابن المبارك – (ح ١٢٧٧)

[42] – مختصر تفسير ابن كثير (ص: ٢١٩١)

* **خوف عثمان–رضي الله عنه –من الله وبكاؤه ومحاسبته لنفسه:**

فقد جاء في إحدى خطبه: أيها الناس، اتقوا الله؛ فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لقبره، ويخشى أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيرا.([٤٣]) وقد روى عنه قوله: لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتها يؤمر بي لتمنيت أن أصير رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

كانت روحه ترتجف وعَبَراته تفيض عندما يذكر الآخرة، وعندما يتخيل نفسه وقد انشق قبره ونسل من جدثه إلى العرض والحساب([٤٤])؛ فعن هاني مولى عثمان، قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه"

. واتصف عثمان (بصفة العدل؛ فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان (وهو محصور فقال له: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وهو ذا يصلي بنا إمام فتنة – عبد الرحمن بن عديس البلوى– وأنا أخرج من الصلاة معه، فقال له عثمان: إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.([٤٥]) إساءتهم.([٤٥])

وروى ابن شبة بإسناده، قال: دخل عثمان بن عفان على غلام له يعلف ناقة، فرأى في علفها ما كره، فأخذ بأذن غلامه فعركها، ثم ندم، فقال لغلامه: اقتص فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه فجعل يعركها، فقال له عثمان: شد حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، ثم قال عثمان (: واهًا لقصاص قبل قصاص الآخرة([٤٦]).

الليلة الثامنة

أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر

---

[٤٣] – صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، مجدي فتحي السيد، ص١٠٧.

[٤٤] – نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، ص٢٠٥.

[٤٥] – البخاري رقم (٦٩٥).

[٤٦] – أخبار المدينة، لابن شبة (٢٣٦/٣).

قال حماد بن جعفر بن يزيد : أن أباه أخبره قال : خرجنا في غزاه إلى كابل وفي الجيش صله بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته ، فصلي العتمة ثم أضطجع فالتمس غفلة الناس حتى قلت هدأت العيون ، وثبت فدخل غيضة قريبا منه ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي قال : وجاء أسد حتى دنا منه قال فصعدت على شجرة ، قال فتراه التفت ؛ أوعده جرذا حتى سجد فقلت الآن يفترسه فجلس ثم سلم ، فقال أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر فولي وأن له لزئير تصدع الجبال منه فما زال كذلك ، فلما كان عند الصبح فحمدا الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلى ما شاء الله ثم قال اللهم أني أسألك أن تخبرني من النار أو مثلي يجترئ أن أسألك الجنة ؛ ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء به عليم ([٤٧])

دروس وعبر

* **رهبان بالليل فرسان بالنهار: هؤلاء** هم السلف من حملوا رية التوحيد و كانوا رهبان بالليل فرسان بالنهار و صفهم الله تعالى في كتابه وقال تعالى: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة:١٦-١٧]. وقال تعالى: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا [الفرقان:٦٤]. وقال تعالى: الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [آل عمران:١٧]. وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا [المزمل:١-٨] أي: انقطع إليه انقطاعاً.

* أن من خاف الله تعالى خوف الله تعالى منه كل شيء و أمنه من كل خوف ، { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥]

[٤٧] – صفة الصفوة جـ٢ ص٦٠٢– ٦٠٣ والسير جـ٥ ص٢٠

* إخلاص العبادة لله وحده و الحرص على كتمانها: وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه، من بين أهله وحبِّه إلى صلاته، فيقول الله جل وعلا: أيا ملائكتي، انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته، رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى يهريق دمه[٤٨]، فيقول الله للملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رجاء فيما عندي، وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه" [٤٩].

قال أبو حازم: (اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك) [٥٠]

عن عمران بن خالد قال: سمعت محمد بن واسع يقول: (إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به) [٥١] .

وعن يوسف بن عطية عن محمد بن واسع قال: " لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه".

وعن ابن أبي عدِّي قال: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازًا يحمل معه غداه من عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًا فيفطر معهم. [٥٢] .

الليلة التاسعة

فضل الله

---

[٤٨] – يهريق : يريق ويسيل ويسكب

[٤٩] – أخرجه أحمد (٤١٦/١ ، رقم ٣٩٤٩) ، والطبراني (١٧٩/١٠ ، رقم ١٠٣٨٣) ، وابن حبان (٢٩٧/٦ ، رقم ٢٥٥٧) ، والحاكم (١٢٣/٢ ، رقم ٢٥٣١) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (١٦٤/٩، رقم ١٨٣٠٥) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (١٧٩/٩ ، رقم ٥٢٧٢) .

[٥٠] – (ال سير٦/٩٦)

[٥١] – (السير ٦/١١٩).

[٥٢] – (السير ٦/٣٧٦).

أحباب رسول الله في هذه الليلة سنقف مع فضل الله تعالى على عباده لنرى و نشاهد تلك الحقيقة التي قال عنها الله تعالى في كتابه {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) } [العنكبوت: ١٧، ١٨]

القصة: جلس رجلان قد ذهب بصرهما على طريق أم جعفر زبيدة العباسية لمعرفتهما بكرمها.

فكان

أحدهما يقول : اللهم ارزقني من فضلك

وكان الآخر يقول: اللهم ارزقني من فضل أم جعفر.

وكانت أم جعفر تعلم ذلك منهما وتسمع،

فكانت ترسل لمن طلب فضل الله درهمين،

ولمن طلب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير.

وكان صاحب الدجاجة يبيع دجاجته لصاحب الدرهمين، بدرهمين كل يوم،

وهو لا يعلم ما في جوفها من دنانير.

وأقام على ذلك عشرة أيام متوالية،

ثم أقبلت أم جعفر عليهما،

وقالت لطالب فضلها: أما أغناك فضلنا ؟

قال: وما هو؟

قالت مائة دينار في عشرة أيام،

قال: لا،

بل الدجاجة كنت أبيعها لصاحبي بدرهمين.

فقالت: هذا طلب من فضلنا فحرمه الله،

وذاك طلب من فضل الله فأعطاه الله وأغناه.

الدروس والعبر

* * *قال إبراهيم ابن ادهم قدس سره طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر . فعلى العاقل تحصيل سكون القلب والفناء عن الارادات فان الله تعالى يفعل ما يريد على وفق علمه وحكمته

* أن الأرزاق قدرها الله فما قدر لك فهو لك

قال أبو حازم رحمه الله:\' وجدت الدنيا شيئين: فشيء هو لى، وشيء لغيري، فلو طلبته بحيلة السموات والأرض؛ لم أصل إليه\'.

وسُئِل: " علام بنيتَ أمرَكَ هذا في التوكل علي الله؟ " ،

قال: " علي خصالٍ أربع: علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي،

وعلمتُ أن عملي لا يعملهُ غيري، فأنا مشغول به،

وعلمتُ أن الموت يأتيني بغتةً، فأنا أبادره،

وعلمتُ أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مستحٍ منه " .

وقال: " ما من صباح إلا والشيطانُ يقول لي: " ما تأكل، وما تلبس؟ وأين تسكنُ؟ " .

فأقول: " أكل الموتَ، وألبس الكفنَ، وأسكن القبرَ " .

الليلة العاشرة

طاعة الأشجار للنبي المختار-صلى الله عليه وسلم-

الشجر يطيع النبي–صلى الله عليه وسلم–ويسارع إلى إجابته ويستأذن في السلام عليه :

عن يعلى بن مرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً ، فقال انطلق إلى هاتين الشجرتين ، فقل إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لكما أن تجتمعا ، فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقيا جميعاً ، فقضى رسول الله حاجته من ورائها ثم قال : انطلق فقل لهما : لتعد كل واحدة إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت ذلك لهما ، فعادت كل واحدة إلى مكانها ، و أتته امرأة ، فقالت إن ابني هذا به لم ـ مس من الجن ـ منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (أدنيه) فأدنته منه فتفل في فيه ، و قال : أخرج عدو الله أنا رسول الله ثم قال لها رسول الله إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ، فلما رجع رسول الله استقبلته و معها كبشان و أقط و سمن ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم : خذ هذا الكبش و اتخذ منه ما أردت ، قالت و الذي أكرمك ما رأينا شيئاً منذ فارقتنا ، ثم أتاه بعير ، فقام بين يديه ، فرأى عيناه تدمعان ، فعث إلى أصحابه ، فقال : ما البعير كم هذا البعير يشكوكم ؟ فقالوا: كنا نعمل عليه، فلما كبر و ذهب عمله تواعدنا عليه لننحره غداً فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لا تنحروه، و اجعلوه في الإبل يكون معها) صححه الحاكم و وافق الذهبي و صححه الأرناؤط .

دروس وعبر

الدرس الأول: عبودية الكائنات لرب الأرض والسماوات

قال الله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: ١١]

يقول سيد قطب– رحمه الله– إنها إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس ، وإلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته . فليس هناك

إذن إلا هذا الإنسان الذي يخضع للناموس كرهاً في أغلب الأحيان . إنه خاضع حتماً لهذا الناموس ، لا يملك أن يخرج عنه ، وهو ترس صغير جداً في عجلة الكون الهائلة؛ والقوانين الكونية الكلية تسري عليه رضي أم كره . ولكنه هو وحده الذي لا ينقاد طائعاً طاعة الأرض والسماء . إنما يحاول أن يتفلت ، وينحرف عن المجرى الهين اللين؛ فيصطدم بالنواميس التي لا بد أن تغلبه وقد تحطمه وتسحقه فيستسلم خاضعاً غير طائع .

لا عباد الله الذين تصطلح قلوبهم وكيانهم وحركاتهم وتصوراتهم وإراداتهم ورغباتهم واتجاهاتهم . . تصطلح كلها مع النواميس الكلية ، فتأتي طائعة ، وتسير هينة لينة ، مع عجلة الكون الهائلة ، متجهة إلى ربها مع الموكب ، متصلة بكل ما فيه من قوى ، وحينئذ تصنع الأعاجيب ، وتأتي بالخوارق ، لأنها مصطلحة مع الناموس ، مستمدة من قوته الهائلة ، وهي منه وهو مشتمل عليها في الطريق إلى الله { طائعين } . .إننا نخضع كرهاً . فليتنا نخضع طوعاً . ليتنا نلبي تلبية الأرض والسماء . في رضى وفي فرح باللقاء مع روح الوجود الخاضعة المطيعة الملبية المستسلمة لله رب العالمين.

الدرس الثاني: معرفة الكائنات برسالة خير المخلوقات فالشجر والحجر والمدر والجن تعرفه – صلى الله عليه وسلم –

الدرس الثالث: رحمة النبي – محمد صلى الله عليه و سلم–لا تخف إلا على من طمست بصيرته فهذا الجمل ادرك رحمته–صلى الله عليه وسلم–فشكا له

الدرس الرابع : أن هذه المعجزات من دلائل نبوته – صلى الله عليه وسلم –

الليلة الحادية عشر

تبني للخراب وتعمر للفناء

بنى ملك من بني إسرائيل مدينة فتَنَوَّقَ في بنائها، ثم صنع للناس طعاماً، ونَصَبَ على باب المدينة من يسأل عنها، فلم يعبْها أحد، إلا ثلاثة عليهم الأكْسِيَة، فإنهم قالوا: رأيْنا عيبين!

فسَأَلَهم، فقالوا: تخْرَبُ ويموتُ صاحِبُها.

فقال: هل تعلمون داراً تسلمُ من هذين العيبين؟

قالوا: نعم، الآخرة،

فخلَّى ملكَه وتعبّد معهم زماناً، ثم ودَّعهم ،

فقالوا: هل رأيتَ منا ما تكرهه؟

قال: لا، ولكنْ عرفْتُموني فأنتم تُكرمونَني ، فأصحبُ مَنْ لا يعرفُني .([٣])

دروس وعبر

الدرس الأول: أن كثيرا من الناس ينشغل بتعمير دنياه وينسى أخراه ولا يفيق إلا في معسكر الأموات انظر وتأمل فيمن ملك الدنيا كيف تكون عاقبته

يا من بدنياه اشتغل قد غـرّه طـول الأمل

والموت يأتـي بغتةً والقبر صندوق العمل

يامن عمرت الدور و شيدت القصور قف على القبور و ناداهم اذا كنت بنادهم :

ناداهم صارخٌ من بعد ما دفنوا أيـــن الأسرّة والتيـــجان والحلل

فأصبح القبر عنهم حين سائلهم تلك الـوجوه عليـــها الدود تنتقل

[٣] – ربيع الأبرار للزمخشري ص٤٢

قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

الدرس الثاني: القلوب الحية كالأرض الطيبة تنتفع بالموعظة وتنقاد لأمر الله تعالى

فتأملوا كيف صادفت تلك الكلمات قلبا حيا رق ولان وخشع للملك الديان

الدرس الثالث: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: ١٦، ١٧]

يقول الطبري – رحمه الله –يقول للناس: بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة(وَالآخِرَةُ خَيْرٌ) لكم(وَأَبْقَى) يقول: وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى، لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تنفَدُ ولا تفنى."

(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) هذا هو الداء العضال الذي ابتليت به البشرية عبر تاريخها، وكما قالوا في الآثار "حب الدنيا رأس كل خطيئة"، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ضعف الأمة وتكالب الأعداء عليها إنما يحصل حينما يلقى في قلوبهم الوهن، وفسره بأنه حب الدنيا وكراهية الموت.

(وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) وهذا هو الدواء لذلك الداء، أن تعلم أن الآخرة أفضل من الدنيا من جهتين أنها خير منها، وأنها أبقى منها، ولو لم تكن إلا هذه الصفة الأخيرة لكان على العاقل أن يختارها فكيف مع اجتماع هاتين الصفتين، وهذا معنى قول من قال من السلف "لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان على العاقل أن يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى".

ولكن لماذا يختار الناس الدنيا ويتركون الآخرة التي هي خير وأبقى، والجواب في قوله تعالى (كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وتذرون الآخرة) (القيامة: ٢٠).

ولذلك فإن العلاج ليس فقط معرفة أن الآخرة خير وأبقى بل في استحضار ذلك ماثلاً أمام العين، كما في حديث حنظلة ـ رضي الله عنه ـ: (نكون عندك يا رسول الله فتذكرنا بالجنة والنار حتى كأنها رأي العين).

(إِنّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) أي أن هذه الموعظة قد نزلت في الكتب السماوية السابقة، قيل بنصها وقيل بمعناها، وخص بالذكر إبراهيم وموسى عليهما السلام لكونهما أفضل الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

الليلة الثانية عشر

ليت شعري من غرني بك يا رياح

امرأة رياح القيسي –رحمه الله –قال أبو يوسف البزار تزوج رياح القيسي امرأة فبني بها فلما أصبح قامت إلى عجينها فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحا القيسي ولم أرني تزوجت جبارا عنيدا، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياحا فقال: أقوم. فقامت الربع الأخير ثم نادته فقالت: قم يا رياح فقال أقوم.

فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون، وأنت نائم ليت شعري من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي

عن سيار قال: حدثني رياح قال: ذكرت لي امرأة فتزوجتها فكانت إذا صليت العشاء الآخر تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها ثم تأتني فتقول: ألك حاجة؛ فإن قلت: نعم كانت معي وان قلت: لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح. (٥٤)

دروس وعبر

هكذا كانت العابدات القانتات بين يدي رب الأرض والسماوات لم يكن شغلهن في مكياج ولا برفان وإنما كان شغلهم في طاعة الرحمن وقراءة القرآن، ومناجاته في الأسحار،

فلو كان النساء كمن ذكرن لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخـر للهلال.

* **علو الهمة في طاعة الله تعالى من سمات الصالحين و الصالحات:** قال الله تعالى {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥]

منيفة بنت أبي طارق

قال مسمع بن عاصم المسمعي قال كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها منيفة فكانت إذا هجم الليل عليها قالت بخ بخ يا نفس قد جاء سرور المؤمن فتتحزم وتلبس وتقوم إلى

---

٥٤ – صفة الصفوة (٤/ ٤٤)

محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتى ينادي بالعصر فإذا صلت العصر هجعت إلى غروب الشمس هذا دأبها فقيل لها لو جعلت هذه النومة في الليل كان أهدأ لبدنك فقالت لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا)([٥٥])

الليلة الثالثة عشر

فقه الأوليات دليل على صلاح البدايات

[٥٥] – صفة الصفوة (٤/ ٧٣)

قال أبو نصر التمار: إن رجلًا جاء يودع بشر بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج، فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددتَ للنفقة؟ فقال: ألفي درهم، قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك، تزهدًا أو اشتياقًا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله، قال: فإن أصبتَ مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك، وتنفق ألفي درهم، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى، أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب، فأعطها عشرة أنفس، مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحدًا فافعل؛ فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضلُ من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قُم فأخرجها كما أمرناك، وإلا فقُل لنا ما في قلبك، فقال: يا أبا نصر، سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر – رحمه الله – وأقبل عليه، وقال له: المال إذا جُمع من وَسَخ التجارات والشبهات، اقتضت النفس أن تقضي به وطرًا، فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ألا يقبل إلا عمل المتقين..

دروس وعبر

كم مليون مسلم يحجُّون كل عام حجة نافلة؟ معظم الحجيج ليست الحجة الأولي لهم.

وكم مليون مسلم لاجئ ألجأته الحروب على كراسي الحكم إلي التسول والغرق في سواحل أوروبا؟ ولقد رأيتم العائلات من أطفال ونساء وشباب جثثا هامدة على السواحل.

من تمام الفقه والبصيرة في دين الله تعالى تقديم الأعمال ذات النفع المتعدي على الأعمال ذات النفع الخاص؛ قال الله عزوجل: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)} (التوبة: ١٩–٢٠).

فسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من أعمال البر المحمودة؛ لكن الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله أعظم درجة عند الله تعالى لأن نفعها أعظم للأمة، ولهذا قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم" : «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا»

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

مَنْ كَانَ يَخضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خيله في باطل فخيولنا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ

رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا وَهَجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ

وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ

لَا يَسْتَوِي وَغُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانِ نَارٍ تَلْهَبُ

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

الليلة الرابعة عشر

غرور المتعبدين

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ « كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِى إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلِّنِى وَرَبِّى أَبُعِثْتَ عَلَىَّ رَقِيبًا فَقَالَ وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِى عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِى يَدِى قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِى وَقَالَ لِلآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

دروس وعبر

من تعظيم الله عدم الاغترار بالطاعة ولو كثرت، وعدم احتقار المعصية ولو قلّت، فإبراهيم يطلب ستر ربه وهو إمام الحنفاء (ولا تخزني يوم يبعثون)

وحذرنا ربنا عز وجل من الغرور والعجب، فقال لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم: "وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ" [المدثر: ٦]. قال الحسن البصري: (لا تمنن بعملك على ربك تستكثره)، فإنه مهما كُثُرَ العمل ففضل الله أعظم، وحقه أكبر.

وقد عد صلى الله عليه وسلم ثلاثاً مهلكات، فقال: (ثلاث مهلكات) ثم ذكرهن فقال: (شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه). والإعجاب بالنفس شر كبير،

قال ابن المبارك: (لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب). وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (الهلاك في شيئين: العجب والقنوط).

الليلة الخامسة عشر

من الحـر أفـر

عن الأصمعي أنه قال: هجم على شهر رمضان، وأنا بمكة، فخرجت إلى الطائف لأصوم بها هربًا من حر مكة، فلقيني أعرابي، فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه. فقلت له: أما تخاف الحر؟

فقال: من الحر أفر.

وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم، فإن رجلاً قال له – وقد صلى ليلة حتى أصبح: أتعبت نفسك، فقال: راحتها أطلب.

دروس وعبر

الأجر على قدر المشقة: جاء رمضان في هذا العام والحرارة مرتفعة والشمس حارقة والأعمال شاقة فاحتسب الأجر والمثوبة عند الله تعالى فاجرك على قدر مشقتك لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: (إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك)(٥٦).

قال النووي في "شرح مسلم": " قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَى قَدْر نَصَبك أَوْ قَالَ: نَفَقَتك) هَذَا ظَاهِر فِي أَنَّ الثَّوَاب وَالْفَضْل فِي الْعِبَادَة يَكْثُر بِكَثْرَةِ النَّصَب وَالنَّفَقَة، وَالْمُرَاد النَّصَب الَّذِي لا يَذُمّهُ الشَّرْع، وَكَذَا النَّفَقَة " انتهى.(٥٧)

ومنها حديث " أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام " (٥٨)

لأن الأبعد يبذل مشقة أكثر ولأن في الانتظار مشقة

ثانيا: لا تتكاسل عن الطاعات بسبب الحر وشدته فلا راحة لك الا تحت شجرة طوبى واعلم ان المنافقين تكاسلوا وركنوا الى الدعة فوبخهم الله تعالى في كتابه فالله تعالى يقول { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ

---

٥٦ – رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١١٦) وأصل الحديث في الصحيحين

٥٧ – شرح النووي على مسلم (٨/ ١٥٢)

٥٨ – أخرجه البخاري (١/٢٣٣، رقم ٦٢٣)، ومسلم (١/٤٦٠، قم ٦٦٢)

جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }

[التوبة: ٨١، ٨٢]

الليلة السادسة عشر

رمضان مضمار سباق

مر الحسن بقوم يضحكون في شهر رمضان، فقال: يا قوم، إن الله جعل رمضان مضمارًا لخلقه، يتسابقون فيه إلى رحمته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المتخلفون؟ أما والله، لو كشف الغطاء لشغل محسنًا إحسانه، ومسيئًا إساءته.

ونظر عبد الله إلى رجل يضحك مستغرقًا، فقال له: أتضحك، ولعل أكفانك قد أخذت من (عند) القصار.

دروس وعبر

الدرس الأول: احذر من شياطين رمضان الإنسية: فالله تعالى صفد مردة الشياطين لتكون حرا من وساوس إبليس ومردته كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: ' إذا كان أول ليلة من رَمَضَانَ صُفدت الشياطين مَرَدَةُ الجن، وغُلِّقَتْ أبواب النار فلم يفتح منها بابٌ، وفتحت أبواب الجنان فلا يغلق منها باب، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار '. زاد فيه أبو كريب، عن أبي بكر بن عياش: ' وذلك عند كل ليلة '(٥٩)

أما شياطين الإنس أعادنا الله منهم فقد اخذوا عدتهم ونصبوا شباكهم قبل حلول رمضان بأشهر

فهناك المسلسلات الرمضانية والمسابقات الرمضانية والمقاهي الرمضانية والدورات الرمضانية والليالي الرمضانية وكل سهو ولهو وانشغال بالمعاصي والذنوب ومسابقة إلى ما يوبق الإنسان ويضيع عليه وقته وعمره

ثانيا المبادرة إلى الطاعة والاجتهاد في تحصيلها لان الوقت اذا مر لا يعود والنبي – صلى الله عليه وسلم– امرنا بالمبادرة إلى الأعمال عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، قَالَ: بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَالدَّجَّالَ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ.(٦٠)

---

٥٩ – خرجه الترمذي (٦٦/٣، رقم ٦٨٢)، وابن ماجه (٥٢٦/١، رقم ١٦٤٢)

٦٠ – أخرجه مسلم (٢٩٤٧)

وقال الحسن البصري –رحمه الله –: "يا ابن آدم، اعلم أنك أيام معدودة، فإذا مرَّ يومٌ مرَّ جزءٌ منك، وإذا مرَّ الجزء مرّ الكل، وأنت تعلم فاعمل".

وصدق القائل حيث قال:

إنَّا لنفرحُ بالأيام نَقْطَعها وكل يوم مضى يُدنِي من الأجلِ

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإنما الربح والخُسران في العملِ

عن سُحيم مولى ابن تميم قال: "جلستُ إلى عامر بن عبدالله وهو يُصلِّي، فجوَّز في صلاته، ثم أقبَل عليَّ، فقال: أرحني بحاجتك فإني أُبادِر! قلت: وما تُبادِر؟ قال: ملكَ الموت رحِمَك الله! قال: فقمتُ عنه وقام إلى صلاته"؛(٦١)

ومرَّ داود الطائي، فسأله رجل عن حديث، فقال: "دَعْني، فإني إنما أُبادِر خروج نفسي"؛(٦٢)

---

[٦١] – قصر الأمل: ص ١٠٣)، (إحياء علوم الدين: ٦٦٨/٤).

[٦٢] –(قصر الأمل: ص ١٠٣)، (إحياء علوم الدين: ٦٦٨/٤).

الليلة السابعة عشر

كما تدين تدان

تحدث أحد الآباء، أنه قبل خمسين عاماً حج مع والده، بصحبة قافلة على الجمال،

وعندما تجاوزوا منطقة عفيف، وقبل الوصول إلى ظلم، رغب الأب – أكرمكم الله – أن يقضي حاجته فأنزله الابن من البعير، ومضى الأب إلى حاجته، وقال للابن: انطلق مع القافلة أنت وسوف ألحق بكم

مضى الابن، وبعد برهة من الزمن التفت ووجد أن القافلة بعدت عن والده فعاد جارياً على قدميه ليحمل والده على كتفه، ثم أنطلق يجري به

يقول الابن: وبينما هو كذلك أحسست برطوبة تنزل على وجهي وتبين لي أنها دموع والدي، فقلت لأبي:

والله أنك أخف على كتفي من الريشة

فقال الأب: ليس لهذا بكيت، ولكن في هذا المكان حملت أنا والدي

دروس وعبر

فضل بر الوالدين: دعا الإسلام إلى بر الوالدين والإحسان إليهما فقال الله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

رضا الله في رضا الوالدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رضا الله من رضا الوالد وسخط الله من سخط الوالد".

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر عن أَبي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ ثَلاثًا، قَالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْراكُ بِاللهِ وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ وَجَلَسَ، وَكانَ مُتَّكِئًا، فَقالَ أَلا وَقَوْلُ الزّورِ قَالَ فَما زَالَ يُكَرِّرُها حَتّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَتَ(٦٣)

٦٣ – أخرجه البخاري في: ٥٢ كتاب الشهادات: ١٠ باب ما قيل في شهادة الزور

بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله:

عن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ برُّ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي] (٦٤)

طول العمر وزيادة الرزق:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٦٥)

٦٤ – أخرجه الحميدي (١٣١) والدارمي (٢٧٤١) والبخاري (١٨٨/٣) وفي «خلق أفعال العباد» (٢١)

٦٥ – مسند أحمد ت شاكر (٢/ ١٠٥) إسناده صحيح،

الليلة الثامنة عشر

احفظ الله يحفظك

دعا أبو جعفر المنصور العالم سفيان الثوري ليوليه القضاء في إحدى ولاياته، فلما مثل سفيان بين يديه، قال له المنصور: إنا نريد أن نوليك القضاء في بلدة كذا، فأبى سفيان، وأبو جعفر يكرر عليه ويأبى سفيان الثوري. فقال له المنصور: إذن نقتلك، قال سفيان: افعل ما شئت.

فصاح المنصور: يا غلام النطع والسيف، فاقبلوا بالنطع (وهو جلد يوضع تحت الذي يُقتل حتى لا تتسخ الأرض بدمه)، ثم أقبلوا بالسيف، فلما رأى سفيان السيف، علم أن الأمر جدي، فقال سفيان: أيها الخليفة أنظرني إلى غدٍ آتيك بزي القضاة.

فلما أظلم عليه الليل، ركب دابته وخرج من الكوفة هاربا، فلما أصبح أبو جعفر انتظر سفيان الثوري أن يقدم إليه، فلم يقدم عليه حتى وقت الضحى، فأمر رجاله أن يلتمسوه، فرجعوا إليه يقولون له إن سفيان الثوري قد خالفك وهرب في ظلمة الليل.

فغضب أبو جعفر، وأرسل إلى جميع الولاة بأنه من يأتي بسفيان الثوري حيا أو ميتا له كذا وكذا.

هرب سفيان الثوري وذهب إلى اليمن، وفي طريقه احتاج إلى المال، فأجر نفسه عند صاحب بستان على طريق اليمن، فأخذ يشتغل فيه أياماً، وبعد عدة أيام جاء صاحب البستان، فسأله: من أين أنت يا غلام؟؟؟ (وكان لا يعرف أنه سفيان الثوري عالم المسلمين العابد الزاهد،)، فأجابه سفيان: أنا من الكوفة، فسأله صاحب البستان: أرطب الكوفة أطيب أم الرطب الذي عندنا؟؟

فأجابه سفيان: أنا ما ذقت الرطب الذي عندكم!!!

قال صاحب البستان: سبحان الله!! الناس جمعيهم صغيرهم وكبيرهم بل حتى الحمير والكلاب اليوم تأكل الرطب من كثرته، وأنت ما أكلت الرطب؟! لمَ لم تأكل من المزرعة الرطب وأنت تعمل فيها؟

قال سفيان: لأنك لم تأذن لي بذلك فلا أريد أن أدخل في جوفي شيئاً من الحرام.

فعجب صاحب البستان من ورعه، وظن أنه يتصنع الورع، فقال لسفيان: أتتصنع الورع، والله لو كنت سفيان الثوري!!! (وكان لا يعرف أنه سفيان الثوري) فسكت سفيان، فخرج صاحب البستان إلى صديق

له، فقال له: إن لي غلام يعمل في البستان ومن شأنه كذا وكذا، وأنه يتصنع الورع والله لو أنه سفيان الثوري.

سأله صاحبه: وما صفته؟؟ قال: من صفته كذا وكذا.

قال صاحبه: هذه والله هي صفة سفيان، فتعال نقبض عليه ونحوز على جائزة الخليفة، فلما أقبلوا على البستان، فإذا سفيان قد أخذ متاعه وفر إلى اليمن.

وقد اشتغل عند أناس ما لبث حتى اتهموه بالسرقة. فحملوه إلى والي اليمن، فلما دخل على الوالي، ونظر إليه، رأى رجلاً وقوراً.

فسأله: هل سرقت؟؟ قال سفيان: لا والله ما سرقت.

قال الوالي: هم يتهمونك أنك سرقت، رد سفيان: تهمة يتهموني بها فليلتمسوا متاعهم أين يكون؟

فأمرهم والي اليمن بالخروج من عنده، حتى يحقق مع سفيان الثوري لوحده ويسأله.

فسأله: ما اسمك؟

قال سفيان: أنا اسمي عبد لله.

قال الوالي: أقسمت عليك أن تقول اسمك فكلنا عبيدٍ لله.

قال: أنا اسمي سفيان.

قال: سفيان ابن من؟

رد سفيان: اسمي سفيان بن عبد لله.

قال الوالي: أقسمت عليك أن تخبرني باسمك واسم أبيك وان تنتسب.

قال: أنا اسمي سفيان بن سعيد الثوري.

فأنتفض الوالي وقال: أنت سفيان الثوري!!!، قال: نعم، قال: أنت بغية أمير المؤمنين، رد سفيان: نعم، قال: أنت الذي فررت من بين يدي أبي جعفر المنصور، قال: نعم، قال: أنت الذي أرادك على القضاء فأبيت، قال: نعم، قال: أنت الذي جعل فيك الجائزة، قال: نعم.

عندها خفض الوالي رأسه قليلاً ثم رفعه، ثم قال: يا أبا عبد الله أقم كيف شئت وارحل كيف شئت، فو الله لو كنت مختبئاً تحت قدمي ما رفعتها عنك.

عندها خرج سفيان ورحل إلى مكة، وسمع أبو جعفر أن سفيان في مكة، وكان حينها وقت الحج، فأرسل أبو جعفر الخشابين وقال لهم: انصبوا الخشب واقبضوا عليه، وعلقوه على باب الحرم حتى آتي أنا وأقتله بنفسي وأُذهب ما في قلبي من غيظ عليه.

دخل الخشابون الحرم، وبدأوا يصيحون: من لنا بسفيان الثوري؟ فلما علم بهم سفيان، فإذا هو بين العلماء أحاطوا به يسألونه وينهلون من علمه، فلما سمع العلماء بالخشابين ينادون به، قالوا لسفيان: يا أبا عبد الله لا تفضحنا فنُقتل معك.

عندها قام سفيان وتقدم حتى وصل إلى الكعبة، ثم رفع يديه وقال: اللهم إني أقسمت عليك أن لا يدخلها أبو جعفر، اللهم إني أقسمت عليك أن لا يدخلها أبو جعفر (أي أن لا يدخل أبو جعفر مكة)، وأخذ يكرر دعاءه. فإذا بهذه الدعوات تقرع أبواب السماوات، فينزل ملك الموت فيقبض روح أبو جعفر المنصور وهو على حدود مكة، ويدخل أبو جعفر مكة ميتاً

دروس وعبر

أن من حفظ الله حفظه الله تعالى كما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيه وسَلم: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، وَاحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، وَتَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّ الْخَلاَئِقَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُعْطِيَكَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، أَوْ أَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعْطِيَكَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.([٦٦])

[٦٦] – أخرجه أحمد (٢٩٣/١، رقم ٢٦٦٩)، والترمذي (٦٦٧/٤، رقم ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح

الليلة التاسعة عشر

حفظ الله تعالى لمال عبده

متي كَانَ الْعَبْد منشغلاً بطاعة اللّه تعالى يحفظه فِي تلك الحال كما فِي مسند الإمام أَحمَد عن حميد بن هلال عن رجل قال: أتيت النَّبِيّ صلى اللّه عليه وسلم فإِذَا هُوَ برَبِّي بيتنا فَقَالَ: «إن امرأة كانت فِيه فخرجت فِي سرية من الْمُسْلِمِيْنَ وتركت ثنتي عشرة عنزاً وصيصيتها ([٦٧]) قال: ففقدت عنزاً وصيصيتها كانت تنسج بها. فقَالَتْ: يا رب إنك قَدْ ضمنت لمن خرج فِي سبيلك أن تحفظ عَلَيْهِ ولأني قَدْ فقدت عنزاً من غنمي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصيتي».

قال: فجعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يذكر شدة مناشدتها ربهَا تبارك وتعالى. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم: «فأصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها وهاتيك فأتها إن شئت» قال: فقُلْتُ بل أصدقك.([٦٨])

وكَانَ بعض السَّلَف بيده الميزان يزن به دراهم فسمَعَ الآذَان فنهض ونفضها عَلَى الأرض وذهب إلى الصَّلاة فَلَمَّا عاد جمعها فلم يذهب منها شيء.

ومن أنواع حفظ اللّه لمن حفظه فِي دنياه أن يحفظه من كُلّ شر كُلّ من يريده بأذي من الجن والإنس كما قال تعالى: {ومن يتق اللّه يجعل لَهُ مخرجاً} قَالَتْ عَائِشَة رَضِيَ اللّهُ عنهَا: يكفِيه غم الدُّنْيَا وهمها.

وَقَالَ الربيع بن خيثم: يجعل لَهُ مخرجاً من كُل ما ضاق عَلَى الناس. وكتبت عَائِشَة رَضِيَ اللّهُ عنهَا إلى معاوية: إن اتقيت اللّه كفاك الناس. وإن اتقيت النَّاس لم يغنوا عنكَ من اللّه شيئاً.

كتب بعض السَّلَف إلى أخيه: أما بعد فإنه من اتقي اللّه فقَدْ حفظ نَفْسه ومن ضيع تقواه فقَدْ ضيع نَفْسهُ واللّه الغني عنه

تَجِدْ نَفْعَهَا يَوْمَ الحِسَابِ المُطَوَّلِ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ

وَأَفْضَلُ زَادِ الضَّاعِنِ المُتَحَمِلِ ألا إِنَّ تَقْوَى اللّهِ خَيْرُ بِضَاعَةٍ

وقال آخر:

---

[٦٧] – الصيصية: الصنارة التي يغزل بها وينسج. النهاية في غريب الأثر (٣/ ١٤٠)

[٦٨] – الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٧/ ٣٥٠) انظر الصحيحة: ٢٩٣٥

وَلاَ خَيْرَ فِي طُوْلِ الحَيَاةِ وعَيْشِهَا إِذَا أَنْتَ مِنْهَا بِالتُّقَى لم تُزَوَّد

ومتى كان العبد مشتغلًا بطاعة الله عز وجل، فإن الله تعالى يحفظه في تلك الحال.

– كان شيبان الراعي يرعى غنمًا في البرية، فإذا جاءت الجمعة خطَّ عليها خطًّا، وذهب إلى الجمعة، ثم يرجع وهي كما تركها!!

– وكان بعض السلف في يده الميزان يزن بها دراهم، فسمع الأذان، فنهض ونفضها على الأرض، وذهب إلى الصلاة، فلما عاد جمعها فلم يذهب منها شيء.

الليلة العشرون

عيش السعداء

قال إبراهيم بن بشار، : خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟ ! ([٦٩])

دروس وعبر

النعيم الحقيقي في طاعة الرب العلي: أن النعيم لا يدركه الإنسان بالمال ولا يدركه الإنسان بالمنصب ولا يدركه الإنسان بالحسب والعزوة

فكم من صاحب مال في هم وشقاء وكرب وعناء

وكم من صاحب منصب قد أصابه الوصب والنصب

وكم من إنسان شقي بحسبه وما نفعه نسبه

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيدُ

قال هشام بن عبد الملك – الخليفة –: عددت أيام سعادتي فوجدتها ثلاثة عشرة يوماً.

---

[٦٩] – من كتاب الزهد والرقائق الخطيب البغدادي

وكان أبوه عبد الملك يتأوه ويقول: يا ليتني لم أتولَّ الخلافة. فكان سعيد بن المسيب يقول عندما يسمع هذا: الحمد لله الذي جعلهم يفرُّون إلينا، ولا نفر إليهم.

فكم من منصب قتل صاحبه، وكم من إمارة كانت وبالاً ونكالاً على طالبها، قال الشاعر:

وأعز ما يبقى ودادٌ دائمٌ إن المناصبَ لا تدوم طويلاً

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: ((قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافا، وقنعه الله بما آتاه)) ([٧٠])

إنها الجنة التي لما دخلها الداراني قال: إن أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم... وإنه لتأتي على القلب أوقات يرقص فيها طربا من ذكر الله فأقول: لو أن أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب".

[٧٠] – أخرجه: مسلم ١٠٢/٣ (١٠٥٤) (١٢٥).

الليلة الحادية والعشرون

الهدف من العبادة التهذيب لا التعذيب

عند الطبراني من حديث كَهْمَس الهلالي رضي الله عنه – وهو يبين لنا بجلاء زجْر النبي عليه الصلاة والسلام لمن يظن أن العبادات شُرعت للتعذيب – فقال: "قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقمتُ عنده ثم خرجتُ عنه، فأتيتُه بعد حَوْلٍ فقلتُ: "يا رسول الله، أما تعرفني؟"، قال: ((لا))، قلتُ: "أنا الذي كنتُ عندك عام أوَّل"، قال: ((فما غيَّرك بعدي؟))، قال: "ما أكلت طعامًا بنهار منذ فارقتُكَ"، قال: ((فمَن أمرك بتعذيب نفسك؟! صم يومًا من السَّرَر))، قلتُ: "زدني"، فزادني حتى قال: ((صم ثلاثة أيام من الشهر)).

دروس وعبر

اعلم بارك الله فيك أن الإسلام دين اليسر والرفق وليس دين المشقة والتشدد ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخًا يُهادَى بين ابنيه، فقال: ((ما بال هذا؟))، قالوا: "نَذَر أن يمشي"، قال: ((إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغنيٌّ)) وأمَرَه أن يركب. ([71])

تأمل معي ما جاء عند مسلم في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبلٌ ممدود بين ساريتين، فقال: ((ما هذا؟))، قالوا: "لزينب؛ تصلي، فإذا كسلت –أو فترَت – أمسكت به"، فقال: ((حُلُّوهُ؛ لِيصلِّ أحدكم نشاطَه، فإذا كسل – أو فتر – قعد))، ([72])

وفي الصحيحين من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا نعس أحدكم وهو يصلي، فليرقد حتى يذهب عنه النوم؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعسٌ لا يدري لعله يذهب فيستغفر فيسُب نفسه)). ([73])

---

[71] – أخرجه أحمد (١٨٣/٣، رقم ١٢٩١٢)، والبخاري (٢٤٦٤/٦، رقم ٦٣٢٣)، ومسلم (١٢٦٣/٣، رقم ١٦٤٢)

[72] – أخرجه: البخاري ٦٧/٢ (١١٥٠)، ومسلم ١٨٩/٢ (٧٨٤) (٢١٩).

[73] – أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٨ باب ما يكره من التشديد في العبادة

روى البخاري في الصحيح من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظلَّ، ولا يتكلمَ، ويصومَ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مُرُوه فليجلس وليستظلَّ وليتكلمْ وليتمَّ صومه)).([٧٤])

[٧٤] – أخرجه عبد الرزاق (٤٣٦/٨، رقم ١٥٨٢١)

الليلة الثانية والعشرون

لقمة بلقمة

وفي تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال: بينما امرأة من بني إسرائيل، على ساحل البحر تغسل ثيابها، وصبي لها يدب بين يديها، إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعدو خلفه وتقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني، فبعث الله ملكا فنزع الصبي من فم الذئب ورمى به إليها.

وقال: لقمة بلقمة. وهو في الحلية عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة.([٧٥])

دروس وعبر

* **الدرس الأول: صنائع المعروف تقي مصارع السوء:** عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال :رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف([٧٦])

قال الحسن البصري: " ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكن قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكأً"

هناك فرق بين من عرف الله في الرخاء ومن ضيعه، فرق بين من أطاع الله في الرخاء ومن عصاه.

---

[٧٥] – المستطرف في كل فن مستظرف: ١/٣٧. حياة الحيوان الكبرى (١/ ٥٠٣)

[٧٦] – المعجم الكبير للطبراني – (٧/ ٣٠٠) (٧٩٣٩) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٧٦٠ في صحيح الجامع

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته.

وكان سفيان الثوري يقول: إنما هو إطعام الطعام وقراءة القرآن، فينبغي على المسلم أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يدارس القرآن من هو أحفظ له منه في هذا الشهر المبارك.

* **الدرس الثاني: فضل إطعام الطعام:** يقول الزهري رحمه الله: شهر رمضان شهر قرآن وإطعام طعام.

لا ثالث لهما، إما أن تقرأ القرآن أو تطعم المساكين، وكان السلف في ليالي رمضان يطعمون المساكين، والفقراء، والجياع، ويتقربون إلى الله بهذا { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً } [الإنسان: ٨-٩] رمضان شهر إطعام الطعام.

أتعلم أن هناك من المسلمين من يمر عليه رمضان وغير رمضان ولا يفرق؛ لأنه لا يأكل شيئاً؟ هو صائمٌ طوال العام، إن حصل على وجبة واحدة في اليوم والليلة، فهنيئاً له في ذلك اليوم أسمعت بمسلمين يبحثون عن الطعام في القمامات؟! أسمعت بمسلمين تنظر الأم إلى رضيعها ليس في ثديها قطرة لبن ترضعه، ويموت بين يديها ولا تستطيع أن تفعل شيئاً؟! أسمعت بمسلمين الآن في هذا الزمن يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ليس عندهم رطبات يسدون بها جوعهم؟! أسمعت بهذا يا من فرشت لك الولائم! ويا من غضبت إذا نقص شيءٌ من أصناف الطعام! ويا من تشتكي من التخمة ومن كثرة الطعام! ويا من ألهتك تلك الملذات والشهوات عن إخوانك المسلمين؟!

إنه شهر إطعام الطعام (من فطّر صائماً فله مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شيئاً) { هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [محمد: ٣٨].

الليلة الثالثة والعشرون

وما أدراك ما العقبة

قال شبيب بن شيبة: "كنا بطريق مكة وبين أيدينا سفرة لنا نتغدى في يوم قائظ، فوقف علينا أعرابي ومعه جارية له زنجية، فقال: يا قوم! أفيكم أحد يقرأ كلام الله حتى يكتب لي كتاباً؟ قال: قلنا: أَصِبْ من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد. قال: إني صائم. فعجبنا من صومه في تلك البرية، فلما فرغنا من غدائنا دعونا به، فقلنا: ما تريد؟

فقال: أيها الرجل! إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، فإني أردت أن أعتق جاريتي هذه لوجه الله وليوم العقبة، أتدري ما يوم العقبة، قوله ـ عز وجل ـ {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ} [البلد: ١١، ١٢]، فاكتب ما أقول لك ولا تزيدن حرفاً: هذه فلانة خادم فلان قد أعتقها لوجه الله وليوم العقبة. قال شبيب: فأتيت بغداد فحدثت بهذا الحديث المهدي، فقال: مائة نسمة تُعتق على عُهدة الأعرابي"

دروس وعبر

الدرس الأول: ما هي العقبة

عن ابن عمر أن العقبة جبل زلال في جهنم.

وأخرج ابن جرير عن الحسن نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها النار. وفي رواية عبد بن حميد عنه أنها عقبة بين الجنة والنار.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي رجاء أنه قال: " بلغني أن العقبة التي ذكر الله تعالى في القرآن مطلعها سبعة آلاف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة ".

الدرس الثاني كيف تقتحم العقبة ؟

اطعام الطعام {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ } [البلد: ١٤]: السغب. قال أبو حيان: وهو الجوع العام، وقد يقال: سغب الرجل إذا جاع. وقال الراغب: هو الجوع مع التعب، وربما قيل في العطش مع التعب.

{ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} [البلد: ١٥] :أي قرابة فهو مصدر ميمي أيضا من قرب في النسب. يقال: فلان ذو قرابتي وذو مقربتي بمعنى. قال الزجاج: وفلان قرابتي قبيح، لأن القرابة مصدر، قال:

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

وفيه بحث. وفي إطعام هذا جمع بين الصدقة والصلة وفيهما من الأجر ما فيهما. وقيل أنه لا يخص القريب نسبا بل يشمل من له قرب بالجوار.

{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد: ١٦]: أي افتقار

وعن ابن عباس أنه فسره هنا بالذي لا يقيه من التراب شيء. وفي رواية أخرى: هو المطروح على ظهر الطريق قاعدا على التراب لا بيت له. وهو قريب مما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا، هو الذي مأواه المزابل. فإن صح لا يعدل عنه.

الليلة الرابعة والعشرون

تلك الملائكة دنت لصوتك

عن أسيد بن حضير قال :بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذا جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتراه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له : اقر أبن حضير اقرأ يا بن حضير ، قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان قريبا فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها : قال وتدري ما ذاك ، قال: لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم ([٧٧])

دروس وعبر

فتأمل حال هؤلاء الصالحين من الصحابة –رضي الله عنهم –وهم يقرءون القرآن بالليل، كانت بيوتهم تدوي مثل خليه النحل من قراءة القران وذكر الرحمن... فمكن الله تعالى لهم في الأرض وأبقي ذكرهم في الآخرين وأيدهم بملائكته المقربين

وفى هذا الحديث:

* **أن الملائكة تحب أن تسمع القرآن من بنى آدم لا سيما قراءة المحسنين منهم** ، وكان أسيد بن حضير حسن الصوت بالقرآن ودل قوله (صلى الله عليه وسلم) لأسيد : لو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها لا تتوارى منهم على حرص الملائكة على سماع كتاب الله من بنى آدم .

وقد جاء في الحديث أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يضئ لأهل السماء كما يضئ النجم لأهل الأرض وتحضره الملائكة ، وهذا كله ترغيب في حفظ القرآن ، وقيام الليل به ، وتحسين قراءته .

---

[٧٧] – أخرجه أحمد ح ١١٧٦٦ ، و البخاري جـ ٥٠١٨. وأخرجه مسلم (٧٩٦) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٤٤)

*وفيه جواز رؤية بنى آدم للملائكة إذا تصورت في صورة يمكن للآدميين رؤيتها ، كما كان جبريل (صلى الله عليه وسلم) يظهر للنبي (صلى الله عليه وسلم) في صورة رجل فيكلمه ، وكثيرًا ما كان يأتيه في صورة دحية الكلبى وقد تقدم في باب الكهف تفسير السكينة بما أغنى عن إعادته . وقوله : (لو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) حجة لمن قال : إن السكينة روح أو شيء فيه روح ؛ لأنه لا يصح حب استماع القرآن إلا لمن يعقل .)([٧٨])

*و فيه : أن الملائكة أجسام نورانية – قد طهرهم الله – عز وجل – من الشهوات الحيوانية .. ولا يتصفون بأوصاف البشر من الذكورة والأنوثة .. ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولا ينامون .. فقد أبطل الله –عز وجل – زعم الكفار أن الملائكة بنات الله، قال تعالي {وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ الرّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ} (سورة الزخرف ـ الآيتان ١٩، ٢٠.)

وقال تعالى: {أَلَكُمُ الذّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى} . (سورة النجم ـ الآيتان ٢١، ٢٢.)

وقال تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَم مّنْ خَلَقْنَآ إِنّا خَلَقْنَاهُم مّن طِينٍ لاّزِبٍ} (سورة الصافات ـ الآية ١١.)

وقال تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلاَئِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلاَ إِنّهُم مّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ وَإِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (سورة الصافات ـ الآيات من ١٤٩ : ١٥٢.)

[٧٨] – شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال (١٠/ ٢٥٤)

الليلة الخامسة والعشرون

لا تدعوا على أولادكم

قال السيوطي في ترجمة الزمخشري: "كان يمشي في جارن خشبٍ لأنه سقطتْ رجلُه في بعض الأسفار من الثلج في بلاد خوارزم، وكان معه محضرٌ فيه شهادة خلقٍ كثيرٍ ممَّن اطلعَ على حقيقة ذلك.

ولما دخل بغدادَ اجتمع بالدامغاني الفقيه فسأله عن قطع رجله فقال له: دعاء الوالدة، وذلك أني في صبايَ أمسكتُ عصفورًا وربطتُه بخيطٍ في رجله، وأفلتَ من يدي فأدركتُه وقد دخل في خرقٍ فجذبتُه فانقطعتْ رجلُه في الخيط، فتألَّمتْ والدتي لذلك وقالتْ: قطعَ اللهُ رجلَك كما قطعتَ رجلَه.

فلما وصلتُ إلى سنِّ الطلب ارتحلتُ إلى بخارى، فسقطتُ عن الدابة، فانكسرتْ رجلي، وعملتْ على عملٍ أوجبَ قطعها". تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب (١/ ٣٧٨). ولتُحرر الجملة الأخيرة.

دروس وعبر

الدر الأول: نهي النبي – صلى الله عليه وسلم–عن الدعاء على الأبناء

من التوجيه النبوي الكريم قولُه عليه الصلاة والسلام: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسألُ فيها عطاء فيَستجيب لكم")

الدرس الثاني: أن دعوة الإباء مستجابة

ودعاء الوالد لولده أو عليه مستجاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ) رواه

ابن ماجه (٣٨٦٢) وحسنه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٥٩٦) . ولفظ الإمام أحمد (٧١٩٧)

ثالثا من رحمة الله تعالى عدم استجابة دعوة الإباء على الأبناء في ساعة الغضب

من رحمة الله تعالى أنه لا يستجيب دعاء الوالدين على أولادهما إذا كان في وقت الغضب والضجر، وذلك لقوله تعالى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يونس/١١ .

قال ابن كثير رحمه الله في " تفسيره " (٢/٥٥٤):

" يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده، وأنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم، أو أموالهم ، أو أولادهم ؛ في حال ضجرهم ، وغضبهم ، وأنه يعلم منهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك ، فلهذا لا يستجيب لهم – والحالة هذه – لطفاً ورحمة ، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم ، أو لأموالهم ، أو لأولادهم ، بالخير والبركة والنماء " انتهى .

الليلة السادسة والعشرون

هل أصابتك حسرة فوات العلم؟

كان أبو يوسف شديد الملازمة لأبي حنيفة لا يكاد يفارقه حتى في يوم العيد قال رحمه الله: مات ابنٌ لي، فلم أحضر جِهازَه ولا دفنه، وتركتُه على جيراني وأقربائي، مخافة أن يفوتني من أبي حنيفة شيء لا تذهب حسرته عني.

قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي (مرض أبو يوسف فأتيته أعوده، فوجدته مغمي عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم، ما تقول في مسألة ؟ قلت: في مثل هذه الحالة؟ قال: ولا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو به ناج .... ثم قال: يا إبراهيم: أيما أفضل في رمي الجمار، أن يرميها ماشياً أو راكباً؟ قلت: راكباً، قال أخطأت، قلت: ماشياً ، قال : أخطأت ، قلت : قل فيها يرضى الله عنك ، قال : أما ما كان يوقف عنده للدعاء ، فالأفضل أن يرميه ماشياً وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكباً ، ثم قمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه ، وإذا هو قد مات رحمة الله عليه) أهـ.

الدروس والعبر

الدرس الأول: الحرص الشديد على الوقت مهما كان حال الإنسان ... فهذا أبو يوسف رحمه الله

كان قد أفاق من الإغماء لتوه فلم ينتظر حتى تتحسن حاله بل بدأ بالمناقشة العلمية مع تلميذه، وإنا نشكوا إلى الله حالنا إذ أصبح أحدنا يعجز عن الاستفادة من الوقت وهو في تمام الصحة والعافية ، فنسأل الله تعالى ألا يكون ذلك دليل على الخذلان .

الثاني: إخلاص أبي يوسف في تعليمه للعلم أو مناقشته للمسائل الفقهية وذلك أوضح من قوله (لعله ينجو به ناج) وبهذا الإخلاص أبقي الله ذكرهم وعلمهم إلى يومنا هذا، وقد مات

أبو يوسف سنة ١٨٢هـ ، فأين هذا من الذين يناقشون المسائل لإظهار علمهم وإبداء جهل غيرهم والله المستعان.

الليلة السابعة والعشرون

الرضا جنة السالكين

لما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة، وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه، كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة. قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام، فتعرفت عليه فعرفني، وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت.: نعم، فذكر قصة قال في آخرها: فقلت له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك، فرد الله عليك بصرك! فتبسم، وقال: يا بني، قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري([٧٩])

دروس وعبر

سئل الحسن البصري: من أين أتِي هذا الخلق؟ قال: "من قِلَّة الرضا عن الله"، قيل له: ومن أين أتي قلّة الرضا عن الله؟ قال: "من قلّة المعرفة بالله". ([٨٠])

عن عبد الرحمن بن إبراهيم الفهري: عن أبيه قال: أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: إذا أوتيت رزقا مني فلا تنظر إلى قلته، ولكن انظر إلى من أهداه إليك، وإذا نزلت بك بلية، فلا تشكني إلى خلقي، كما لا أشكوك إلى ملائكتي حين صعود مساوئك وفضائحك إلي. ([٨١])

قال ابن عجيبة في تفسيره: "إذا عَلِمَ العبدُ أن الله كاف جميع عباده، وثق بضمانه، فاستراح من تعبه، وأزال الهموم والأكدار عن قلبه، فيدخل جنة الرضا والتسليم، ويهب عليه من روح الوصال وريحان الجمال نسيم، فيكتفي بالله، ويقنع بعلم الله، ويثق بضمانه([٨٢])

---

[٧٩] -(مدارج السالكين (٢/ ٢٢٧).

[٨٠] (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٦٠).

[٨١] -((المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي ١/ ١٠٨.).

[٨٢] – البحر المديد ٥/ ٣٢٠.

الليلة الثامنة والعشرون

رب لا تضيع عنده المظالم

خرج موسى عليه السلام يوما لمناجاة ربه سبحانه ثم سأل ربه قائلا: يا رب كيف يأخذ الضعيف حقه من القوي؟

قال له ربه سبحانه: اذهب بعد العصر إلى مكان كذا... في يوم كذا... لترى وتعلم كيف يأخذ الضعيف حقه من القوي

ذهب موسى إلى المكان فرأى شلالاً من الماء يخرج من جبل.

جلس موسى ينظر متفحصا متأملا فإذا بفارس يأتي راكبا ناقة له يريد الماء، نزل الرجل عن ركوبته وخلع حزامه الذي كان يعيق حركته أثناء وروده للماء ووضعه على جانب قريب منه، شرب الفارس واغتسل ثم انصرف ناسيا حزامه الذي وضعه في مكانه.

جاء غلام صغير راكبا حمارا إلى شلال الماء، واغتسل وشرب أيضا، ثم حمد الله تعالى، وعندما أراد الانصراف وقعت عينه على حزام الفارس الذي كان قد نسيه بجوار شلال الماء، فتح الغلام الحزام، فإذا هو ممتلئ بالذهب والأموال والمجوهرات النفيسة، أخذه وانصرف.

وبعد ذهابه بقليل، أقبل على الماء أيضا شيخ عجوز ليشرب ويغتسل، وبينما هو كذلك، جاء إليه الفارس الذي نسي حزامه عند شلال الماء مسرعا، يبحث عن حزامه فلم يجده، سأل الفارس الشيخ العجوز: أين الحزام الذي تركته هنا؟ أجاب الشيخ لا أعلم ولم أر هنا حزاما.

أشهر الفارس سيفه وقطع رأس الشيخ العجوز.

كان موسى عليه السلام ينظر ويتأمل ويفكر، قال يا رب: إن هذا الفارس ظلم عبدك الشيخ العجوز.

قال له ربه: يا موسى:

الشيخ العجوز كان قد قتل أبا الفارس منذ زمن، أما الغلام فكان أبوه قد عمل عند والد الفارس عشرين سنة ولم يعطه حقه.

فالفارس أخذ بحق أبيه من الشيخ العجوز، والغلام أخذ بحق أبيه من الفارس، وسبحان من سمّى نفسه الحقّ ولا تضيع عنده المظالم.

دروس وعبر

إن ربك لبالمرصاد {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: ١٤]فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم. فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب. حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية، على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

ومن وراء المصارع كلها تفيض الطمأنينة على القلب المؤمن وهو يواجه الطغيان في أي زمان وأي مكان. ومن قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: ١٤] تفيض طمأنينة خاصة. فربك هناك. راصد لا يفوته شيء. مراقب لا يند عنه شيء. فليطمئن بال المؤمن، ولينم ملء جفونه. فإن ربه هناك!.. بالمرصاد.. للطغيان والشر والفساد!

وهكذا نرى هنا نماذج من قدر الله في أمر الدعوة، غير النموذج الذي تعرضه سورة البروج لأصحاب الأخدود. وقد كان القرآن ولا يزال يربي المؤمنين بهذا النموذج وذاك. وفق الحالات والملابسات. ويعد نفوس المؤمنين لهذا وذاك على السواء. لتطمئن على الحالين. وتتوقع الأمرين، وتكل كل شيء لقدر الله يجريه كما يشاء.

{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: ١٤] يرى ويحسب ويحاسب ويجازي، وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ولا يأخذ بظواهر الأمور لكن بحقائق الأشياء.. فأما الإنسان فتخطئ موازينه وتضل تقديراته، ولا يرى إلا الظواهر، ما لم يتصل بميزان الله([٨٣])

[٨٣] – في ظلال القرآن (٨/ ٣٤٠)

الليلة التاسعة والعشرون

يا من شغله ماله عن صلاته

ما رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلا من الأنصار كان يصلي في حائط له بالقف في زمان التمر، والنخل قد ذللت قطوفه بثمرها فنظر فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى؟ فقال: لقد أصابني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك، وقال: إنه صدقة فاجعله في سبل الخير، فباعه عثمان رحمه الله بخمسين ألفاً، فسمي ذلك المال: الخمسون.([٨٤])

دروس وعبر

الدرس الأول: ليس لم من صلاتك الا ما عقلت منها

قال سفيان : «يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقِلَ مِنْهَا»([٨٥])

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَنَمَةَ الْمُزَنِيِّ قال : رأيت عمار بن ياسر دخل المسجد فصلى فأخف الصلاة قال فلما خرج قمت إليه فقلت يا أبا اليقظان لقد خففت قال فهل رأيتني انتقصت من حدودها شيئا قلت لا قال فإني بادرت بها سهوة الشيطان سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن العبد ليصلى الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها

الدرس الثاني الخشوع روح الصلاة

لقد بين العلماء أن المصلي يحتاج إلى اربع خصال حتى ترفع صلاته وهي "حضور قلب، وشهود عقل، وخضوع أركان ،وخشوع جوارح"

من صلى بلا حضور قلب فهم مصل لاه.

---

[٨٤] - راجع معجم ما استعجم ٣ /١٠٨٧.

[٨٥] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٦١)

ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصل ساه.

ومن صلى بلا خضوع أركان فهو مصل جاف.

ومن صلى بلا خشوع الجوارح فهو مصل خاطىء.

ومن صلى بهذه الأركان فهو مصل واف.

الليلة الثلاثون

ليل الصادقين

وروى صاحب طبقات الحنابلة: أن عبد الغني المقدسي المحدث الشهير، كان مسجوناً في بيت المقدس في فلسطين، فقام من الليل صادقاً مع الله مخلصاً، فأخذ يصلي، ومعه في السجن قوم من اليهود والنصارى، فأخذ يبكي حتى الصباح، فلما أصبح الصباح ورأى أولئك النفر هذا الصادق العابد المخلص، ذهبوا إلى السجان، وقالوا: أطلقنا فإنا قد أسلمنا، ودخلنا في دين هذا الرجل، قال: ولِمَ؟ أدعاكم للإسلام؟ قالوا: ما دعانا للإسلام، ولكن بتنا معه في ليلة ذكرنا بيوم القيامة..!

دروس وعبر

ما أجمل ساعات الليل في عبادة رب العالمين –سبحانه–، فوالله إن أهل الليل في ليلهم في طاعة ربهم يجدون من اللذة أضعاف ما يجده أهل السهرات والمجون، ولهم في الآخرة أعظم الأجر والجزاء، قال الله تعالى: (تتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: ١٦– ١٧]، فلا تعلم أنفسهم عظيم أجورهم وقد أخفوها، ولا يضرهم ألّا يراهم أحد.

كان الفضيل بن عياض يقول: "من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرةِ قلوبهم خلائقُ ثلاثة: الحلم، والأناة، وحظٌّ من قيام الليل"، ويحكي الخريبي عن السلف أنهم كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئةٌ من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها، وقال مسلم بن يسار: "ما تلذّذ المتلذّذون بمثل الخلوة بمناجاة الله –عز وجل–".

الفصل الثالث

ثلاثون درسا في رمضان

الدرس الأول

رمضان شهر الترويح

أخي المسلم ومن صفات شهر رمضان بأنه شهر التراويح والقيام و تلك الصلاة من خصائص ذلك الشهر و من بركاته التي تزيد المؤمن إيمانا و تحيي قلوب كثير من المسلمين و تعمر المساجد بكل راكع و ساجد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ [قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».([٨٦])

فما معنى صلاة التراويح؟ وما هو فضلها؟ وما هي صفاتها؟

الجواب بحول الملك الوهاب:

تعريف صلاة التراويح:

أحباب الحبيب محمد – صلى الله عليه وسلم–: التراويح: جمع ترويحة، أي: ترويحة للنفس، أي: استراحة، من الراحة وهي زوال المشقة والتعب، وسُميت هذه الصلاة بالتراويح لأنهم كانوا يطيلون القيام فيها ويجلسون بعد كل أربع ركعات للاستراحة. وصلاة التراويح: هي قيام شهر رمضان، مثنى مثنى، على اختلاف بين الفقهاء في عدد ركعاتها...

حكمها:

فإن سألت ما هو حكمها؟

اتفق العلماء على أن "صلاة التراويح سنة مؤكدة للرجال والنساء، وهي من أعلام الدين الظاهرة؛ فقد صلاها النبي –صلى الله عليه وسلم–ليال عدة، وصلى خلفه جمع غفير من الصحابة، وحث عليها،

---

[٨٦] – أخرجه البخاري (٢٢/١، رقم ٣٧)، ومسلم (٥٢٣/١، رقم ٧٥٩)

ورغب فيها، ثم صلاها التابعون من تبعهم فهي من شعائر شهر رمضان فتعظيمها وإقامتها إحياء لسنة الحبيب–صلى الله عليه وسلم–

فضائل صلاة التراويح

اعلم بارك الله تعالى فيك–أن صلاة التراويح فضلها عظيم وأجرها كبير فهي سبب من أسباب القرب من رب الأرباب وصحبة نبيه الأواب — صلى الله عليه وسلم–وإليك بيان ذلك بحول من الله ومدد–

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ [قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». ([87])

قال ابدر الدين العيني — رحمه الله–فيه الدلالة على غفران ما تقدم من الذنوب بقيام رمضان ودل الحديث الماضي على غفرانها بقيام ليلة القدر ولا تعارض بينهما فإن كل واحد منهما صالح للتكفير وقد يقتصر الشخص على قيام ليلة القدر بتوفيق الله له فيحصل ذلك

ظاهر الحديث غفران الصغائر والكبائر وفضل الله واسع ولكن المشهور من مذاهب العلماء في هذا الحديث وشبهه كحديث غفران الخطايا بالوضوء وبصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء ونحوه أن المراد غفران لصغائر فقط كما في حديث الوضوء ما لم يؤت كبيرة ما اجتنبت الكبائر وقال النووي في التخصيص نظر لكن أجمعوا على أن الكبائر لا تسقط إلا بالتوبة أو بالحد فإن قيل قد ثبت في الصحيح هذا الحديث في قيام رمضان والآخر في صيامه والآخر في قيام ليلة القدر والآخر في صوم عرفة أنه كفارة سنتين وفي عاشوراء أنه كفارة سنة والآخر رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما والآخر إذا توضأ خرجت خطايا فيه إلى آخره والآخر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر إلى آخره والآخر من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ونحو ذلك فكيف الجمع بينها أجيب إن المراد أن كل واحد من هذه الخصال صالحة لتكفير الصغائر فإن صادفها كفرتها وإن لم يصادفها فإن كان فاعلها سليما من الصغائر لكونه صغيرا غير مكلف أو موفقا لم يعمل صغيرة أو عملها وتاب أو فعلها وعقبها بحسنة أذهبتها كما قال تعالى إن الحسنات

[87] – أخرجه البخاري (٢٢/١ ، رقم ٣٧) ، ومسلم (٥٢٣/١ ، رقم ٧٥٩)

يذهبن السيئات (هود ١١٤) فهذا يكتب له بها حسنات ويرفع له بها درجات وقال بعض العلماء ويرجى أن يخفف بعض الكبيرة أو الكبائر([٨٨])

ولنذكر ههنا طرفًا في فضل قيام الليل، قال الله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}

ومدح قومًا فقال: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} .

وروى الترمذي عن عبدالله بن سلام، أن النبي (قال: «يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام».([٨٩])

، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» ([٩٠])

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَكْفرةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ ". ([٩١])

يا من ضيع عمره في غير طاعة، يا من فرط في شهره بل دهره وأضاعه، يا من بضاعتُه التسويفُ والتفريطُ، وبئس البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة كلُّ قيام لا ينهى صاحبه عن الفحشاء والمنكر، لا يزيد صاحبه إلا بعدًا، وكل صيام لا ينهي عن قول الزور والعمل به، لا يورثُ صاحبه إلا مقتًا وردًّا. يا قوم: أين آثار الصيام؟ أين أنوارُ القيام؟

يا راقداً والجليل يحفظه من كل سوء يكون في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك يأتيك منه فوائد النعم

وقتها:

---

[٨٨] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ١٢٣)

[٨٩] – الدارمى (٤١٢/١، رقم ١٤٧٦)، وأبو يعلى (٢٨٠/١١، رقم ٦٣٩٢).

[٩٠] – أخرجه الترمذي (٥٥٢/٥، رقم ٣٥٤٩) وقال: غريب. والبيهقي (٥٠٢/٢، رقم ٤٤٢٥). وأخرجه أيضًا: الروياني (١٤/٢، رقم ٧٤٥).

[٩١] – أخرجه الترمذي (٣٥٤٩)

فإن سألت أخي المسلم عن وقتها فاعلم – بارك الله فيك – أن وقت صلاة التراويح يبدأ من بعد صلاة العشاء، وينتهي بطلوع الفجر الصادق؛ لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ [يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ ([٩٢])

قال النووي رحمه الله: يدخل وقت التراويح بالفراغ من صلاة العشاء ويبقى إلى طلوع الفجر. أهـ. ([٩٣])

واعلم أنها جائزة في أي ساعة من الليل إذ أن الليل كله وقت لها و لو أخرها المسلم ليصليها في الثلث الأخير من الليل كان ذلك أفضل إذ هو وقت النزول الإلهي و لكن لو صلاها مع المسلمين كان ذلك خيرا له و كتب له قيام الليل كله ذر الغفاري – رضي الله عنه – : قال : «صُمْنا مع رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم– رمضانَ ، فلم يَقُمْ بنا حتى بقي سبع من الشهر ، فقام بنا حتى ذَهَبَ ثلثُ الليل ، ثم لم يقم بنا في السادسة ، وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شَطْرُ الليل، فقلنا له: يا رسولَ الله ، نَفَّلْتَنا بقيةَ ليلتنا هذه ، قال :إنَّه من قام مع الإمام حتى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلة ، ثم لم يقم بنا حتى بقي ثلاث ليال من الشهر ، فصلَّى بنا في الثالثةِ ، ودعا أَهلَه ونساءه ، فقام بنا حتى تخوَّفْنا الفلاحَ ، قلتُ : وما الفلاحُ ؟ قال : السُّحورُ»([٩٤])

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ. ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِن الَّتِي يَقُومُونَ – يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ – وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ. ([٩٥])

قال الحافظ – رحمه الله– : هذا تصريح منه بأن الصلاة في آخر الليل أفضل من أوله. أهـ([٩٦])

امنع جفونك أن تذوق مناماً وذر الدموع على الخدود سجاما

---

[٩٢] – أخرجه مالك «الموطأ»٩٤. وأحمد (٣٦/٦) ومسلم (١٦٦/٢)

[٩٣] – المجموع شرح المهذب (٣٨/٤)

[٩٤] – أخرجه أحمد (١٥٩/٥) والدارمي (١٧٨٤) وأبو داود (١٣٧٥. وابن ماجة (١٣٢٧)

[٩٥] – أخرجه مالك (١١٤/١ ، رقم ٢٥٠) ، وعبد الرزاق (٢٥٩/٤ ، رقم ٧٧٢٣) ، والبخاري (٧٠٧/٢ ، رقم ١٩٠٦)

[٩٦] – الفتح (٢٩٨/٤)

وأعلم بأنك ميَّتٌ ومحاسب يا من على سخط الجليل أقاما

لله قومٌ أخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خُداما

قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهم باتوا هنالك سُجداً وقياما

عدد ركعاتها:

صلاة التراويح صلاة ليل، ليس لها حد محدود، لقول النبي صلى الله عليه وسلم للسائل الذي سأله عن صلاة الليل؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى» (متفق عليه).

والأفضل أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ، ثُمّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ، ثُمّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنّ عَيْنَيّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي». (متفق عليه).

قال ابن عبد البر -رحمه الله تعالى -: لا خلاف بين المسلمين أن صلاة الليل ليس فيها حد محدود، وأنها نافلة، وفعل خير، وعمل بر، فمن شاء استقل، ومن شاء استكثر. أهـ. ([٩٧])

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى -: كما أن نفس قيام رمضان لم يوقت النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيه عدداً معيناً، بل كان هو صلى الله عليه وسلم لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يطيل الركعات، فلما جمعهم عمرُ على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة. ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن.

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام، فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن

---

[٩٧] - التمهيد (١٤٣/٦)

كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر وبين الأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك، ولا يكره شيء من ذلك، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره.

ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزاد فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ، فإذا كانت هذه السعة في نفس عدد القيام، فكيف الظن بزيادة القيام لأجل دعاء القنوت أو تركه، كل ذلك سائغ حسن. ([98])

كيفية صلاة التراويح:

الأفضل في صلاة التراويح هو التسليم بين كل ركعتين، لما في الصحيحين وغيرهما: عَن ابْنِ عُمَرَ: أَنّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَلَاةُ اللَّيْلِ: مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»، وفي رواية لمسلم: فَقِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: مَا مَثْنَى مَثْنَى؟ قَالَ: أَنْ يُسَلِّمَ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ.)([99])

الاستراحة في صلاة التراويح كل أربع ركعات:

اتفق الفقهاء على مشروعية الاستراحة بعد كل أربع ركعات؛ لأنه المتوارث عن السلف، فقد كانوا يطيلون القيام في التراويح، ويجلس الإمام والمأمومين بعد كل أربع ركعات للاستراحة... ([100])

ما يقال في الترويحة؟

أما ما يشغل به المسلم في هذه الاستراحة فالأمر فيه سعة إما بالذكر أو الدعاء أو الموعظة وليحذر المسلم البدعة التي نراها في بعض المساجد من التزام ذكر جماعي معين أو قراءة الإخلاص والمعوذتين فهذا من البدع المحدثة ومن فعل ذلك فقد جانب الصواب

---

[98] – مجموع الفتاوى (٢٢/٢٧٢-٢٧٣)

[99] – أخرجه البخاري (١/٣٨٢، رقم ١٠٨٦)، ومسلم (١/٥١٦، رقم ٧٤٩)

[100] – (الموسوعة الفقهية ٢٧/١٤٤).

الدرس الثاني

سنن خير الأنام في الصيام

اعلم بارك الله فيك أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه و سلم و شر الأمور محدثاتها و من كمال هديه صلى الله عليه و سلم أن شرع لنا سنن الهدى في شهر رمضان لننال بها الرضا و الرضوان و الفوز بأعالي الجنان و هاكم بعضها :

السُّحور:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً» ([١٠١]).

عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البركة في ثلاثة: في الجماعة، والثريد، والسحور " ([١٠٢])

* من بركاته أنه شعار المسلمين، وأن فيه مخالفةً لأهل الكتاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: « فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ».

* ومن ذلك حصولُ الخيريةِ، والمحافظةُ عليها عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ. » ([١٠٣])

* ومن بركات السحور أن فيه تقويةً على الطاعة، وإعانةً على العبادة، وزيادةً في النشاط والعمل؛ ذلكم أن الجائعَ الظامئَ يعتريه الفتور، ويَدِبُّ إليه الكسل.

---

[١٠١] – أخرجه : البخاري ٣/٣٧ (١٩٢٣) ، ومسلم ٣/١٣٠ (١٠٩٥) (٤٥) .

[١٠٢] – أخرجه الطبراني (٦/٢٥١ ، رقم ٦١٢٧) . قال المنذري (٢/٨٩) والهيثمي (٣/١٥١) : حسَّنه الألباني صحيح الترغيب و الترهيب/١٠٦٥.

[١٠٣] – البخاري (٢/٦٩٢ رقم ١٨٥٦) ، ومسلم (٢/٧٧١ ، رقم ١٠٩٨)

* ومن بركات السحور حصولُ الصلاةِ من الله وملائكته على المتسحرين عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن الله وَمَلَائِكَته يصلونَ على المتسحرين".([١٠٤]).

* ومن بركات السحور أن فيه مدافعةً لسوء الخلق الذي قد ينشأ عن الجوع.

* ومن بركاته أن وقت السحور وقت مبارك؛ فهو وقت النزول الإلهي، كما يليق بجلال الله وعظمته، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ ».([١٠٥]).

* ومن ذلك أن وقتَ السحرِ من أفضل أوقات الاستغفار إن لم يكن أفضلَها، كيف وقد أثنى الله عز وجل على المستغفرين في ذلك الوقت بقوله: { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ }، وقوله: { وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }. فالقيام للسحور سببٌ لإدراك هذه الفضيلة، ونيلِ بركات الاستغفار المتعددة. ومن بركات السحور أنه أضمن لإجابة المؤذن بصلاة الفجر؛ ولا يخفى ما في ذلك من الأجر، وأنه أضمن لإدراك صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة.

* ومن بركات السحور أن تناولَه في حد ذاته عبادةٌ إذا نَوَى بها التَقَوِّيَ على طاعة الله، والمتابعةَ للرسول صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك أن الصائم إذا تسحر لا يملُّ إعادة الصيام، بل يشتاق إليه، خلافاً لمن لا يتسحر؛ فإنه يجد حرجاً ومشقةً يُثْقِلان عليه العودة إليه.

تعجيل الفطر:

---

[١٠٤] – أخرجه ابن حبان (٨/٢٤٥ ، رقم ٣٤٦٧) ، والطبراني في الأوسط (٦/٢٨٧ ، رقم ٦٤٣٤) ،

[١٠٥] – أخرجه مالك (١/٢١٤ ، رقم ٤٩٨) ، والبخارى (١/٣٨٤ ، رقم ١٠٩٤) ، ومسلم (١/٥٢١ ، رقم ٧٥٨)

عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت ابن عباس، يقول: سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا، وتأخير سحورنا، ووضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة» " ([١٠٦])

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم-قَالَ «لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ ». ([١٠٧])

الفطر على رطبات:

قال ثَابِتٌ الْبُنَانِىُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّىَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ.([١٠٨])

قال ثَابِتٌ الْبُنَانِىُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّىَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ.([١٠٩])

تقديم الفطر على الصلاة:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ صَلَّى صَلَاةَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يُفْطِرَ، وَلَوْ عَلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ» ([١١٠])

الدعاء بعد الإفطار:

---

[١٠٦] – المعجم الكبير للطبراني (١١/ ١٩٩)

[١٠٧] – أخرجه أبو داود (٢/٣٠٥ ، رقم ٢٣٥٣) ، والحاكم (١/٥٩٦ ، رقم ١٥٧٣) و حسَّنه الألباني صحيح الترغيب و الترهيب ١٠٦٧.

[١٠٨] – سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٤/ ٣٩) وأخرجه الترمذي (٧٠٣)، والنسائي في "الكبرى" (٣٣٠٣) و (٦٦٧٩)

[١٠٩] – أخرجه أحمد ١٦٤/٣، أبو داود "٢٣٥٦"، والترمذي "٦٩٦"، والدارقطني ١٨٥/٢، والحاكم ٤٣٢/١، والبيهقي ٢٣٩/٤

[١١٠] – صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٠٧٦.

عن ابْنَ سَالِمٍ – الْمُقَفَّعُ – قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَيَقْطَعُ مَا زَادَ عَلَى الْكَفِّ وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا أَفْطَرَ قَالَ « ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ». ([111])

دعاء المسلم لمن فطَّره:

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِىَّ –صلى الله عليه وسلم–جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ ». ([112])

الإكثار من تفطير الصائمين:

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ، عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ": «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ وَلَا يُنْتَقَصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا، وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الْغَازِي وَلَا يُنْتَقَصُ مِنْ أَجْرِ الْغَازِي شَيْئًا»([113])

الحثّ على القيام مع الإمام حتَّى انصرافه:

لقول النَّبي – صلى الله عليه وسلم – : قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، ([114])

العمرة في رمضان:

---

[111] – أخرجه أحمد ١٦٤/٣، أبو داود "٢٣٥٦"، والترمذي "٦٩٦"، والدارقطني ١٨٥/٢، والحاكم ٤٣٢/١، والبيهقي ٢٣٩/٤

[112] – أخرجه ابن ماجه (٥٥٦/١ ، رقم ١٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود ٣٢٦٣.

[113] – خرجه أحمد (١١٤/٤ ، رقم ١٧٠٧٤) ، وعبد بن حميد (ص ١١٧ ، رقم ٢٧٦) ، صححه الألباني في صحيح الترغيب ١٠٧٢.

[114] – أخرجه الطيالسى (ص ٦٣ ، رقم ٤٦٦) ، وأحمد (١٥٩/٥ ، رقم ٢١٤٥٧) ، والدارمي (٤٢/٢ ، رقم ١٧٧٧) ، صححه الألباني في صحيح الجامع ١٦١٥.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((عمرة في رمضان تعدل حجة – أو حجة معي))" ([١١٥])

الدرس الثالث

[١١٥] – أخرجه : البخاري ٢٤/٣ (١٨٦٣) ، ومسلم ٦١/٤ (١٢٥٦) (٢٢٢)

رمضان شهر الصوم

اعلم علمني الله و إياك: أن من صفات الشهر المبارك أنه شهر الصيام و الصوم هو منحة الله تعالى لهذه الأمة و إن كان قد افترضه على الأمم من قبلنا قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الصيام في لغة العرب: هو الإمساك.

وفي الشرع: إمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، بنية خاصة، في وقت خاص، والمفطرات كالأكل والشرب والجماع بين الزوجين ونحوها، مع كف النفس عما حرم الله ورسوله.

فالصوم على حقيقته تهذيب وضبط لغرائز الإنسان الكامنة فيه، كغريزة الطعام والشراب، وغريزة الشهوة والجماع، وغريزة التملك والحرص، كما أنه كسر ودفع لمداخل الشيطان على الإنسان، وحفظ للجوارح والأركان، وكما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به. قال: "عليك بالصوم فإنه لا مثل له".([١١٦])

يقول أبو حامد الغَزالي –رحمه الله –صاحب "الإحياء": "الصيام زكاةٌ للنَّفْس، ورياضة للجسم، وداعٍ للبر؛ فهو للإنسان وقاية، وللجماعة صيانة، في جوع الجسم صَفاءُ القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة؛ لأنَّ الشِّبَع يُورث البَلادةَ، ويعْمِي القلب، ويُكْثِر الشِّجار في الدماغ فيتبلَّد الذِّهن، والصبي إذا ما كثر أكْله بَطل حِفْظه، وفسد ذهنه، أحْيُوا قلوبكم بقلَّة الضحك وقلَّة الشِّبع، وطهِّروها بالجوع تَصْفُ وتَرق".([١١٧])

ويقول أحمد شوقي "أمير الشعراء": "الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة،

---

[١١٦] – أخرجه أحمد (٢٤٨/٥ ، رقم ٢٢١٩٤) قال الهيثمي (١٨٢/٣) : رجاله رجال الصحيح ، والنسائي (١٦٥/٤ ، رقم ٢٢٢٠) قال الحافظ في الفتح (١٠٤/٤) : سنده صحيح ، وابن خزيمة (١٩٤/٣ ، رقم ١٨٩٣) ، وابن حبان (٢١١/٨ ، رقم ٣٤٢٥)

[١١٧] – منافع الصيام (ص: ٨)

ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وعرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع".([118])

والصوم هو أحد أركان الإسلام الخمسة

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: (الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله، وتقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً). الحديث.

وحين نزلت: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] كان من أراد أن يفطر أفطر ويفدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها، يعني بها قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فأوجب الله الصيام عينًا دون تخيير.

أتى رمضان مزرعة العباد — لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولا وفعـــلا — وزادك فاتخذه للمعـــاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها — تأوه نادما يوم الحصـاد

محبة الله تعالى للصائمين

و اعلم أن الله يحب الصوم والصائمين: فنصومه تزلفا وتقربا إلى الله سبحانه وتعالى فقد أخبرنا الصادق المصدوق–صلى الله عليه وسلم–أن الله يحب الصوم عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة – رضي الله عنه – يقول قال رسول الله ؟ قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم (لخلف فم–لخلوف في) الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه ([119])

فهذا الحديث من أعظم الدوافع التي تدفع المسلم إلى المبادرة إلى صيام ذلك الشهر فالمحب يحب ما يحب حبيبه ٠

---

[118] – نداء الريان في فقه الصوم ١/ ٤٦.

[119] – –أخرجه: البخاري ٣/ ٣١ (١٨٩٤) و٣٤ (١٩٠٤)، ومسلم٣/١٥٧–١٥٨ (١١٥١) (١٦٣) و(١٦٤).

والصوم جنة واقية من الوقوع في الذنوب والمعاصي

و هذا ما اخبرنا به النبي — صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار".([١٢٠])

يقول ابن حجر —رحمه الله – وأما صاحب النهاية فقال معنى كونه جنة أي يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات وقال القرطبي جنة أي سترة يعني بحسب مشروعيته فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه واليه الإشارة بقوله فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث الخ ويصح أن يراد أنه سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس واليه الإشارة بقوله يدع شهوته الخ ويصح أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات وقال عياض في الإكمال معناه ستره من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك وبالأخير جزم النووي وقال بن العربي إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة. ([١٢١])

الأجر بغير حساب

عن أبي هريرة –رضي الله عنه قال –: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "كلُّ عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها على سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. . الحديث" ([١٢٢])

الحافظ قطب الدين القسطلاني —رحمه الله — فان قلت فما وجه قوله (إلا الصوم فانه لي) والأعمال كلها لله فما علة تخصيصه له بالإضافة دون غيره قلت : لعلماء فيه عدة من الأقوال

أحدها: معناه أنا العالم بجزائها لمالك له ولا أطلعكم عليه كما أطلعتكم على أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فجزاء الصائم فوق هذا ١العدد مما اعلمه ولا أخبركم به فان الصيام ينقص البدن ويضعف البنية بخلاف غيره من أركان الإسلام فالصائم يعرض نفسه لما هي كارهة، فكان جزاء عمله فيه معنى الصبر وقال الله {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠]

---

[١٢٠] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، صحيح الترغيب برقم (٩٨٠)، وصحيح الجامع برقم (٣٨٨٠)

[١٢١] – فتح الباري لابن حجر – (ج ٦ / ص ١٢٩)

[١٢٢] –أخرجه البخاري (٤/ ١٠٣)، ومسلم (١١٥١) (١٦٤)، واللفظ له من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم أيضاً (١٦٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

ثانيا: إذا كان يوم القيامة حاسب الله تعالى العباد وأدى ما عليهم من المظالم وأدخلهم بالصوم الجنة وهو مروي عن ابن عيينه

ثالثا انه ليس مما يظهر فيدخله الرياء بخلاف غيره من الأعمال تطلع الحفظة عليها فإنها حركات وسكنات وإنما هو نية وإمساك عن المفطرات فيتولى الحق جزاءه بما شاء من التضعيف مما لا يطلع عليه غيره، ويشهد لذلك قوله (ليس في الصوم رياء) ([123])وهذا معنى قول أبي عبيدة

رابعا: انه ليس للصائم فيه حظ فكان لله وحده، وهو قول الخطابي ([124])

باب الريان لمن صام رمضان

واعلم امن من الأسباب الدافعة إلى صيام شهر رمضان أن ندخل الجنة من باب قد خصه الله تعالى بالصائمين لا يدخل منه أحد غيرهم والجزاء من جنس العمل

عن سهل بن سعد –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، قال: ((إن في الجنة بابا يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)) ([125])

قال بد الدين العيني –رحمه الله – أي هذا باب يذكر فيه الريان الذي هو اسم علم لباب من أبواب الجنة مختص للصائمين ووزن ريان فعلان وقد وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه لأنه مشتق من الري الكثير الذي هو ضد العطش وسمي بذلك لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم واكتفى بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه وأفرد لهم هذا الباب إكراما لهم واختصاصا وليكون دخولهم الجنة غير متزاحمين فإن الزحام قد يؤدي إلى العطش،قوله إن في الجنة بابا قيل إنما قال في الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة فيكون أبلغ في التشويق إليه قلت وإنما لم يقل للجنة ليشعر أن باب الريان غير الأبواب الثمانية التي للجنة وفي الجنة أيضا أبواب أخر غير الثمانية منها باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة على ما يجيء في الحديث الآتي([126])

---

[123] – روي من حديث ابن شهاب مرسلا: أخرجه هناد (٣٥٨/٢، رقم ٦٨٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٦/٣ ، رقم ٣٥٨٣) .

حديث أنس: أخرجه ابن عساكر (١٠١/٣٨) .

[124] –مدارك المرام في مساك الصيام ص ٢٤ –٢٦

[125] – أخرجه: البخاري ٣٢/٣ (١٨٩٦)، ومسلم ١٥٨/٣–١٥٩ (١١٥٢) (١٦٦).

[126]– عمدة القاري [جزء ١٠ – صفحة ٢٦٢]

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة)

فقال أبو بكر رضي الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ . قال (نعم وأرجو أن تكون منهم) ([١٢٧])

سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال إن في الجنة لبابا يدعى الريان يدعى له الصائمون فمن كان من الصائمين دخله ومن دخله لم يظمأ أبدا ([١٢٨])

الدرس الرابع

لماذا نصوم رمضان

[١٢٧] – –أخرجه: البخاري ٣٢/٣ (١٨٩٧) ، ومسلم ٩١/٣ (١٠٢٧) (٨٥) .

[١٢٨] – رواه الترمذي في الصوم باب ما جاء في فضل الصوم (٦٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٥٧٧).

ونصوم رمضان حتى يشفع لنا يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعَبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رَبِّ، مَنَعته الطعامَ والشهوات بالنهار، فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعته النومَ بالليل، فشَفِّعْني فيه"، قالَ: "فيشفعانِ".([129]) .

ونصوم رمضان حتى نفرح في الدنيا والآخرة

—— أن الصوم سبب للسعادة في الدارين، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه"[130].

أما فرحته عند فطره فهي نموذج للسعادة واللذة التي يجدها المؤمن في الدنيا؛ بسبب طاعته وتقواه لمولاه سبحانه وتعالى، وهي السعادة الحقيقية.

وفرحته عند فطره تأتي من جهتين: الأولى: أن الله تعالى أباح له الأكل والشرب في تلك اللحظة، والنفس– بلا شك– مجبولة على حب الأكل والشرب؛ ولذلك تعبدنا الله – تبارك وتعالى – بالإمساك عنهما.

الثانية: سرورًا بما وفقه الله–تعالى – إليه من إتمام صيام ذلك اليوم، وإكمال تلك العبادة، وهذا أسمى وأعلى من فرحه بإباحة الطعام له.

ونصوم رمضان حتى تكون رائحة الفم أطيب عند الله من ريح المسك

اعلم أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، وخلوف فمه هو: الرائحة التي تنبعث من المعدة–عند خلوها من الطعام–عن طريق الفم، وهي رائحة مكروهة عند الخلق، لكنها محبوبة عند الخالق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم –في الحديث المتفق عليه–: "والذي نفس محمد بيده؛ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك "[131].

وفي هذا دليل على أنه لا بأس من أن يستاك الصائم بعد الزوال؛ بل هو أمر مستحب –على القول الراجح الصحيح–في المواضع التي يستحب فيها السواك في كل حال: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند

---

[129] – صحيح الجامع: ٣٨٨٢ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

([130]) أخرجه البخاري (٦٧٠/٢، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١)، والنسائي (١٦٤/٤، رقم ٢٢١٧).

([131]) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دخول المنـزل، وعند الاستيقاظ من النوم... إلى غير ذلك من المواضع؛ لأن هذا الخلوف ليس من الفم، وإنما هو من المعدة .

وكما أن خلوف فم الصائم المكروه لدى المخلوقين أطيب عند الله – سبحانه–من ريح المسك؛ فكذلك دم الشهيد يوم القيامة له رائحة المسك، مع أن الدم –من حيث هو–مستقذر؛ بل هو نجس عند أكثر الفقهاء، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما مِن مكلوم [١٣٢] يُكْلَم في الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يَدمى، اللون لون دم، والريحُ ريح مسك"[١٣٣].

ونصوم رمضان لان الصوم جنة واقية من الوقوع في الذنوب والمعاصي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ([١٣٤])

يقول ابن حجر –رحمه الله – وَأَمَّا صَاحِب " النِّهَايَة " فَقَالَ : مَعْنَى كَوْنه جُنَّة أَيْ يَقِي صَاحِبه مَا يُؤْذِيه مِنْ الشَّهَوَات . وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ : جُنَّة أَيْ سُتْرَة ، يَعْنِي بِحَسَبِ مَشْرُوعِيَّته ، فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَصُونَهُ مِمَّا يُفْسِدهُ وَيَنْقُص ثَوَابه ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ " فَإِذَا كَانَ يَوْم صَوْم أَحَدكُمْ فَلَا يَرْفُث إِلَخْ " ، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ فَائِدَته وَهُوَ إِضْعَاف شَهَوَات النَّفْس ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ " يَدَع شَهْوَته إِلَخْ " ، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ مَا يَحْصُل مِنْ الثَّوَاب وَتَضْعِيف الْحَسَنَات . وَقَالَ عِيَاض فِي " الْإِكْمَال " : مَعْنَاهُ سُتْرَة مِنْ الْآثَام أَوْ مِنْ النَّار أَوْ مِنْ جَمِيع ذَلِكَ ، وَبِالْأَخِيرِ جَزَمَ النَّوَوِيّ . وَقَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ : إِنَّمَا كَانَ الصَّوْم جُنَّة مِنْ النَّار لِأَنَّهُ إِمْسَاك عَنْ الشَّهَوَات ، وَالنَّار مَحْفُوفَة بِالشَّهَوَاتِ . فَالْحَاصِل أَنَّهُ إِذَا كَفّ نَفْسه عَنْ الشَّهَوَات فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ سَاتِرًا لَهُ مِنْ النَّار فِي الْآخِرَة.

([١٣٢]) المكلوم: الذي فيه جراح، والكَلْم: الجراحة. مختار الصحاح (ص٢٤٠).

([١٣٣]) رواه البخاري (٥٥٣٣) ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[١٣٤] – صحيح البخاري – (ج ٦ / ص ٤٥٧)

([135])وقاية (من النار) لصاحبه لأنه يقيه ما يؤذيه من الشهوات (ومن بوائق الدهر) أي غوائله وشروره ودواهيه وفي إشارته لمح إلى ما يعان به الصائم من سد أبواب النيران وفتح أبواب الجنان ، وتصفيد الشيطان.

كل ذلك بما يضيق من مجاري الشيطان من الدم الذي ينقصه الصوم فكان فيه مفتاح الهدى كله وإذا كان هدى للناس كان للذين آمنوا أهدى.([136])

لذلك ارشد النبي ﷺ الشباب الذين لا يستطيعون الزواج أن يصوموا واظهر لهم الحكمة من ذلك وهى كما جاء في الحديث عن عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ([137])

ونصوم رمضان :لان الصوم يكسب اجسامنا التي نعبد الله بها صحة وقوة

فقد جاء في الحديث وان كان ضعيفا جدا إلا أن معناه صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺصوموا تصحوا([138])

قال المناوي —رحمه الله – (صوموا تصحوا) قال الحرالي : فيه إشعار بأن الصائم يناله من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظم الأجر في الآخرة ففيه صحة للبدن والعقل بالتهيئة للتدبر والفهم وانكسار النفس إلى رتبة المؤمنين والترقي إلى رتبة المحسنين وللمؤمن غذاء في صومه من بركة ربه بحكم يقينه فيما لا يصل إليه من لم يصل إلى محله فعلى قدر ما يستمد بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهر المؤمن من باطنه حتى يقوى في أعضائه بمدد نور باطنه كما ظهر ذلك في أهل الولاية والديانة وفي الصوم غذاء للقلب كما

---

[135] – فتح الباري لابن حجر – (ج ٦ / ص ١٢٩)

[136] – فيض القدير – (ج ٤ / ص ٢٨٠)

[137] – صحيح البخاري – (ج ١٥ / ص ٤٩٨)

[138]– الجامع الصغير وزيادته [جزء ١ – صفحة ٧٩٥] قال الشيخ الألباني : (ضعيف) انظر حديث رقم : ٣٥٠٤ في ضعيف الجامع

يغذي الطعام الجسم ولذلك أجمع مجربة أعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه على أن مفتاح الهدى والصحة الجوع لأن الأعضاء إذا وهنت لله نور الله القلب وصفى النفس وقوي الجسم ليظهر من أمر الإيمان بقلب العادة جديد عادة هي لأوليائه أجل في القوى من عادته في الدنيا لعامة خلقه([١٣٩])

وتعال أخي لنتعرف على بعض الفوائد الطبية للصوم

يقول ابن القيم–رحمه الله – : " الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن ؛ مَنافِعُه تفوت الإحصاء، وله تأثير عجيب: في حفظ الصحة، وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولاسيما: إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً، ثم إنّ فيه: من إراحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها، وفيه خاصية تقتضي إيثاره، وهي: تفريجه للقلب عاجلاً وآجلاً، فهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم، في حفظ صحتهم .

وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى الصائم فيه ما ينبغي مراعاته طبعاً وشرعاً، عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعِدّ لها، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه، ويعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية .

فإنّ القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر، أُختصَّ من بين الأعمال: بأنه للهِ سبحانه، ولمَّا كان وقايةً وجُنةً بين العبد وبين ما يؤذي قلبه وبدنه عاجلاً راجلاً، قال الله تعالى: {يأيها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣] فأحد مقصودَي الصيام: الجنةُ والوقاية ؛ وهي حِمْية عظيمةُ النفع . والمقصود الآخر: اجتماعُ القلب والهمِّ على الله تعالى، وتوفيرُ قُوى النفس على محابِّهِ وطاعته " ([١٤٠]) .

---

[١٣٩] – فيض القدير [جزء ٤ – صفحة ٢١٢]

[١٤٠] الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٥٨ – ٢٥٩) .

الدرس الخامس

رمضان شهر التقوى

اعلم –بارك الله فيك–: أن الغاية المنشودة من فريضة الصوم هي الوصول إلى التقوى فهي غاية الغايات

الغاية من خلق الجن والإنس هي العبادة قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات: ٥٦، ٥٧]

الغاية من العبادة التقوى قال تعالى {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]

تعريف التقوى

يقول العلامة القيم رحمة الله " وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا و احتسابا أمرا و نهيا ، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر و تصديقا بوعده ، و يترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهى و خوفا من وعيده

قال طلق ابن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى " قالوا وما التقوى؟

قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله " [١٤١]" وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى "

فان كل عمل لابد له من مبدأ و غاية ، فلا يكون العمل طاعة و قربة حتى يكون مصدرة عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض لا العادة و لا الهوى و لا طلب المحمدة و الجاه ، و غير ذلك بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان ، و غايته ثواب الله و ابتغاء مرضاته و الاحتساب ، و لهذا كثير ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي – ﷺ – من صام رمضان إيمانا و احتسابا " " ومن قام ليلة القدر إيمانا و احتسابا " [١٤٢]

"فالتقوى ..... حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لأشواك الطريق ..... طريق الحياة .... الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً". ([١٤٣])

---

[١٤١] – أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٤٧٣ وأبو نعيم في الحلية ج ٣ ص ٦٤ وسنده صحيح

[١٤٢] – أخرجه البخاري رقم ٢١٤

[١٤٣] – [في ظلال القرآن (١ / ٣٩)].

فالصيام يورث العبد التقوى كما قال الله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]

و هذا ما اخبرنا به النبي – صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار".([١٤٤])

قال النووي: هو بضم الجيم ومعناه سترة ومانع من الرفث والآثام ومانع أيضاً من النار، ومنه المجن وهو الترس، ومنه الجن لاستتارهم. ([١٤٥])

و الصيام حصن حصين يمنع العبد من السقوط في بحر الشهوات عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعَبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رَبِّ، مَنَعته الطعامَ والشهوات بالنهار، فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعته النومَ بالليل، فشَفِّعْني فيه"، قال: "فيشفعانِ".([١٤٦]) .

فإن قلت: كيف يحققها العبد؟

الجواب بحول الملك الوهاب: إن الطريق إلى التقوى رسمه الله تعالى لنا ووضحه لنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وإليك بيان ذلك:

تمام التقوى

قال أبو الدرداء: " تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشـــية أن يكون حراما، يكون حجابا بينه وبين الحرام، فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه قال الله: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٧] فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه، ولا شيئا من الخير أن تفعله "([١٤٧])

وقال الحسن " مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام

---

[١٤٤] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، صحيح الترغيب برقم (٩٨٠)، وصحيح الجامع برقم (٣٨٨٠)

[١٤٥] – شرح النووي(٨/٢٥)

[١٤٦] – صحيح الجامع: ٣٨٨٢ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

[١٤٧] – الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٢/ ١٩)

وهذا ما يصوره لنا النبي–صلى الله عليه وسلم –: فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه "[١٤٨]

وتأمل حال إمام المتقين –صلى الله عليه وسلم –: كيف كان يحقق التقوى في مأكله فقد أخرج البخاري عن انس رضي الله عنه قال " مر النبي –صلى الله عليه وسلم –: –بتمرة مسقوطة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها "[١٤٩]

عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال " تضور النبي–صلى الله عليه وسلم –ذات ليلة فقيل له ما أسهرك؟ قال: إني وجدت تمرة ساقطة فأكلتها، ثم ذكرت تمرا كان عندنا من تمر الصدقة فما أدرى أمن ذلك كانت التمرة أو من تمر أهلي فذلك الذي اسهرني " ([١٥٠])

وهكذا علم أصحابه –صلى الله عليه وسلم –التقوى في المأكل والمشرب حتى أن أبا بكر يتقيأ من لقمة أكلها فيها شبهه مخافة أن ينبت منها شيئ فيدخل النار

وقالوا: كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، ومن وسائل تحقيق التقوى: أن يستشعر العبد باطلاع الله عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد في الطاعة قال الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]

يقول العلامة ابن كثير –رحمه الله " أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر وبحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم "[١٥١]

ويقول سبحانه وتعالى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا

---

[١٤٨] – أخرجه أحمد (٤/٢٧٠، رقم ١٨٣٩٨)، والبخاري (١/٢٨، رقم ٥٢)، ومسلم (٣/١٢١٩، رقم ١٥٩٩)، وأبو داود (٣/٢٤٣، رقم ٣٣٢٩، رقم ٣٣٣٠)،

[١٤٩] – أخرجه البخاري رقم ٢٠٥٥

[١٥٠] – أخرجه الحاكم ح وصححه الذهبي في التل خيص٢١٧٣ والبيهقي في الشعب ح ٥٧٤٤

[١٥١] – تفسير ابن كثير جـ ٤/٣٠٤

أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١] ولا تقلب ورقة من المصـــحف الكريم إلا وجدت فيها أية بهذا المعنى

ثم قال " الإمام الشنيقطي –رحمه الله –[١٥٢]اعلم أن الله تبارك وتعالى ما انزل من السماء إلى الأرض واعظا اكبر ولا زاجرا أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القران ، من انه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه رقيب عليهم وأمثالها في القران ، من انه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه رقيب عليهم ليس بغائب عما يفعلونه ، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم مثلا ليصير به كالمحسوس ، فقالوا : لو فرضنا أن ملكا قتالا للرجال سفاكا للدماء ، شديد البطش ، والنكال على من انتهك حرمته ظلما ، وسيافه قائم على رأسه ولنطع مبسوط للقتل والسيف يقطر دماء ،وحول هذا الملك الذي هذه صفته

جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحد من الحاضـــرين ([١٥٣]) يهتم بريبه أو بحرام يناله من بيات الملـك وأزواجـه وهو ينظر إليهم عالم بأنه مطلع عليه ؟ لا وكلا، بل جميع الحاضـــرين يكونون خائفين وجلة قلوبهم خاشـعة عيونهم سـاكنة جوارحهم خوفا من بطش ذلك الملك ولا شـك ولله المثل الأعلى إن رب السماوات والأرض جل وعلا اشد علما وأعظم مراقبة، واشد بطشا وأعظم نكالا وعقوبة من ذلك الملك وحماه في أرضه محارمه، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه وأنه مطلع على ما يقول وما يفعل وما ينوي لان قلبه وخشي الله تعالى وأحسن عمله لله جل وعلا "[١٥٤]

وقد دلت الأحاديث على ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات من وجوب مراقبة الله تعالى والاســـتحياء منه حق الحياء.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى

---

[١٥٢] – أضواء البيان ج٢ ص ٢٧٣

[١٥٣] – كذا في الأصل ولعلها "يهم "

[١٥٤] – أضواء البيان جـ ٣/٩–١٠

، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلاَءَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. ([١٥٥])

وقال سفيان بن عيينة – رحمه الله–" الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحى، وهل دخل أهل التقوى إلا من الحياء "فمن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس "أي رأسه " وما وعى " ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة، وحتى لا يستعملها إلا فيما يحل " وليحفظ البطن وما حوى " إي وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيء في معصية الله فان الله ناظر إلى العبد لا يواريه شيء " ([١٥٦])

وعن أسامه بن شريك رضي الله عنه عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: "ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت " ([١٥٧])

ومن وسائل الحصول على التقوى: أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

قال: الشيخ مصطفى السباعي – رحمه الله – إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان "

ويقول ابن القيم – رحمه الله – وملاك الأمر كله الرغبة في الله وإرادة وجهه والتقرب إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه وإلى لقائه فإن لم يكن للعبد همة على ذلك فالرغبة في الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همه عالية تطالبه بذلك فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه فإن لم تطاوعه نفسه لشيء من ذلك فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم ولا يقدر على ذلك بعد قدرة الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه فلم

يجعل الله طريقا إلى الجنة غير مخالفته، ولم يجعل للنار طريقا غير متابعته قال الله تعالى {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ

---

[١٥٥] – أخرجه أحمد (٣٨٧/١، رقم ٣٦٧١)، والترمذي (٦٣٧/٤، رقم ٢٤٥٨) وقال: غريب. والطبراني (١٥٢/١٠، رقم ١٠٢٩٠)، والحاكم (٣٥٩/٤، رقم ٧٩١٥) وقال: صحيح الإسناد. قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٩٣٥ في صحيح الجامع

[١٥٦] – فيض القدير (١/ ٦٢٣)

[١٥٧] – أخرجه ابن حبان (١٢٩/٢، رقم ٤٠٣)، والضياء (١٧٨/٤، رقم ١٣٩٣). قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٥٦٥٩ في صحيح الجامع

عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢)} [النازعات ٣٧ – ٤١]

وقال تعالى {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)} [الرحمن ٤٦]

قيل هو العبد يهوى المعصـــية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا ومقامة بين يديه في الآخرة فيتركها الله وقد أخبر الله عز وجل أن إتباع الهوى يضـــل عن ســـبيله فقال الله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)} [ص ٢٦]

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله انه أظلم الظالمين فقال الله عز وجل {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)} [القصص ٥٠]

وجعل سبحانه المتبع قسمين لا ثالث لها: إما ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإما الهوى فمن اتبع أحداهما لم يمكنه إتباع الآخر ([١٥٨])

وهيا نتأمل هذا التدريب العملي لوصول إلى التقوى عندما ينازع العبد شيطانه ويدعه إلى الغواية والضلال مع واحد من أولى الألباب اقتحمت عليه الرزيلة بابه وتكشفت له عن مفاتنها التي تخلب الأنظار انه قاضى من قضاة الإسلام: إنه التابعي الجليل عبيد بن عمير * يسمى قاضى مكة وكان الصحابة يحضرون مجلس وعظة ويبكون فيه ويتأثرون ..... في يوم من الأيام كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج فنظرت إلى وجهها في المرآة فأعجبت بجمالها، وقالت لزوجها أترى أحد يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال نعم

قالت من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فلأفتنه، قال قد أذنت لك، قال فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسـجد الحرام فأسـفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: اتق الله يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال إني سـائلك عن شـيء فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت لا تسألني عن شيء إلا قد صدقتك، قال: أخبريني: لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة

قالت: اللهم لا: قال صدقت، قال: فلو أدخلت في قبرك وأجلست للمسألة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة، قالت: اللهم لا، قال: صدقت

[١٥٨] – كتاب التقوى ص ٣٦: ٣٧

قال: لو إن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت اللهم لا، قال صدقت

قال: فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت اللهم لا، قال قد صدقت

قال فلو وقفت بين يدي الله للمسألة أكان يسرك أني قد قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا

قال: صدقت

قال: اتق الله يا أمة الله فقد انعم الله عليك وأحسن إليك، فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعت؟ قالت أنت بطال ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول: مالي ولعبد بن عمير، أفسدت على امرأتي كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة " ([١٥٩])

فهذه هي كمال التقوى أن يعلم أن الله أقرب إليه من حبل الوريد

إذا ما هممنا صدنا وازع التقى فولى على أعقابه الهم خاسئا

وقال آخر:

لا خير فيمن لا يراقب ربه عند الهوى ويخافه إيمانا

حجب التقى سبل الهوى فأخو التقى يخشى إذا وافى المعاد هوانا

فالله هو القائم على كل نفس في رزقها ومماتها وسعادتها وشقاوتها

قال الحارث المحاسبي: المراقبة علم القلب بقرب الرب.

ومما يوصل العبد إلى درجة التقوى ويحول بينه وبين المعاصي والشهوات ما أوضحه لنا إبراهيم بن أدهم – رحمه الله – فقد جاء رجل إليه فقال يا أبا إسحاق: إني مسرف فأشتهي أن تعلمني شيئاً أتنفع به؟

فقال – رحمه الله – إني معلمك خمسة خصال: إن قدرت عليها لم تصبك معصية ولا تؤنبك لذة.

قال: هات يا أبا إسحاق، قال أما الأولى: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل رزقه، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه ؟! قال أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟!!

قال: لا

وأما الثانية: إذا أردت أن تعصي الله فلا تسكن شيئاً من بلاده

قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، ثم قال: إذا دكان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن ؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ؟!! ويرى ما تجاهره به ؟!!

---

[١٥٩] – ذم الهوى ٢١٠ – ٢١١ ، و صور من الثبات على الإيمان ص ٤٠ –٤١

قال: لا، هات الثالثة

قال: إذا أردت أن تعصي الله فاذهب إلى مكان لا يراك فيه

قال الرجل: أين أذهب والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ؟!

قال: أفيحسن بك أن تعصاه وهو يراك ؟!

قال: لا هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً، وأعمل لله خالصاً.

قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع الموت عن نفسك وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟! قال: هات الخامسة:

قال: إذا جاءك الزبانية ليأخذوك يوم القيامة إلى النار فلا تذهب معهم، قال لا يدعوني ولا يقبلوا مني

قال: فكيف ترجو النجاة ؟!

قال الرجل: حسبي حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه ([160])

وبعد هذا المنهج التربوي الذي قدمه أولوا الألباب يصل العبد إلى تقوى رب الأرباب ويحوز الأجر والثواب

التقوى الواجبة هي بفعل الواجبات وترك المحرمات، وقد أمرنا الله بها، فقال ـ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

فالصائم الذي يضيع الصلاة عن وقتها أو مع الجماعة في المسجد لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يعق والديه لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يشرب الخمر أو الدخان أو يتناول المخدرات لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يفطر عمدا بدون عذر شرعي لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يزني لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يسرق لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يأكل الربا والرشوة ويتعامل بهما لم يحقق تقوى الله في صيامه

---

[160] – الدر المنظوم ص ٤٥ – ٤٦

والصائم الذي يكذب ويغتاب وينم ويلعن ويشتم لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي ينظر إلى المحرمات ويتابع المسلسلات الهابطة لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يغش في بيعه وشرائه ومعاملاته لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يؤذي جيرانه لم يحقق تقوى الله في صيامه

وهؤلاء كلهم قد خسر الثمرة من هذا الصيام الذي لم يشرعه الله لمجرد الامتناع عن الطعام والشراب عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فَليسَ للهِ حاجة فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ». ([١٦١])

الدرس السادس

شرف التقوى ومنزلتها

[١٦١] – أخرجه أحمد (٢/٤٤٣، رقم ٩٧١٧)، والبخاري (٥/٢٢٥١، رقم ٥٧١٠)،

اعلم–بارك الله فيك–: أن لأهمية التقوى ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في أكثر من مائتين وخمسين موضعاً بل إنها تتكرر في الآية الواحد مرتين أو ثلاث مرات مثال ذلك قال جل وعلا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)} (الحشر ١٨)

وتكررت في أخرى ثلاث مرات يقول سبحانه {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} (المائدة ٩٣)

يقول سيد قطب – رحمه الله – " والتقوى حساسية في الضمير وشفافية في الشعور وخشية مستمرة وحذر دائم وتوق لأشواك الطريق ... طريق الحياة ... الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس ... وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء ولا الخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً وعشرات غيره من الأشواك ...] ([١٦٢])

التقوى هي أفضل نراد يتزود به لعبد

الله تعالى أمر عباده المتيقن العاملين في محراب الحياة أمرهم بالتزود وأن يأخذوا لأنفسهم زاداً لا ينفذ مع طول السفر، بل يبقي معهم في الدارين الدنيا والآخر ... وجه الخطاب لأولي الألباب لأنهم المقصودون من الخطاب فقال

سبحانه وتعالى {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)} (البقرة ١٩٧)

يقول ابن كثير – رحمه الله – وقوله " {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما

قال تعالى {وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦] لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع

قال عطاء الخرساني قوله {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} يعني زاد الآخرة وقال الزمخشري – رحمه الله – أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح، فإن خير الزاد اتقائها.

---

[١٦٢] – في ظلال القرآن جـ ١ / ٣٩

وقيل: كان أهل اليمين لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا؟ فيكونون كلاً على الناس، فنزلت فيهم [١٦٣]

ومعناه وتزودا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى { واتقون } وخافوا عقابي { يا أولي الألباب } يعني أن قضية اللب تقوى الله ، ومن لم يتقيه من الألباب فكأنه لا لب له [([١٦٤])

لهذا كان السلف من أولي الألباب يوصي بعضهم بعضاً بها، وأن يجعلوها زادهم في الدنيا والآخرة، فعليها مدار سعادة العبيد واسمع إلى تلك الوصايا ... كتب أحد السلف إلى أخيه " أم بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربة منك وقدرته عليك، وأعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك قلبك والسلام "

وكتب رجل من السلف إلى أخ له: أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك الثواب] ([١٦٥])

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسامهم ظلمه القبر

وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

وصدق الله العظيم إذ نادى عباده وحث عليها بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

ومن شرفها أنها أجمل اللباس:

---

[١٦٣] – أخرجه البخاري جـ ٤ ص ١٢٧ عن ابن عباس، وأخرجه أبو داود جـ ١٢ ص ٧٥ وعبد بن حميد والنسائي

[١٦٤] – وذكره الشيخ مقبل في الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٣١

[١٦٥] – الكشاف جـ ١ص ٢٤٤ – وكتاب التقوى ٢١

فـأجمل ما يتزين به العباد تقوى الله عز وجل فهي خير ما يلبســـه المؤمنون قال تعالى {يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)} (الأعراف ٢٦)

لباس التقوى أحصـن جنة يتحصـن بها الخائفون، وخشـية الله أوثق عروة يمسـك بها المتمسكون، وأداء فريضة الله واجتناب محارم الله أنجح وسيلة توسل بها إلى الله المتوسلون

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ومن شرفها أنها وصية الله للأولين والآخرين

يقول الشـــيخ أحمد فريد – حفظه الله – قال الله تعالى {وَلِلَّهِ مَا فِي السـَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصـَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السـَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا} (النســـاء ١٣١)

أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، أليس الله هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للأجر ، وأجل في العبودية ، وأعظم في القدر وأولى بالحال وأنجح في المال ، من هذه الخصـلة التي هي التقوى لكان الله تعالى أمر بها عبادة ، وأوصى خواصه بذلك لكمال وجمع حكمته وسعة رحمته فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها علمت أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ، ولا مقصود دونها ، وأنه عز وجل قد جمع كل نصـح ودلالة وإرشـاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الخصـلة الواحدة ، كما يليق بحكمتـه ورحمته وعلمت أن هذه الخصـــلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمـات المبلغـة إلى أعلى الدرجات ، وهذا أصـــل لا مزيد عليه ، وفيه كفاية لمن أبصـــر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى الله والله ولي الهداية والتوفيق] ([١٦٦])

[١٦٦] – التقوى ص ١٤

وهكذا أوضح الله لنا أعظم الصفات وأحبها إليه ووصانا بها وأن نستمر عليها، فهي المحرك لجميع الأعمال، والمقرب لجميع الطاعات والقربات فبها صام الصائمون ولتحقيقها قام القائمون، وهي حادي الحجاج إلى بيت الله الحرام ومن أثرها خاف الخائفون وبكي الباكون فهي مفتاح الطاعات والتحبب إلى رب الأرض والسموات فلا غرو أن يوصي المولى جل وعلا بها الأولين والآخرين

وهي وصية الرسول – ﷺ – لأمته : –

وها هو الحبيب – ﷺ – يوصي أمته بتلك الدرة الغالية أمرهم أن يعتصموا بها في وقت الأزمات وعند الشدائد والمحن فهي سفينة النجاة التي من ركبها فلن تضره فتنة ما دامت السموات والأرض .

عن العرباض بن سارية قال " صلى بنا رسول الله – ﷺ – الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله : كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة] ([١٦٧])

قال ابن رجب — رحمه الله " فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها وهي وصية الله للأولين والآخرين، وأم السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيهما سعادة الدنيا، وبها تنظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم]

الدرس السابع

رمضان شهر القرآن

[١٦٧] — أخرجه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٤٥٨٣، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجة والدار مي والبغوي في شرح السنة وصححه الألباني

اعلم –علمني الله و إياك و زادك الله علما و فهما–: أن الله — تعالى ربط في كتابه الكريم بين صوم رمضان، والقرآن الكريم ، فقال : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥] ، وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١] وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]

وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". ([١٦٨])

فأهل الصيام هم أهل القرآن الذين مدحهم الله تعالى بقوله {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩، ٣٠].

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله أهلين من الناس فقيل من أهل الله منهم قال أهل القرآن هم أهل الله "([١٦٩])

روضوا على منهج القرآن أنفسكم يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا

و القران يشفع لأهله يوم القيامة عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه "، قال: «فيشفعان»([١٧٠]).

وها هو التكريم الأعظم لأهل القران يوم القيامة وعن أبى هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة.

---

[١٦٨] – أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٥)، والطبراني (٧٥/٢٢، رقم ١٨٥) وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (١٥٠٩).

[١٦٩] – أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٣، رقم ٢١٢٤) ، وأحمد (١٢٧/٣ ، رقم ١٢٣٠١) ، والنسائي في الكبرى(١٧/٥ ، رقم ٨٠٣١) ، وابن ماجه (٧٨/١ ، رقم ٢١٥) ، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢١٦٥ في صحيح الجامع

[١٧٠] – أخرجه أحمد (١٧٤/٢، رقم ٦٦٢٦)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٨١/٣) قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح. انظر صحيح الجامع: ٣٨٨٢، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة) ([171])

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن في رمضان على جبريل عليه السلام، فكان يدارسه القرآن.

عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.([172])

حال السلف مع القران في رمضان

قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه. ([173])

علو الهمة عند السلف في تلاوة القرآن وختمه أكثر من مرة بصور عجيبة:

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها.

كان الأسود بن يزيد: يقرأ في كل ليلتين في رمضان.

وكان إبراهيم النخعي: يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة وفي بقية الشهر في ثلاث.

وكان قتادة: يختم في كل سبع دائما، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة. وعن أبي حنيفة نحوه .([174])

---

[171] – أخرجه الترمذي (٥/١٧٨، رقم ٢٩١٥) وقال: حسن صحيح. والحاكم (١/٧٣٨، رقم ٢٠٢٩) (صحيح الجامع٨٠٣٠) .

[172] – أخرجه أحمد ١/٢٣٠(٢٠٤٢) والبخاري" ١/٤(٦) و٤/٢٢٩(٣٥٥٤).

[173] – لطائف المعارف: صـ٢٤٦ .

[174] – لطائف المعارف: صـ٢٤٦ .

ثم قال الإمام ابن رجب رحمه الله بعد ذكر هذه الآثار: وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أوفي الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره. ([١٧٥])

وعن محمد بن مسعر قال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن.

وعن ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، والتلاوة.

وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس.

وقال البغوي: أخبرت عن جدي أحمد بن منيع رحمه الله أنه قال: أنا من نحو أربعين سنة أختم في كل ثلاث.

وعن مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة.

وقال سليمان بن يسار رحمه الله: قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها.

وعن ابن سيرين: أن تميماً الداري كان يقرأ القرآن في ركعة.

وعن الحارث بن يزيد: أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن في كل ليلة ثلاث مرات.

وقال ابن شوذب: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل.

الإمام حمزة بن حبيب الزيات، القيم بكتاب الله، العابد الخاشع، القانت لله يقول: نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري.

---

[١٧٥] – لطائف المعارف: صـ٢٤٦ .

قال يحيى اليماني: لما حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة([١٨]). .([١٧٦])

وثابت اللبناني قال عنه شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر.

وقال أسد بن الفرات: كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين قال: فنزل بي حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله: كان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهار ومرة في الليل.

أبو العباس بن عطاء: له في كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

الحافظ بن عساكر: كان يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم.

وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة.

الإمام البخاري رحمه الله: كان يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

أما إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقد قال عنه جعفر ابن أب هاشم: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون.

وقال الإمام علي بن المديني شيخ البخاري: حفر شبر الحافي قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن.

شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطنسي: كان يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين، وأكب في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبة لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

---

[١٧٦] – ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله: للدكتور سيد حسين العفاني جـ٢صـ١٢١–١٢٦ ٠

والشيخ الفاضل محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي: كان كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن سراً وجهراً، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي أبو عبد الله الحلفاوي التونسي نزيل غرناطة يعرف بابن المؤذن: كان صاحب مقامات وكرامات، حسن الصلاة جداً، وكان يختم في رمضان مائة ختمة. ([١٧٧])

يقول ابن رجب: (يا من ضيع عمره في غير الطاعة، يا من فرط في شهره بل في دهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟). ([١٧٨])

فعلينا في شهر القرآن أن نحسن التعامل مع القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا، وأن نشجع أولادنا على حفظه وتلاوته ، وأن نجعل من رمضان فرصة لتكريم حفظة القرآن الكريم ، وإعطاء الفرصة للأصوات الندية للقراءة في صلاة القيام والتهجد ، حتى يصعد القرآن للخالق ويدعوا لنا ، فيقول اللهم احفظهم كما حفظوني ، وأكرمهم كما أكرموني ، وشرفهم كما شرفوني ، وشفعني فيهم يوم القيامة .

أَكْـرِمْ بقـومٍ أَكْرَمُـوا القُرآنـا * * * وَهَبُـوا لَـهُ الأرواحَ والأَبْـدَانـا

قومٌ قد اختـارَ الإلـهُ قلوبَهُـمْ * * * لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُـدى بُسْتَانـا

زُرِعَتْ حُروفُ النورِ بينَ شِفَاهِهِمْ * * * فَتَضَوَّعَتْ مِسْكـاً يَفِيـضُ بَيَانَـا

رَفَعُوا كِتابَ اللهِ فـوقَ رُؤوسِهِـمْ * * * لِيَكُونَ نُوراً في الظـلامِ... فَكَانـا

سُبحانَ مَنْ وَهَبَ الأُجورَ لأَهْلِهَـا * * * وَهَدى القُلُوبَ وَعَلَّمَ الإنسانـا

يَا رَبِّ أَكْرِمْ مَـنْ يَعيـشُ حَيَاتَـهُ * * * لِكِتَابِـكَ الوَضَّـاءِ لا يَتَـوَانـى

واجْعِلْ كِتَابَـكَ بَيْنَنَـا نُـوراً لنـا * * * أَصْلِحْ بِهِ مَـا سَـاءَ مِـنْ دُنْيَانـا

---

[١٧٧] – ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله: للدكتور سيد حسين العفاني جـ٢صـ١٣٠–١٣٤ .

[١٧٨] – لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧٣)

الدرس الثامن

التبيان في بيان حقوق القران (١)

أمة الإسلام: نعيش مع خير كتاب أُنزل، هو دستور هذه الأمة بل هو الروح الذي به تحيا الأمة وتبعث من ظلمة الشرك والكفر {وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى: ٥٢، ٥٣]

وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدْيٍ وغي. فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد ". ([١٧٩])

فما كان إلا نور الشمس: لا يزال الجاهل يطمع في سرابه ثم لا يضع منه قطرة في سقائه، ويلقى الصبي غطاءه ليخفيه بحجابه ثم لا يزال النور ينبسط على غطائه...

ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة... ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ..." ([١٨٠])

فما هي حقوق القران الكريم؟

وما هو دور الأمة الإسلامية في إرساء هذه الحقوق؟

وما هي أثار تلك الحقوق إذا طبقتها الأمة في حياتها اليومية؟

الحق الأول: حق الإيمان والتصديق:

أمة القران: إن الله تعالى أنزل القران الكريم وأوجب علينا حقوقا نحوه لا يتم الإيمان ولا يكتمل الإسلام إلا إذا تحلى بها المسلم والمسلمة. بعضها فيصل بين الكفر والإيمان، وبعضها من زينة أهل الإيمان ومن علامات الخضوع للرحمن نذكر منها في هذا اللقاء ما يلي

فالحق الأول حق الإيمان والتصديق:

و هذا من أعظم الحقوق الذي بدونه يكفر الإنسان و لا يكون من أولياء الرحمن قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: ١٧٠]،

---

[١٧٩] – [الإتقان: ١ / ٣٩]

[١٨٠] – إعجاز القرآن: ٢٩ ـ ٣٠]

وقال الله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: ١٣٦]،

يقول ابن كثير: قوله: {وَالْكِتَابِ الَّذِي نزلَ عَلَى رَسُولِهِ} يعني: القرآن {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ} وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، ([١٨١])

وقد قال الله تعالى في صفة عباده المؤمنين: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص: ٥٢]، و تأملوا أيها الأحباب إلى تأثر علماء أهل الكتاب بالقران عندما يسمعوه: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[المائدة: ٨٣]

الواقع التطبيقي لهذا الحق

عن ابن عباس : {ا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى } [المائدة: ٨٢] ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغ ذلك المشركين ، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ، ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فقالوا : إنه خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها ، زعم أنه نبي ، وإنه بعث إليك رهطا ليفسدوا عليك قومك ، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم . قال : إن جاءوني نظرت فيما يقولون . فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأموا باب النجاشي فقالوا: أستأذن لأولياء الله؟ فقال: ائذن لهم، فمرحبا بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا ، فقال له الرهط من المشركين : ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك ، لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها ؟ فقال لهم : ما منعكم أن تحيوني بتحيتي فقالوا : إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة . قال لهم : ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه ؟ قال : يقول : هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، ويقول في مريم : إنها العذراء البتول . قال : فأخذ عودا من الأرض فقال : ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود ، فكره المشركون قوله ، وتغيرت وجوههم . قال لهم : هل تعرفون شيئا مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم . قال : اقرءوا ، فقرؤوا ، وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى ، فعرفت كل ما قرأوا ، وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق . قال الله تعالى ذكره : {ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول} الآية.. ([١٨٢])

---

[١٨١] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (٢/ ٤٣٤)

[١٨٢] –) التفسير ١٠/٤٩٩–٥٠٠ ح ١٢٣١٧) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (التفسير – سورة المائدة آية ٨٣ ح ٤٢٨

أظلم الناس من كذب بالقران: قال الله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [الزمر: ٣٢].

إيمان الجان بالقران

روى البخاري: عن ابن عباس قال: "انطلق رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشُهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُهب. قال: ما حالَ بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تِهامة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا، إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً. وأنزل الله عز وجل على نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -(قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحي إليه قول الجن". ([١٨٣])

الحق الثاني: حق التلاوة

إخوة الإسلام: ومن حقوق القرآن التي بينها لنا الملك الديان في غير ما آية من كتابه حق التلاوة تلاوة القرآن من الحقوق الجليلة التي أمر الله بها نبيه والأمةَ بعده؛ فقال تعالى لنبيه: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ٤]،

: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} [النمل: ٩١، ٩٢]،

وقد مدح الله تعالى الذين يتلون القرآن حق التلاوة فقال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة: ١٢١]

عن ابن عباس في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال: يتبعونه حق اتباعه. ثم قرأ إذا تلاها يقول: اتبعها. ([١٨٤])

---

[١٨٣] – (صحيح البخاري ٥٣٧/٨–٥٣٨ ك التفسير–سورة الجن ح ٤٩٢١. صحيح مسلم ٣٣١/٤–٣٣٢

[١٨٤] – الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٢٢٦)

(يتلونه حق تلاوته)، أي يفهمون أسراره ويفقهون حكمة تشريعه. وفائدة نوط التكليف به، لا يتقيدون في ذلك بآراء من سبقهم فيه، ولا بتحريفهم كلمه عن مواضعه ([١٨٥])

المرحلة الأولى: نحقق فيها المعنى الأول للتلاوة وهو القراءة، فنحسن قراءة آيات القرآن، ونتقن أحكام ترتيل القرآن، وننفذ قول الله تعالى: (ورتِّل القرآن ترتيلاً) (المزمل: ٤).

المرحلة الثانية: نحقق فيها المعنى الثاني للتلاوة، وهو الاتباع، فنحسن اتّباعنا للقرآن، من خلال صدق التزامنا به، وتدبّرنا له، وتنفيذنا لأحكامه.

والمرحلة الأولى يجب أن تقودنا إلى المرحلة الثانية، فمن حقق المرحلتين فهو رجل قرآني حقاً، وهو قد تلا القرآن حقّ تلاوته. أما من اكتفى بالمرحلة الأولى: وأهمل المرحلة الثانية؛ فهو آثم معذَّب عند الله، والقرآن حجة وشاهد عليه يوم القيامة، ولا ينفعه تلاوته لآياته وأحكامه وإتقانه لقراءتها، لأنه أهمل تطبيقها والتزامها.

لا يجوز أن نهمل المرحلة الأولى من التلاوة، فيجب أن نحسن قراءة آيات القرآن، وأن نتقن أحكام الترتيل، لكن لا يجوز أن نكتفي بهذه المرحلة وأن نتوقف عند القراءة.

والمشكلة أن بعض المسلمين يكتفي بتلاوة وقراءة آيات القرآن، فيحرص على إتقان أحكام الترتيل وتجويد الصوت ولا يتسامح في حركة من حركات الترتيل، أو مخرج من مخارج الحروف، ولكنك عندما تنظر في اتباعه للآيات التي أحسن قراءتها فلا تكاد ترى من ذلك الاتباع شيئاً.

يجب أن نتلو القرآن حق تلاوته، وأن توجد في حياتنا عملياً هذه الجملة المعجزة الموجزة (يتلونه حق تلاوته).

إن حق التلاوة يعني أن نقرأ آيات القرآن حق القراءة، ثم أن نتبع أحكام القرآن حق الاتباع، وأن ننفذها حق التنفيذ، وأن نلتزم بها ([١٨٦])

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الماهر بالقرآن في معيَّة الملائكة الكرام فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران" ([١٨٧])

وقد بين لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم–فضل تلاوة القران الكريم ورتب عليها الثواب العظيم

---

[١٨٥] – تفسير المنار (١/ ٣٦٨)

[١٨٦] – موقع جمعية الاتحاد الإسلامي مقال: يتلونه حق تلاوته للدكتور صلاح الخالدي

[١٨٧] – أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٨٠ سورة عبس

فعن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (آلم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" ([188])

فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيامُ: أيْ ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان". ([189])

حرص النبي – صلى الله عليه و سلم – على قراءة القران : و قد كان النبي – صلى الله عليه و سلم حريصا على قراءة القران و الاستماع إليه من غيره و إليك طرفا من ذلك ، فقد أمر عبد الله أن يقرأ عليه القرآن ، فعن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم " اقرأ علي القرآن : قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري ،فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء : ٤١]} فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان . ([190])

حرص عبد الله بن عمر –رضي الله عنه–

عن عبد الله بن عمرو قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها، مما بي من القوة على العبادة، من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته، حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يعرف لنا فراشا، فأقبل علي، فعذمني، وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها ، وفعلت، وفعلت ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاني، فأرسل إلي النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته، فقال لي: " أتصوم النهار ؟ " قلت: نعم، قال: " وتقوم الليل؟ " قلت: نعم، قال: " لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " قال: " اقرأ القرآن في كل شهر "، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: " فاقرأه في كل عشرة أيام "، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، – قال أحدهما، إما حصين وإما مغيرة – قال: " فاقرأه في كل ثلاث "، قال: ثم قال: " صم في كل شهر ثلاثة أيام "، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل

---

[188] – أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢١٦/١)، والترمذي (١٧٥/٥، رقم ٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب. والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٢/٢، رقم ١٩٨٣)

[189] – (أخرجه أحمد) ٦٦٢٦، (و الحاكم) ٢٠٣٦، انظر صحيح الجامع: ٣٨٨٢ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

[190] – أخرجه أحمد (٣٨٠/١، رقم ٣٦٠٦)، ومسلم (٥٥١/١، رقم ٨٠٠)، وأبو داود (٣٢٤/٣، رقم ٣٦٦٨). أخرجه أيضاً: البخاري (١٩٢٧/٤ رقم ٤٧٦٨) والترمذي (٢٣٨/٥ رقم ٣٠٢٥) والبيهقي (٢٣١/١٠ رقم ٢٠٨٤٦)

يرفعني حتى قال: " صم يوما وأفطر يوما، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود " صلى الله عليه وسلم "([191])

حرص تميم الداري –رضي الله عنه-. عن محمد بن سير بن –رحمه الله–قال: كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة وعن أبي قلابة –رضي الله عنه–: كان تميم الداري يختم القرآن في سبع ليال" ([192])

حرص أسيد بن حضير –رضي الله عنه–

عن أسيد بن حضير قال :بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذا جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتراه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي – النبي – صلى الله عليه وسلم- فقال له : اقر أبن حضير اقرأ يا بن حضير ، قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان قريبا فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها : قال وتدري ما ذاك ، قال: لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم " ([193])

وها هو يحي الليل بالقرآن ويسمع النبي – صلى الله عليه وسلم- فيدعو له عن عبد الله أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مر بين أبى بكر وعمر وعبد الله قائم يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها – يقرأها قراءة مفصله – فقال " من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد (فأخذ) عبد الله في الدعاء ، فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول " سل تعطى (فكان) في ما سأل اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ، ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد – صلى الله عليه وسلم- في أعلى جنان الخلد فقال عمر : لأغدون على عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله – صلى الله عليه وسلم- على دعاءه ، فأتى عمر " عبد الله " فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال : إنك لسباق بالخير" ([194])

---

[191] –) أخرجه البخاري (١٩٢٧/٤، رقم ٤٧٦٧)، ومسلم (٨١٤/٢، رقم ١١٥٩)، وأبو داود (٥٤/٢، رقم ١٣٨٨). وأخرجه أيضاً: البيهقي (٣٩٦/٢، رقم ٣٨٦٣).

[192] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي –(٣ / ٦١٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد – (٢ / ١١٥)

[193] –) أخرجه أحمد ح ١١٧٦٦ ، و البخاري جـ ٥٠١٨. وأخرجه مسلم (٧٩٦) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٤٤)

[194] – أخرجه أحمد " ١ / ٤٤٥، ٤٥٤، وأخرجه الحاكم بنحوه ٣ / ٣١٧، و أبو يعلى ح ٥٠٥٨، و قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٩٦١ في صحيح الجامع .

الدرس التاسع

التبيان في بيان حقوق القران (٢)

الحق الثالث: حق التدبر

أحباب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إن من حقوق القران الكريم على امه النبي الأمين–صلى الله عليه وسلم–حق التدبر والتفكر فيما فيه من عجائب باهرات وحجج قاطعات وأدلة ساطعات على أنه رب الأرض والسماوات

لذا الله دعانا لتدبر كتابه وتأمل معانيه وأسراره: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ) [ص: ٢٩].

وقد و لقد ذم الله تعالى أقواما لا يتدبرون القران فقال : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) [النساء: ٨٢،

الناس عند سماع القرآن أنواع:

قال تعالى في آياته المشهودة: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق: ٣٦، ٣٧].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "الناسُ ثلاثةٌ: رجلٌ قلبُه ميتٌ، فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوةِ، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُرُودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصُلُ له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغلْه بغير فهم ما يسمعُهُ، فهو شاهدُ القلب، مُلقي السَّمع، فهذا القِسمُ هو الذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسُّطٍ من البُعد والقربِ، فهذا هو الذي يراه.

فسبحان من جعل كلامه شفاءً لما في الصدور. ([١٩٥])

الواقع التطبيقي لهذا الحق:

فاذا أسقطنا هذا الحق على الواقع التطبيقي في حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–وأصحابه–رضي الله عنهم أجمعين لرأينا ما يلي:

المثال الأول: النبي – صلى الله عليه وسلم–

قال ابن عمير– رحمه الله – لعائشة – رضي الله عنها : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها {إن في خلق السموات والأرض ... }» الآية كلها [آل عمران: ١٩٠]. ([١٩٦])

تدبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه

* تحدثنا أم المؤمنين عائشة عن أبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنهما أنه كان ذا رقة وحساسية ولا يملك نفسه من البكاء عند تلاوة القرآن، قالت: (إنّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ) وفي رواية (أَسِيفٌ) وفي روايةٍ: (كان أبو بكر رجلا بكّاءً، لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن)! ([١٩٧])

وفي حديث عائشة –رضي الله عنها –أنها ، قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم – حين أمر أبا بكر بالصلاة في مرضه : إن أبا بكر رجل أسيف فمتى ما يقم مقامك يغلبه البكاء ([١٩٨]) أي سريع البكاء والحزن ، وقيل : هو الرقيق.

قال أبو عبيد: الأسيف السريع الحزن والكآبة، في حديث عائشة، قال: وهو الأسوف والأسيف ([١٩٩])

المثال الثاني – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس بالمدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ:

---

[١٩٥] – مدارج السالكين (١/ ٤٤٣)

[١٩٦] – (أخرجه ابن حبان) ٦٢٠، انظر الصحيحة: ٦٨ ،و صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٨

[١٩٧] – (فتح الباري ٦٣٧/٧)

[١٩٨] – مسند أحمد ط الرسالة (٤٢/ ١٥٣) أخرجه البخاري (٣٣٨٤)

[١٩٩] – لسان العرب لابن منظور (١/ ٧٩)

{والطور.} حتى بلغ: {إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع} (الطور: ٧-٨) ..... قال: قسم ورب الكعبة حق. فنزل عن حماره. واستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه. رضي الله عنه. ([٢٠٠])

الحق الرابع: حق العمل به

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن الله تعالى انزل القران ليعمل به ولتنفذ أحكامه وآدابه على أرض الواقع لتتحول الأمة إلى قران يمشي على ظهر الأرض يفيض هداية ورحمة

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت قول الله تعالى (يا أيها الذين امنوا) فأرعها سمعك، فإنها خير يأمر به، أو شر ينهى عنه" ([٢٠١])

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: " إنا أخذنا القرآن عن قوم، فأخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعملوا ما فيهن من العلم، قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعا ، وإنه سيرث هذا القرآن قوم بعدنا يشربونه كشربهم الماء ، لا يجاوز تراقيهم ، قال: بل لا يجاوز ههنا ، ووضع يده تحت حنكه " ([٢٠٢])

الجانب التطبيقي للعمل بكلام الرب العلي

فاذا أسقطنا ذلك الحق على الواقع التطبيقي في حياة الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين لرأينا كيف تحولوا إلى قران يمشي على الأرض يعملون بما يحفظون

ثابت بن قيس من أهل الجنة.

عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} إلى قوله {وأنتم لا تشعرون} ، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت ، فقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حبط عملي ، أنا من أهل النار ، وجلس في أهله حزينا ، فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بعض القوم إليه ، فقالوا له : تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك ؟

فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي، وأجهر بالقول حبط عملي، وأنا من أهل النار، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه بما قال، فقال: لا، بل هو من أهل الجنة قال أنس: وكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف،

---

[٢٠٠] – تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن (ص: ٤١٦) وهو ضعيف

[٢٠١] – تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ١٠٩)

[٢٠٢] – البدع لابن وضاح (٢/ ١٧٠)

فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل. ([٢٠٣])

نساء الصحابة عاملات بالقرآن الكريم

عن عائشة –رضي الله عنها –قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (٣١) سورة النــور. شققن مروطهن فاختمرن بها) ([٢٠٤])

ولابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن خثيم عن صفية قالت: (ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أُنْزِلَتْ سورة النور (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرْطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان) ([٢٠٥])

فليت نساء المسلمين اليوم تقرأ هذه النماذج، فطالما سمعوا آيات الله تتلى آناء الليل وأطراف النهار، ولكن آيات الله في واد، وهن في واد فإلى الله المشتكى، وحسبنا الله ونعم الوكيل

المنافقون قول بلا عمل

أما المنافقون فهم قوم يقرؤون القران ولا يجاوز حناجرهم لا يؤمنون به ولا يتدبرونه على قلوبهم أقفال النفاق يقول الله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٤٧].

عن أنس بن مالك عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلوٌ ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيبٌ وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر وفي رواية ومثل الفاجر في الموضعين بدل المنافق" ([٢٠٦])

الحق الخامس: التحاكم إلى القرآن

---

[٢٠٣] –) أخرجه أحمد (١٩/ ٣٩٢) عبد بن حميد (١٢٠٩) ، وأبو عوانة ٦٩/١، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٣٥٤/٦ وأخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٥٥٧) ، ومسلم (١١٩) (١٨٨) ، وأبو يعلى (٣٣٣١) ،

[٢٠٤] – أخرجه البخاري في التفسير ترجمة الباب ١٣ : ٣٤ تعليقا وأبو داود في اللباس (١ : ٢٢)

[٢٠٥] – (فتح الباري (٣٤٧/٨) كتاب التفسير باب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

[٢٠٦] – أخرجه أحمد (٤٠٣/٤، رقم ١٩٦٣٠) ، والبخاري (٢٠٧٠/٥ ، رقم ٥١١١) ، ومسلم (٥٤٩/١ ، رقم ٧٩٧) ، وأبو داود (٢٥٩/٤ ، رقم ٤٨٣٠) ،

اعلموا عباد الله أن الله تعالى علق الإيمان بالتحاكم إلى كتابه وسنه نبيه — صلى الله عليه وسلم–قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} (النساء/٦٥)

واعلموا أن ما فيه الأمة من تخبط ومن قلاقل إنما سببه الوحيد هو تنحية كتاب الله تعالى والتحكم إلى غيره و قد حكم احكم الحاكمين على من فعل ذلك بالضلال المبين فقال: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} (الأحزاب/٣٦)

ثم اعلموا علمني الله وإياكم أنه لا يجوز الفصل بين ركن وركن فالإيمان لا يتجزأ قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة / ٢٨٥)

قال ابن كثير على هذه الآية: فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مَهْديون هادون إلى سُبُل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نُسخ الجميع بشرع محمدّ صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين. ([٢٠٧])

إخوة الإسلام ما انزل الرحمن القران إلا ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ} (المائدة/٤٨)

قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً} (النساء/١٠٥)

يبين لنا سبحانه: إنه أنزل إلي الرسول–صلى الله عليه وسلم –القرآن مشتملا على الحق الواضح، ليحكم بين الناس جميعًا بما أوحى الله تعالى إليه، وبَصَّره به، فلا تكن يا رسول الله للذين يخونون أنفسهم –بكتمان الحق–مدافعًا عنهم بما أيدوه لك من القول المخالف للحقيقة

وليس الأمر متروكا للأهواء والآراء بالله هو لرب الأرض والسماء قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}

[٢٠٧] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (١/ ٧٣٦)

واللهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّها ** لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالغُفْرَانِ

لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلاخَ القَلْبِ مِنْ ** تَحْكِيمِ هَذَا الوحْيِ والقُرْآنِ

وَرِضَا بآرَاءَ الرِّجَالِ وَخُرْصِهَا ** لا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ

فَبأيّ وَجْهٍ أَلْتَقِي رَبِّي إِذَا ** أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ

وَعَزْلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لأَجْلِهِ ** عَزْلاً حَقِيقِيًا بلا كِتْمَانِ

الحق السادس: حق الاستشفاء به

أمة الإسلام: إن نصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تدل على أن كتاب الله تعالى كله شفاء لما يعرض للإنسان من أمراض ظاهرة أو باطنة، ويدخل في ذلك السحر وغيره.

فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: ٨٢].

وإذا أمعنا النظر في كلمة (شفـــاء) لم يقل دواء لأن الدواء قد يكون خاص، ولكنه قال شفاء، والشفاء عام، يقول ابن القيم في زاد المعاد: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة....) الخ. ويقول كذلك: (فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله). ([٢٠٨])

ولا بد من اليقين وحسن الظن بالله؛ لأن من شروط انتفاع العليل بالدواء قبوله واعتقاده، وأن لا يأخذ كلام الله من باب التجربة؛ لأن هذا خلل في الاعتقاد ولا بد من يقين جازم من قبل الراقي والمرقي عليه.

الواقع التطبيقي لهذا الحق:

المثال الأول:

العلاج بالمعوذات (سورة الناس والفلق والإخلاص) تروي أمنا عائشة رضي الله عنها–أن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كان إذا مرض أحدٌ من أهلِه، نفثَ عليهِ بالمعوِّذاتِ. فلما مرض مرضَه الذي مات فيهِ، جعلتُ أنفثُ عليهِ وأمسحُه بيدِ نفسِه. لأنها كانت أعظمُ بركةً من يدي وكان إذا اشتكى يقرأُ على نفسِه بالمعوِّذاتِ ([٢٠٩])

المثال الثاني

---

[٢٠٨] – زاد المعاد المجلد الرابع صفحة ٣٢٥.

[٢٠٩] –أخرجه البخاري ٥٠١٦ ومسلم ٢١٩٢ ح ٥١ وأبو داود ٣٩٠٢ وأحمد ٦/ ١٠٤ و١٨١ و٢٥٦ و٢٦٣ وابن حبان ٢٩٦٣

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فَلُدِغَ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم لو أتيتم هذا الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدِغَ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحدٍ منكم من شيء، فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة، قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية، ثم قال: قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهماً، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: عالجيها بكتاب الله. ([٢١٠])

المثال الثالث

قال ابن القيم رحمه الله: "ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، وكان كثير منهم يبرأ سريعا" ([٢١١])

المثال الرابع

يأس الأطباء من العلاج وشفي بالقرآن

رجل كان مصابا بمرض السرطان وقد حاول العلاج هنا في المملكة، ولكن قيل له: لا علاج لك إلا في الدول الغربية ! !

اضطر للذهاب إلى أمريكا وكان معه أخوه، وبعد فحصه قال الطبيب لمرافقيه: إنه لا يمكن علاج هذا المرض فقد استفحل وسيبقى على هذه الحال حتى يموت ! ! وفي الليل تذكر أخوه المرافق قول الله تعالى " وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ " الشعراء (٨٠)، فأخذ يقرأ عليه طوال الليل ما استطاع من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وبعدها نام، فلما جاء الغد وجد أن أخاه يتحسن! فأعاد عليه القراءة مرة أخرى

---

[٢١٠] –أخرجه البخاري في الإجارة باب ١٦، والطب باب ٣٣ و٣٩. ومسلم في السلام حديث٦٦. وأبو داود في البيوع باب ٣٧، والطب باب١٩. وأحمد في المسند (٣/ ١٠، ٤٤)

[٢١١] –زاد المعاد ١٧٨/٤

كما فعل في الأولى وبدأ التحسن واضحا عليه فكرر القراءة عليه عدة مرات وبعد أن تم إعادة الفحص مرة أخرى قال الطبيب لأخيه مستغربا هل هذا هو المريض الذي فحصناه في المرة السابقة؟

فأجابه: نعم. فقد شفي هذا الرجل بتوفيق من الله ثم بقراءة القران الكريم عليه ([٢١٢])

أحبتي في الله.

[٢١٢] –موقع صيد الفوائد

الدرس العاشر

رمضان شهر التوبة

أخي المسلم. أختي المسلمة: يعد شهر رمضان محطة انتقال من حال إلى حال في حياة كثير من الصائمين فهو بداية لصفحة جديدة مع الله –سبحانه وتعالى–و هو شهر النفحات و الرحمات شهر نرى فيه المساجد قد امتلأت عن أخرها بالمصلين و بالعائدين إلى رب العالمين

فمن لم يكن يصلي قد اقبل على ربه وفتح صفحة جديدة مع الله تعالى

من كان يسمع الغناء استغفر وتاب ورجع إلى ربه وأناب وأقبل على القران الكريم

من كان قاطعا لأرحامه نراه في مشهد الود والصلة مرة أخرى انه شهر التائبين

كثر فيه البكاء وعلى فيه النحيب حالهم كما قال الشاعر

أتيتك راجيا يا ذا الجلال ففرج ما ترى من سوء حالي

عصيتك سيدي ويلي بجهلي وعيب الذنب لم يخطر ببالي

لعمرى ليت أمي لم تلدني ولم أغضبك في ظلم الليالي

فها أنا عبدك العاصي فقير إلى رحماك فاقبل لي سؤالي

فإن عاقبت يا ربي تعاقب محقا بالعذاب وبالنكال

وإن تعف فعفوك قد أراني لأفعالي وأوزاري الثقال

فها هو شهر التوبة ، والعودة والأوبة ، فيا من عصيت الله في كل الأحوال ، ها هو شهر القبول والنوال ، فلا يعقل أن يمر شهر رمضان دون إحداث توبة جدية ، وعودة حميدة ، وترك للهوى والشهوات ، ورجوع صادق إلى رب البريات ، لابد من تغير الحال في شهر رمضان ، فلا يمرن شهركم إلا وقد أريتم الله من أنفسكم خيراً ، فلا يكن الحال قبل رمضان ، كما هو في رمضان ، بل شمروا عن سواعد الجد والاجتهاد ، والمجاهدة والجهاد ، ومقاومة عدوكم اللدود ، إن الشيطان يقعد لكم كل مقعد ، ويرصد لكم كل مرصد ، ليوقعكم في الذنوب والخطايا ، والآثام الرزايا : {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ

لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: ١٤ – ١٨] فمن لم يتب في شهر التوبة فمتى سيتوب ، ومن لم يندم في شهر رمضان فمتى سيتوب ؟

ها هو شهر رمضان، قد غلقت فيه أبواب النيران، وفتحت فيه أبواب الجنان، وصفدت فيه مردة الجان، وكبت فيه الشيطان، ها هو باب التوبة قد فتح، فليدخل فيه التائبون، {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢]، رمضان! شهر تغسل فيه الحوبات، وتنبذ فيه الخطيئات، فلا يخرجن هذا الشهر إلا وقد تبدلت الطباع، وتغيرت الأوضاع، وظهر أثر رمضان على الظاهر والباطن، هكذا نستلهم منه العبر، ونجني الدرر، من شهر البكاء والعبرات، والندم على ما فات، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، يا عالم الخفيات، يا مجيب الدعوات.

أيها الصائمون: التّوبةُ خضوعٌ وانكسَار، وتذلُّل واستغفارٌ، واستِقالَة

واعتِذار، وابتِعاد عن دواعِي المعصيةِ، ونوازِع الشرِّ، ومجالس الفِتن، وسُبُل الفساد، وأصحابِ السّوء ، وقرَناء الهوى ، التوبةُ صفحةٌ بيضاء ، وطهر ونقاء ، وخشيَة وصفاء ، وإشفاق وبكاء ، وتضرُّع ونداء ، وسؤالٌ ودعاء ، وخوفٌ وحياء ، التوبة خجَل ووَجل ، وعودة ورجوع ، وانكسار وخضوع ، وندم ونزوع ، وإنابةٌ وتدارك ، وخوف من المهالك ، التوبة يا عباد الله نجاةٌ من كلّ غمّ ، ووقاية من كلّ همّ ، وظفَرٌ بكلِّ مطلوب ، وسلامةٌ من كلّ مرهوب ، بابُها مفتوح ، وخيرُها ممنوح ، ما لم تغرغِر الروح ،

عن أبي ذَرّ أنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم–قال: –فيما روى عن الله تبارك وتعالى –أنه قال: « يا عبادي ، إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعا ، فاستغفروني أغفِرْ لكم ».([٢١٣])

أولا: تعريف التوبة

قال الأصفهاني: التوبة هي ترك الذنوب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر لم أفعل، أو أن يقول: فعلت لأجل كذا؟ أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لها، وهذا الأخير هو التوبة.

[٢١٣] – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٩٠) ومسلم (١٦/٨)

والتائب هو العبد إذا بذل التوبة فيقال تاب إلى الله فهو تائب والله تائب إذا تاب على العبد أي قبل منه توبته.

أنواع التوبة

اعلم زادك الله علما: أن التوبة على قسمين توبة نصوح وتوبة فاسدة وإليك بيان ذلك:

أما التوبة النصوح: فقد ذكر ابن القيم في تفسير قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾سورة التحريم الآية (٨).

أقوال عن السلف في بيان معنى التوبة النصوح: فقال رحمه الله: قد اختلفت عبارات السلف فيها ومرجعها إلى شيء واحد: –

فقال عمر بن الخطاب وأبي ابن كعب: التوبة النصوح: (أن يتوب من الذنوب ثم لا يعود إليها كما لا يعود اللبن إلى الضرع).

وقال الحسن البصري: (هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه).

وقال سعيد بن المسيب: توبة نصوحا تنصحون بها أنفسكم، قال ابن القيم: جعلها بمعنى ناصحة للتائب – أي كأن التوبة اسم فاعل –وأما أصحاب القول الأول فجعلوا بمعنى بالمفعول أي قد نصح فيها التائب ولم يشبها بغش، فهي إما بمعنى نصوح فيها أو بمعنى ناصحة.

وقال محمد بن كعب القرظي :(يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان) ([٢١٤]).

قال ابن القيم: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء: –

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها بكل إرادته وعزمه مبادرا بها.

---

[٢١٤] – تفسير القرطبي (١٨/ ١٩٨)

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها بمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته، أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس أو غير ذلك من الأغراض) أهـ. ([٢١٥])

وقال التهاونى: التوبة النصوح من أعمال القلوب، وهي تعنى تنزيه القلب عن الذنوب وعلامتها أن يكره العبد المعصية، ويستقبحها فلا تخطر له على بال، ولا ترد في خاطره أصلا. ([٢١٦])

النوع الثاني: التوبة الفاسدة

فهي أن يتوب العبد بلسانه فقط، ولا يعزم على الترك بقلبه ولا يعزم على عدم العود فيما لو ترك بل يعزم على العودة إليه، بل قد تبقى لذة المعصية في خاطره إلى أن يعود إليها وهذا ليس بتائب في الحقيقة بل هو كالمستهزئ بربه عياذا بالله.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " التائب من الذنب كمن لا ذنب له "([٢١٧]).

ثانياً: حكم التوبة:

قال القرطبي: واتفقت الأمة على أن التوبة فرض متعين على المؤمنين لقوله تعالى﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة النور الآية (٣١) .([٢١٨])

والتوبة واجبة من كل ذنب كما ذكره النووي رحمه الله، وإذا تاب العبد من ذنب دون آخر فإن توبته من ذلك الذنب مقبولة، ويجب عليه التوبة من بقية ذنوبه، كما قرره العلماء، ويتلخص من هذا أنه لا يشترط في تحقيق وجوب التوبة أن تكون عامة من كل الذنوب والله أعلم

شروط التوبة الصحيحة

---

[٢١٥] – مدارج السالكين (١/ ٣١٠)

[٢١٦] – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/ ١٢٧٠)

[٢١٧] – صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٢)

[٢١٨] – تفسير القرطبي (٥/ ٩٠)

واعلم علمني الله وإياك –: أن العلماء ذكروا شـــروطا لصـــحة التوبة ولتكون مقبولة عند الله تعالى في مواضع متفرقة وسأحاول جمعها هنا بإذن الله، فأقول ومن الله أرجو العون والقبول: –

الشـــرط الأول: أن يقلع عن الذنب في الحال: وهذا يعنى أن من أراد التوبة وهو متلبس بالذنب فأول خطوة تجب عليه أن يترك الذنب ويقلع عنه في الحال، لأنه لا يصـــح منه أن يقول: إني قد تبت إلى الله وهو لا يزال يمارس الذنب، فعلى ســـبيل المثال: من كان بيده كأس خمر وأراد أن يتوب فعليه أن يريق ما في الكأس مباشـــرة كما حصـــل من الصـــحابة الذين كانوا يشـــربون الخمر في بيت أبى طلحة الأنصاري إذ قاموا بإراقة ما في الكؤوس دون تردد، وعلى هذا يقاس كل ذنب.

الشـرط الثاني: أن يندم على ما بدر منه من الذنوب: لعل هذا الشـرط من أهم شروط التوبة وهو عبارة عن اسـتشـعار العبد بالندم على ارتكاب الذنوب ومـــــن هنا جاء في الحديث عن عبد الله بن معقل بن مقرن، قال: دخلت مع أبي على عبد الله بن مسـعود، فقال: أنت سمعت النبي صـلى الله عليه وسـلم يقول: " الندم توبة؟ " قال: نعم، وقال: مرة سمعته يقول: " الندم توبة " ([٢١٩])

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن شجرة التوبة تسقى بماء الندم.

ومن أحس بالندم فإنه سـتصدق توبته ، وندمه يدل على معرفته بعظمة ربه جل جلاله ، وهنا أضرب مثلا به يتضـح مكانة الندم من التوبة : إنك إذا أخطأت في حق أبيك ثم أحســـست بندمك من هذا الخطأ تسـتحي من مواجهته فترة طويلة حتى يزول إحسـاسك بالحياء حتى ولو علمت أنه عفا عنك ، وأمـا إذا أخطـأت في حق زميلـك في العمل أو أحد جيرانك ثم ندمت فإنك تكره مواجهته إما حياءا منه وإما أنفة من الاعتراف بالذنب ، والفرق بين واضـح بين هذا وذاك ... فالندم في حق التائب هو الذي يصحبه الحياء من الله أشد من حيائه من والده ، والله أعلم .

الشرط الثالث: أن يعزم على أن لا يعود إلى الذنب أبدا: وهذا يعنى ألا ينطوي القلب – لحظة التوبة – على الإصـرار على الذنب، ولا ينافى ذلك وقوعه في الذنب بعد ذلك، لأن المطلوب هو النية الصادقة والعزم الأكيد لحظة التوبة على عدم العود إلى الذنب أبدا.

---

[٢١٩] – أخرجه أحمد (٤٢٢/١ ، رقم ٤٠١٢) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٧٣/٣) ، وابن ماجه (١٤٢٠/٢ ، رقم ٤٢٥٢) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٨٠٢ في صحيح الجامع

قال النووي بعد ذكره هذه الشروط الثلاث: (فإن فقد أحد هذه الثلاثة لم تصح توبته).([220])

الشرط الرابع: إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي أن يبرأ من حق صاحبه: –

وإنما يكون الإبراء من هذا الحق بحسبه وذلك يحتاج إلى تفصيل على النحو الآتي ([221]):

١) **الحقوق في الأموال:** فإنه عليه رده إلى صاحبه إن وجده – أعنى صاحب المال – فإن لم يجده أعطاه للورثة فإن لم يعرف له ورثة تصدق بالنيابة عنه أي يقول: (اللهم هذه صدقة عن فلان). وقد يكون التحلل عن طريق طلب العفو من صاحب المال بعد إخباره بماله عنده من الحق.

٢) **الحقوق في الأبدان:** والمراد من ذلك أن يكون قد جرح أنسانا أو ضربه أو ما أشبه ذلك من أنواع الأذى البدني، ويكون التحلل من ذلك : إما أن يمكن صاحب الحق من أن يقتص منه بقدر ما أساء إليه ، وإما أن يدفع له مالا في مقابل ذلك وهو ما يسمى

بالأرْش عند الفقهاء، فإن لم يتمكن من لقاء صاحب الحق تصدق عنه ودعا له بخير .

٣) **الحقوق في الأعراض:** وهذه تعنى أن يقع الإنسان في الغيبة أو النميمة أو القذف لبعض الناس ثم يتوب إلى الله تعالى فيكون رد هذه الحقوق لأصحابها بطريقين: –

الطريق الأول: أن يعلم أن إخبار المغتاب – مثلا – لا يغضبه ولا يؤدى إلى غمه أو إلقاء

الشحناء بين الصدور، ففي هذه الحالة يجب عليه أن يخبرهم ويطلب العفو عنه.

الطريق الثاني: أن يخشى من إيغار الصدور أو إثارة الشحناء ففي هذه الحالة لا يخبرهم بل يدعو لهم ويتوب فيما بينه وبين الله وأن يثنى على من ذمهم في المجالس التي ذمهم فيها، ومصلحة عدم الإخبار أكبر من مصلحة الإخبار بما كان منه.

٤) **المظالم العامة:** وذلك كأن يكون صحفيا بث سمومه وأكاذيبه بين الناس أو كان مغنيا أو مغنية أو ممثلا أو ممثلة ملأوا الدنيا بالأفلام الخليعة والمسلسلات والأفلام التي تنافى القيم والأخلاق بل وأحيانا

---

[220] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٩١)

[221] – الطريق إلى التوبة ـ للشيخ آل حمد

تنافى العقيدة، ومن المظالم العامة ما ينشره المبتدع من بدعته بين الناس أو كاتبا أو أديبا زين الرذيلة للناس بقلمه ونحو ذلك من المظالم العامة .

فهؤلاء يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله وأن يندموا على ما فعلوه وأن يعلنوا توبتهم وبراءتهم مما كان منهم أيام فسقهم وفجورهم لئلا يتأسى الناس بهم ، فيما سبق من حياتهم ، كما عليهم أن يكثروا من الطاعات ونوافل الخيرات ليتداركوا ما فاتهم أيام غفلتهم .

كل هذه المظالم تدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((من كانت عنده مظلمة لأخيه ، من عرضه أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)) رواه البخاري . ([٢٢٢]) .

الشرط الخامس: أن تكون التوبة قبل الغرغرة

والمراد بالغرغرة: وصول روحه إلى الحلقوم، ومن وصل إلى هذه الحال فمعناه أنه قد عاين

الموت، ودليل هذا الشرط قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ سورة النساء الآية (١٨) .

قال القرطبي: قوله تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ ﴾ نفى سبحانه أن يدخل في حكم التائبين من حضره الموت وصار في حين اليأس ،كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان، لأن التوبة في ذلك الوقت لا تنفع لأنها حال زوال التكليف ، وبهذا

قال ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين.

عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال : ((إن الله – عز وجل – يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)([٢٢٣]).

ومن هذا الحديث وهذه الآية قبله نقول: يجب على الإنسان أن يعجل التوبة لأنه لا يدرى متى ينزل به الموت، وقد يموت فجأة وما أكثر الموت فجأة في هذا الزمان فكم هم الذين ماتوا في حوادث السيارات

---

[٢٢٢] – أخرجه أحمد (٢/٥٠٦ ، رقم ١٠٥٨٠) ، والبخاري (٥/٢٣٩٤ ، رقم ٦١٦٩)

[٢٢٣] – أخرجه: ابن ماجه (٤٢٥٣)، والترمذي (٣٥٣٧) قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ١٩٠٣ في صحيح الجامع

وكم هم الذين ماتوا بالسكتة القلبية وأسباب خفية، المهم لا يعلم الإنسان متى يموت فعليه أن يعجل التوبة.

الشرط السادس: أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها

يدل على هذا الشرط ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة –رضي الله عنه – ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)) ([٢٢٤])

وعن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)([٢٢٥])

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾ سورة الأنعام الآية (١٥٨)

عن صفوان بن عسال قال :(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها) ([٢٢٦]).

قال القرطبي: قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته، كما لا تقبل ممن حضره الموت، قال – صلى الله عليه وسلم –:(إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر). أي تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة أو مقعده من النار، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله) أهـ . ([٢٢٧])

---

[٢٢٤] – أخرجه: مسلم ٧٣/٨ (٢٧٠٣).

[٢٢٥] – أخرجه أحمد (٣٩٥/٤، رقم ١٩٥٤٧)، ومسلم (٢١١٣/٤، رقم ٢٧٥٩)

[٢٢٦] – أخرجه الترمذي (٩٦) (٣٥٣٥) (٣٥٣٦)، والنسائي (١٢٦) (١٢٧) (١٥٨) (١٥٩)، وابن ماجه (٢٢٦) (٤٧٨) (٤٠٧٠)، وأحمد (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وابن خزيمة (١٧) (١٩٣) (١٩٧)، وابن حبان (٨٥) (١١٠٠) صحيح ابن خزيمة (١/ ٩٧) قال الأعظمي: إسناده حسن

[٢٢٧] – التذكرة للقرطبي (ص: ٧٩٢)

الشرط السابع: الإخلاص لله في توبته

وهذا معلوم من أن الله تعالى لا يقبل من الأعمال الصالحة إلا ما كان خالصا لوجهه عز وجل ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ سورة البينة الآية (٥)

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، يقول : ((إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه))([٢٢٨]) ولهذا من تاب لأجل الوصول إلى قلوب الناس وعلو المنزلة عندهم ولم يكن في خاطره قبح الذنب ولا سخط الرب فهذا لا تقبل توبته، وقد تقدم كلام ابن القيم رحمه الله في هذا عند الحديث حول التوبة النصوح ولأن الإخلاص معلوم لا حاجة إلى الإطالة في الحديث عنه .

تنبيه: وأخيرا أقول إذا اجتمعت هذه الشروط السبعة في التائب فإن توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى كما أخبر بذلك عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ سورة الشورى الآية (٢٥) . وهذا القبول للتوبة إنما هو من كرم الله على العباد وإلا فإن الله تعالى لا يجب عليه شيء وإنما هذا وعد منه جل وعلا وهو لا يخلف الميعاد.

قال النووي: لا يجب على الله تعالى قبول التوبة إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه يقبلها تكرما منه وفضلا، وقد عرفنا قبولها بالشرع والإجماع، ثم توبة الكافر من الكفر مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل مقطوع به أم مظنون؟ فيه خلاف لأهل السنة، اختار إمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح) ([٢٢٩]).

---

[٢٢٨] – أخرجه: البخاري ٢/١ (١) ، ومسلم ٤٨/٦ (١٩٠٧)

[٢٢٩] – دليل الفالحين ١٠٠/١.

الدرس الحادي عشر

فضائل التوبة

اعلم –بارك الله فيك–: أن للتوبة ثمرات علية وفوائد سنية يمن الله تعالى بها على من اقبل عليه وتاب وأناب وإليك طرفا منها:

أولا: الله تعالى يفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه:

و هـذه اعظم الفوائـد و أجـل العوائـد أن ينال العبد هذه المنزلة التي يفرح بها رب العالمين فلولم يكن في التوبة سـواها لكان حريا بكل عبد ان يقضي أنفاسه في اللهج بالتوبة والاستغفار إن العطية هي فرح رب البرية ،عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(للّهُ أشدُّ فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليـه من أحـدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشـــرابه فأيس منها ، فأتى شـجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك ، أخطأ من شدة الفرح)[٢٣٠].

يقول ابن عثيمين رحمه الله –: في هذا الحديث من الفوائد: دليل على فرح الله –عز وجل–بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك–سبحانه وتعالي–محبة عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلي أعمالنا وتوبتنا؛ فالله غني عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم؛ فإنه يحب –سبحانه وتعالي–يفرح، ويغضب، ويكره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا؛ لأن الله يقول:(ِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: من الآية١١) بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله ولا يشبه فرح المخلوقين.

وفيه: دليل على أن الإنسـان إذا أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفرا سبق لسانه إليه؛ فإنه لا يؤاخذ فهذا الرجل قال كلمة كفر؛ ([٢٣١])

ثانيا الله تعالى يحب التوابين:

---

[٢٣٠] – أخرجه: البخاري ٨٤/٨ (٦٣٠٩)، ومسلم ٩٣/٨ (٢٧٤٧) (٧) و(٨).

[٢٣١] – شرح رياض الصالحين (١/ ١٠٢)

أيها العاصي وكل ذلك العاصي فليس أحد منا معصوما من الخطأ تب إلى الله رب ومولاك يحب الله تعالى لما كانت التوبة من أهم مقامات الدين وأعلاها منزلة أخبرنا الله تعالى أنه يحب التوابين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٢٣٢].

التَّوَّاب: هو المكثر من فعل ما يسمَّى توبةً، وقد يقال: هذا في حقِّ الله تعالى –؛ من حيث إنه يكثر من قبول التَّوبة.

فإن قيل: ظاهر الآية يدلُّ على أنَّه يحبُّ تكثير التَّوبة مطلقاً، والعقل يدلُّ على أن التَّوبة لا تليق إلاَّ بالمذنب، فمن لم يكن مذنباً، لا تجب منه التَّوبة.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن المكلَّف لا يأمن البتَّة من التَّقصير.

والثاني: قال أبو مسلمٍ: التَّوبة في اللُّغة عبارة عن الرُّجوع، ورجوع العبد إلى الله في كلِّ الأحوال محمودٌ.

واعترضه القاضي: بأن التَّوبة –وإن كانت في أصل اللغة الرُّجوع –إلا أنها في عرف الشَّرع عبارةٌ عن النَّدَم على الفعل الماضي، والتَّرك في الحاضر، والعزم على ألاَّ يفعل مثله في المستقبل؛ فوجب حمله على المعنى الشَّرعيِّ دون اللُّغويّ.

ولأبي مسلم أن يجيب: بأنّ مرادي من هذا الجواب، أنّه إن أمكن حمل اللَّفظ على التَّوبة الشَّرعيَّة، فقد صحَّ اللَّفظ، وإن تعذَّر ذلك، حملناه على التَّوبة بحسب اللُّغة الأصليَّة ([٢٣٣])

ثالثا التوبة دليل على الإيمان:

فالتوبة هي عبارة عن يقظة من غفلة المعصية والبعد عن الله تعالى فاذا عاد العبد إلى ربه فقد عاد إلى رياض الإيمان ليغسل عنه أدران غفلته وأثار معصيته لذا كانت من دلائل وبراهين إيمان صاحبه بان الله تواب رحيم غفور غفار

---

[٢٣٢] سورة البقرة الآية (٢٢٢) .

[٢٣٣] – اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٧٦)

عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(مثلُ المؤمن ومثلُ الإيمان كمثلِ الفرس في آخيَّته ([٢٣٤]) يجول ثم يرجع إلى آخيته وإن المؤمن يسهو ثم يرجع فأطعموا طعامكم الأتقياء أولو معروفكم المؤمنين)([٢٣٥]) .

والمعنى: أن المؤمن مربوط بالإيمان من ملازمة الطاعة، لا انفصام له عنه، وإنه وإن اتفق أن يحوم حول المعاصي ويتباعد من قضية الإيمان من ملازمة الطاعة والاجتناب عن المعصية فإنه يعود بالآخرة إليها بالندم والتوبة وتلاقي ما فرط فيها. ([٢٣٦])

رابعا التوبة سبيل الفلاح في الدنيا والأخرة

اعلم – زادك الله علما وفهما–: أن التوبة هي السبيل الموصل إلى الفلاح والنجاح في الدنيا و الأخرة و إلا كان العبد مصرا على المعصية يتنزل عليه في الدنيا الخزي و العناء و في الأخرة العذاب و النكال قال الله تعالى:﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾سورة النور الآية (٣١)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بالترجي إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبين .... جعلنا الله منهم آمين) أهـ.([٢٣٧])

خامسا التوبة تكفر السيئات وتكون سببا في دخول الجنة: –

يا كثير الأوزار هو الله رب العالمين يرغبك في التوبة و الرجوع ليبدل السيئات إلى حسنات و يرفعك إلى أعالي الدرجات خفف الأوزار و قف بباب العزيز الغفار و اهتف وقل { يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف: ٨٨]

---

[٢٣٤] – الآخية: هي العود الذي تشد به الدابة

[٢٣٥] – أخرجه ابن المبارك (٢٤/١، رقم ٧٣) ، وأحمد (٥٥/٣ رقم ١١٥٤٣) ، وأبو يعلى (٤٩٢/٢ رقم ١٣٣٢) قال الهيثمي (٢٠١/١٠) : رجالهما رجال الصحيح غير أبى سليمان الليثي وعبد الله بن الوليد التميمي وكلاهما ثقة . وابن حبان (٣٨١/٢، رقم ٦١٦)

[٢٣٦] – تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ١٢٢)

[٢٣٧] – مدارج السالكين (١/ ١٧٨)

يقول ابن الجوزي – رحمه الله–لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف: ٨٨] لبرز لهم التوقيع عليها: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢] .

أشكو إلى الله كما قد شكى أولاد يعقوب إلى يوسف

قد مسني الضر وأنت الذي تعلم حالي وترى موقفي

بضاعتي المزجاة محتاجة إلى سماح من كريم وفي

فقد أتى المسكين مستمطرا جودك فارحم ذله واعطف

فأوف كيلي وتصدق على هذا المقل البائس الأضعف([٢٣٨])

قال الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾سورة التحريم الآية (٨)

قال القرطبي : كأنه قيل : توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار " وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن التوبة سبب في تكفير السيئات منها ما رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفر له وإن كان فر من الزحف ([٢٣٩])

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه ، فقام قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك الله وبحمدك أشهد ألا لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك)[٢٤٠]

---

[٢٣٨] – لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٥)

[٢٣٩] – أخرجه أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٧) صحيح التعليق الرغيب ٢٦٩ / ٢ ، صحيح سنن أبي داود ١٣٥٨

[٢٤٠] –أخرجه أحمد (٣٦٩/٢) والترمذي (٣٤٣٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٩٧) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠١)

الدرس الثاني عشر
رمضانُ. شهرُ الغفران

أخي المسلم .... أختي المسلمة: إن من صفات رمضان أنه شهر تغفر فيه الذنوب وتغسل فيها الخطايا فهو نهر واسع لمغفرة الخطايا ورفعت الدرجات

وأسباب المغفرة كثيرة في رمضان نذكر منها هدية ربانية ومنحة رحمانية لهذه الأمة

أخي الكريم، أختي الكريمة من منّا يَسْلَمُ من الخطأ، أو الوقوع في الزلل، أو مقارفة الذنب، فكلنا ذو خطأ وخير الخطّائين التوابون المستغفرون.

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فالباب مفتوح ولكن من يلج

والحبل ممدود ولكن من يتشبث

الخير مبذول ولكن من يتعرض

عبد الله مهما بلغت ذنوبك ومعاصيك فإن الله تعالى يغفرها ويمحوها فمن صفاته أنه غفور وغفار وغافر قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: ٣]

فلم يخلقنا الله تعالى ملائكة بررة ولم يجعلنا شياطين مردة فتح لنا أبواب مغفرته ورضوانه وأخبرنا على لسان صفيه — صلى الله عليه وسلم–أننا لو لم نذنب لاستبدلنا بقوم يذنبون ثم يستغفرون

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «وَالذي نَفسي بيدهِ لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ ،وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ فيستغفرون فيغفر لهم».([٢٤١])

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصى ربه في شهر شعبان

---

[٢٤١] – أخرجه أحمد (٣٠٩/٢). ومسلم (٩٤/٩)

لقد أظلك شهر الصوم بعـدهـما فلا تصيره أيضا شهر عصيان

واتل القرءان وسبح فيه مجتهدا فلا تصيره أيضا شهر عصيان

فاحمل على جسد ترجو النجاة له فسوف تضرَم أجساد بنيران

كم كنت تعرف ممن صام في سلف من بين أهل وجيران وإخوان

أفناهم الموت واستبقاك بعدهم حيا فما أقرب القاصي من الداني

ومعجب بثياب العيد يقطعها فأصبحت في غد أثواب أكفان

أول محطات المغفرة الصوم: فإنه يغفر الذنوب و يجلي القلوب كما اخبرنا حبيب علام الغيوب ،عن كعب بن عجرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " احضروا المنبر " فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: " آمين "، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: " آمين "، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: " آمين "، فلما فرغ نزل من المنبر قال: فقلنا له يا رسول الله لقد سمعنا اليوم منك شيئا لم نكن نسمعه قال: " إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له فقلت: آمين فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك والديه الكبر عنده أو أحدهما، فلم يدخلاه الجنة – أظنه قال – فقلت: آمين " "([٢٤٢])

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهما، إذا اجتنبت الكبائر ([٢٤٣])

ثانيا قيام رمضان: صلاة التراويح مكفرة للذنوب كما أخبرنا صلى الله عليه وسلم–

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال : «كان رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– يُرغِّبُ في قيام رمضان ، من غيرِ أن يأمرَهم فيه بعزيمة ، فيقول : مَنْ قام رمضانَ إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ ،

---

[٢٤٢] – أخرجه الطبراني (١٤٤/١٩، رقم ٣١٥)، والحاكم (١٧٠/٤، رقم ٧٢٥٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٥/٢، رقم ١٥٧٢).

[٢٤٣] – أخرجه مسلم (٨١٨/٢، رقم ١١٦٢)، وأبو داود (٣٢١/٢، رقم ٢٤٢٥)، والنسائي (٢٠٨/٤، رقم ٢٣٨٧)

فَتُوفِّيَ رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– والأمرُ على ذلك، ثم كان الأمرُ على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر».([٢٤٤])

ثالثا قيام ليلة القدر: ومن روافد المغفرة في رمضان الحرص على إدراك ليلة القدر

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، قال: ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) متفق عليه.) ([٢٤٥])

والمعنى أن من قامها بالصلاة وسائر أنواع العبادة من قراءة ودعاء وصدقة وغير ذلك إيمانا بأن الله شرع ذلك واحتسابا للثواب عنده لا رياء ولا لغرض آخر من أغراض الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

رابعا العُمْرة: فهي مما يُكفّر الذنوب، ويطهّر القلوب؛ عن أبي هريرة أن رسول الله قال: ' العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) متفق عليه ([٢٤٦])

والعمرة في رمضان أعظم منها في غيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال : ((عمرة في رمضان تعدل حجة – أو حجة معي)) متفق عليه ([٢٤٧])

ويا له من فوزٍ عظيم أن يكون المعتمرُ في رمضان كمن حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكمن صحبه في إحرامه وفي طوافه وفي سعيه وفي كل مناسكه.

قال المباركفوري — رحمه الله –قوله (عمرة في رمضان تعدل حجة) في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض

للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض

وقال بن العربي — رحمه الله–حديث العمرة هذا صحيح وهو فضل من الله ونعمة فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها

---

[٢٤٤] – أخرجه البخاري (٢٢/١، رقم ٣٧)، ومسلم (٥٢٣/١، رقم ٧٥٩)

[٢٤٥] – أخرجه البخاري ٣٣/٣ (١٩٠١) ، ومسلم ١٧٧/٢ (٧٦٠) (١٧٥) .

[٢٤٦] – أخرجه مالك (٣٤٦/١، رقم ٧٦٧)، وأحمد (٤٦٢/٢، رقم ٩٩٤٩)، والبخاري (٦٢٩/٢، رقم ١٦٨٣)، ومسلم (٩٨٣/٢، رقم ١٣٤٩)

[٢٤٧] – أخرجه أحمد (٣٥٢/٣، رقم ١٤٨٣٧) ، والبخاري (٦٥٩/٢ ، رقم ١٧٦٤) ، وابن ماجه (٩٩٦/٢ ، رقم ٢٩٩٥) .

وقال بن الجوزي–رحمه الله–فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلوص المقصد ([٢٤٨])

[٢٤٨] – تحفة الأحوذي (٤/ ٧)

الدرس الثالث عشر

رمضان شهر الكرم والجود

أخي المسلم .... أختي المسلمة: ومن صفات شهر رمضان أنه شهر الكرم والجود فالله تعالى يجود على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار والنبي – صلى الله عليه وسلم يجود على امته بالبذل والعطاء والسخاء والمؤمنون يجودون على الفقراء والمساكين فيها لنتعرف على الجود وأهله

فضل الجود والكرم

اعلموا عباد الله: أن ثواب الجود والإنفاق عظيم، وقد رغَّبنا الله فيه في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال الله –تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٢]

وقال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

* **الكرم بركة للمال واعلم أنك عندما تجود فإنه الله تعالى يبارك لك و يفتح عليك أبواب العطاء من الأرض و من السماء** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا. ([٢٤٩])

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما نَقَصَ مال من صدقة –أو ما نقصتْ صدقة من مال –وما زاد اللهُ عبدا بعفْو إلا عزّا، وما تواضَعَ عبد لِلهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ». ([٢٥٠])

جود الله تعالى على عباده في رمضان

---

[٢٤٩] – أخرجه البخاري (٥٢٢/٢، رقم ١٣٧٤)، ومسلم (٧٠٠/٢، رقم ١٠١٠)

[٢٥٠] – أخرجه مسلم في الأدب (١٩) والترمذي في البر والصلة (٨٢)

الله تعالى هو الجواد الذي يجود على عباده في هذا الشهر الكريم وغيره بصنوف الخير والعطايا.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: الجواد: يعني أنه -تعالى-الجواد المطلق الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسال الحال، من بَرّ، وفاجر، ومسلم، وكافر. وقال في موضع آخر: الجواد الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منّ الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة، العلمية والعملية، القولية والفعلية، والمالية، وتحقيقها باتباع محمد -صلى الله عليه وسلم-بالحركات والسكنات. ([٢٥١])

أيها الأحباب وشهر الصيام شهر تظهر فيه معالم فضله و عطائه — جل جلاله – على عباده ؛ ففيه يفتح الله لعباده من أبواب العفو والصفح والتوبة والمغفرة ما لا يكون في غيره، ويهيئ لهم من الأسباب ما يعينهم على ذلك في هذا الشهر، فقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ"([٢٥٢])

يفعل ذلك كله -سبحانه وبحمده-تهيئة لجوٍ مناسب للعبادة يعين المسلم على أدائها.

*ومن جوده -سبحانه-أنه جعل الصيام يشفع للصائم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْته الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْته النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ" ([٢٥٣])

*ومن جوده -سبحانه-على الصائم في هذا الشهر وغيره أن الصائم إذا خُتم له بالصيام بأن كان آخر أعماله أو مات صائماً دخل الجنة، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"([٢٥٤])

---

[٢٥١] – تفسير أسماء الله الحسنى -السعدي (ص: ٣٠) توضيح الكافية الشافية (ص١٢٤).

[٢٥٢] – أخرجه الترمذي (٦٦/٣، رقم ٦٨٢)، وابن ماجه (٥٢٦/١، رقم ١٦٤٢)، وابن حبان (٢٢١/٨، رقم ٣٤٣٥)

[٢٥٣] – أخرجه أحمد (١٧٤/٢، رقم ٦٦٢٦)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٨١/٣) قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح

[٢٥٤] – أخرجه أحمد (٣٩١/٥ رقم ٢٣٣٧٢) قال الهيثمي (٢١٥/٧) رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن مسلم البتى وهو ثقة.

ومن جوده –سبحانه–في هذا الشهر أَنّ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، و"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" متفق عليهما، ومَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" ([٢٥٥])

عن زيد بن خالد الجهني –رضي الله عنه –أن رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم–قال: "مَنْ فَطّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنّهُ لَا ينقصُ مِنْ أَجْرِ الصّائِمِ شَيْئًا" ([٢٥٦]).

* أيها الآباء: ومن أعظم الجود أن يجود الله على عبيده بالعتق من النار عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ "([٢٥٧])

فيا أيها الأحباب قد فتح لكم الباب وهيئة لكم أسباب المغفرة والرحمة فلا تبخلوا على أنفسكم ولا تحرموها من جود الله تعالى عليكم: عن مالك بن الحويرث قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم– "أَتَانِي جِبْرِيلُ، فقَالَ: يَا مُحَمّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ" ([٢٥٨])

* ومن جوده –تعالى–عليكم في هذا أن الله جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فانه يصب على أهله العطاء صبا عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: أن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قال: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يضاعَفُ: الحسنةُ عشر أمثالها إلى سبعمائةِ ضِعْف، قال الله عزَّ وجلَّ: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يَدَع شهوتَهُ وطعامَه من أجْلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فِطْره، وفرحة عند لقاءِ ربِّه، ولَخُلُوفُ فيه أطيب عند الله من ريح المسكِ». ([٢٥٩])

* ومن أعظم جوده –سبحانه–على عباده في هذا الشهر أن جعل فيه ليلة عظيمة قال عنها في محكم التنزيل: (إِنّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبّهِمْ مِنْ كُلّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [سورة القدر].

---

[٢٥٥] –سبق تخريجه

[٢٥٦] – أخرجه أحمد (١١٤/٤، رقم ١٧٠٧٤)، وعبد بن حميد (ص ١١٧، رقم ٢٧٦)

[٢٥٧] – سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٦)

[٢٥٨] – أخرجه الطبراني (١٤٤/١٩، رقم ٣١٥)، والحاكم (١٧٠/٤، رقم ٧٢٥٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٥/٢، رقم ١٥٧٢)

[٢٥٩] – أخرجه أحمد (٢٦٦/٢) والدارمي (١٧٧٨) والبخاري (١٧٥/٩) ومسلم (١٥٨/٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يُبَشِّرُهُمْ: " قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَيُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ " (٢٦٠)

جود النبي العدنان–صلى الله عليه وسلم–في رمضان

أما جود النبي — صلى الله عليه وسلم– فمن سمت روحه و نهلت من معين جود الجواد —جل جلاله– فلا بد أن يتصف بصفاته و هي الجود فقد كان نبيك — صلى الله عليه وسلم —من أجود الناس فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ "(٢٦١)

ما قال لاء إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وإنما كان جوده –صلى الله عليه وسلم–في رمضان خاصةً أكثر لثلاثة أسباب:

السبب الأول: لمناسبة رمضان، فإنَّ رمضان شهر تضاعف فيه الحسنات،

وترفع فيه الدرجات، فيتقرب فيه العبيد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

السبب الثاني: كثرة قراءته–صلى الله عليه وسلم –للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله، والتقلل من الدنيا والزهد فيها والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب الإنسان لأن ينفق في سبيل الله، وحري بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله.

السبب الثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى جبريل في كل ليلة،

ولقاؤه لجبريل من باب مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان وتحث على الطاعة،

---

٢٦٠ – مسند أحمد ط الرسالة (١٢/ ٥٩) وأخرجه عبد الرزاق (٨٣٨٣)، وابن أبي شيبة ١/٣، وإسحاق بن راهويه (١) و (٢)، والنسائي ١٢٩/٤

٢٦١ – أخرجه: البخاري ٤/١ (٦) ، ومسلم ٧٣/٧ (٢٣٠٨) (٥٠) .

فلذلك كان –صلى الله عليه وسلم –يكثر من الصدقة في رمضان.

صور مِن كرم النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وجوده

لقد مثَّل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجُود والكَرَم، فكان أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير مِن الرِّيح المرسلة.

وقد بلغ صلوات الله عليه مرتبة الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه –قال: «ما سئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غَنما بين جبَلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلِمُوا، فإن محمدا يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيد إلا الدنيا، فما يلبثُ إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها». ([٢٦٢]). .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: «لو أن لي مثل أحد ذهبا ما سرني أن يأتي على ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين». ([٢٦٣])

(إنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم، يقدِّم بهذا النَّموذج المثالي للقدوة الحسنة، لاسيَّما حينما نلاحظ أنَّه كان في عطاءاته الفعليَّة، مطبِّــقًا لهذه الصُّورة القوليَّة التي قالها، فقد كانت سعادته ومسرَّته عظيمتين حينما كان يبذل كلَّ ما عنده مِن مال.

ثمَّ إنَّه يربِّي المسلمين بقوله وعمله على خُلُق حبِّ العطاء، إذ يريهم مِن نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها)

– وعن جبير بن مطعمٍ، أنَّه بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه النَّاس، مقبلًا مِن حنينٍ، عَلِقَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ،([٢٦٤]) فَخطِفَتْ رداءه،

---

[٢٦٢] – أخرجه: مسلم ٧٤/٧ (٢٣١٢) (٥٧)

[٢٦٣] – أخرجه البخاري (٢٣٦٨/٥، رقم ٦٠٨٠)

[٢٦٤] –((السَّمُرَةُ)) : شَجَرَةٌ

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاهِ ([٢٦٥]) نَعَمًا، لقسمته بينكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا)). ([٢٦٦]) واه البخاري

فما أعظم كرمه وجوده وسخاء نفسه، صلى الله عليه وسلم، وما هذه الصِّفة الحميدة إلَّا جزءٌ مِن مجموع الصِّفات التي اتصف بها حبيبنا صلى الله عليه وسلم، فلا أبلغ ممَّا وصفه القرآن الكريم بقوله: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤].

[٢٦٥] – وَ((العِضَاهُ)) : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ

[٢٦٦] – أحمد (٨٤/٤ ، رقم ١٦٨٢١) ، والبخاري (١٠٣٨/٣ ، رقم ٢٦٦٦)

الدرس الرابع عشر

صور من جود وكرم الصَّحابة-رضي الله عنهم أجمعين

إخوة الإيمان ما زلنا نتكلم عن الجود والكرم في رمضان ومن مدرسة النبوة إلى من تعلم وتخرج من تلك المدرسة انهم الصحابة الكرام

أما من تربى في مدرسة العطاء ممن وصفهم رب الأرض والسماء بقوله {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]

فهذا من قال فيه ربه – عز و جل–{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: ١٧ – ٢١]

إنه صديق هذه الأمة و فاروقها عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطَّاب، يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدَّق، فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا)). ([٢٦٧]) رواه أبو داود

أمة الإسلام لن تنالوا البر ولن تنالوا الجنة إلا بالبذل والعطاء كما كان حال سلفكم

عن أنس – رضي الله عنه – ، قال : كان أبو طلحة – رضي الله عنه – أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال : يا رسول الله ، إن الله تعالى أنزل عليك : {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] وإن أحب مالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة لله تعالى ، أرجو برها ، وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : بخ! ذلك مال رابح، ذلك

---

[٢٦٧] – أخرجه الدارمي (١/٤٨٠، رقم ١٦٦٠)، وأبو داود (٢/١٢٩، رقم ١٦٧٨)، والترمذي (٥/٦١٤، رقم ٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح،

مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين))، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه. ([٢٦٨])

– (وقيل: مَرِض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقيل له: إنَّهم يستحيون ممَّا لك عليهم مِن الدَّيْن، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان مِن الزِّيارة، ثمَّ أمر مناديًا فنادى: مَن كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة مَن زاره وعاده) ([٢٦٩])

* ذُكر أنَّ عبيد الله بن العبَّاس أتاه سائل وهو لا يعرفه، فقال له: تصدَّق عليَّ بشيءٍ، فإنِّي نُبِّئت أنَّ عبيد الله بن العبَّاس أعطى سائلًا ألف درهم واعتذر إليه، فقال: وأين أنا مِن عبيد الله فقال: أين أنت منه في الحسب أم في الكَرَم؟ قال: فيهما جميعًا، قال: أمَّا الحسب في الرَّجل فمروءته وفعله، وإذا شئت فعلتَ، وإذا فعلت كنت حسيبًا. فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه مِن ضيق نفقته. فقال له السَّائل: إن لم تكن عبيد الله بن العبَّاس فأنت خير منه، وإن كنت إيَّاه فأنت اليوم خير منك أمس، فأعطاه ألفًا أخرى، فقال له السَّائل: هذه هزَّة كريم حسيب) ([٢٧٠])

نماذج مِن السَّلف في الكَرَم والجُود

ولقد تشبه الخلف بأخلاق السلف وحالهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

*قال محمَّد بن صبيحٍ: (لما قدم أبو الزِّناد الكوفة على الصَّدقات، كلَّم رجلٌ حمَّاد بن أبي سليمان في رجلٍ يكلِّم له أبا الزِّناد، يستعين في بعض أعماله، فقال حمَّاد: كم يؤمِّل صاحبك مِن أبي الزِّناد أن يصيب معه؟ قال: ألف درهمٍ، قال: فقد أمرت له بخمسة آلاف درهمٍ، ولا يبذل وجهي إليه، قال: جزاك الله خيرًا، فهذا أكثر ممَّا أمَّل ورجا. قال عثمان: وقال ابن السَّمَّاك: فكلَّمه آخر في ابنه أن يحوِّله مِن كتابٍ إلى كتاب، فقال للذي يكلِّمه: إنَّما نعطي المعلِّم ثلاثين كلَّ شهرٍ، وقد أجريناها لصاحبك مائة، دع الغلام مكانه) ([٢٧١])

---

[٢٦٨] – أخرجه: البخاري ١٤٨/٢ (١٤٦١)، ومسلم ٧٩/٣ (٩٩٨) (٤٢).

[٢٦٩] – المستجاد من فعلات الأجواد–الدارقطني (ص: ٥١)

[٢٧٠] – المستجاد من فعلات الأجواد– الدارقطني (ص: ٥٢)

[٢٧١] – الكرم والجود للبرجلاني (ص: ٥٧)

– وقال عبد الله بن الوسيم الجمَّال: (أتينا عمران بن موسى بن طَلْحَة ابن عبيد الله نسأله في دين على رجلٍ مِن أصحابنا، فأمر بالموائد فنُصِبَت، ثمَّ قال: لا، حتى تصيبوا مِن طعامنا، فيجب علينا حقُّكم وذمامكم، قال: فأصبنا مِن طعامه، فأمر لنا بعشرة آلاف درهمٍ في قضاء دينه، وخمسة آلاف درهمٍ نفقةً لعياله) ([٢٧٢]).

* و(كان هشام بن حسَّان إذا ذكر يزيد بن المهلَّب يقول: إن كادت السُّفن لتجري في جوده)

*و(كان ناسٌ مِن أهل المدينة يعيشون لا يدرون مِن أين كان معاشهم، فلمَّا مات علي بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يُؤْتَون باللَّيل. ([٢٧٣])

*وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: (كان رجالٌ مِن بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلَّا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه) . ([٢٧٤])

الواجب علينا في هذه الأيام

أمة الإسلام: الواجب علينا أن نطبق ما سمعنا و أن نترجمه ترجمة حرفية فورية إلى أرض الواقع فنبحث عن الفقراء و المساكين و نسأل عن اليتامى و الأرامل لنخفف عنهم لوعة الفقر و البأساء فلن ننال ما عند الله من نعيم و لن نرافق سيد الأولين إلا بمواساة هؤلاء عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنا و كافل اليتيم كهاتين في الجنة هكذا و أشار بالسبابة و الوسطى "([٢٧٥])

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم –: «السَّاعي على الأرْمَلَةِ، والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله –وأحْسِبُهُ قال –وكالقائم لا يفْتُرُ، وكالصائم لا يُفْطِرُ». ([٢٧٦])

---

[٢٧٢] – الكرم والجود وسخاء النفوس – البرجلاني (ص: ٥٥)

[٢٧٣] – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٤٦٨)

[٢٧٤] – الكرم والجود وسخاء النفوس – البرجلاني (ص: ٥٣)

[٢٧٥] – أخرجه: البخاري ٦٨/٧ (٥٣٠٤).

[٢٧٦] – أخرجه: البخاري ١١/٨ (٦٠٠٧)، ومسلم ٢٢١/٨ (٢٩٨٢) (٤١).

الدرس الخامس عشر

رمضان شهر المواساة

اعلم علمني الله وإياك: أن من الصفات التي يوصف بها شهر رمضان أنه شهر المواساة و قد ورد ذلك في حديث و إن كان ضعيفا و هو كما في حديث عن سلمان الفارسي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر يوم من شعبان فقال: يا أيها الناس إنه قد أظلكم شهر ... وهو شهر المواساة) ([٢٧٧])

فما معنى المواساة وما هي صور المواساة؟ وما هي فضائل المواساة؟

تعريف المواساة: قال ابن مسكويه: المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات. ([٢٧٨])

وقال ابن حجر–رحمه الله تعالى–: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء ([٢٧٩])

وقال غيرهما: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق. ([٢٨٠])

الإيمان والمواساة

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلّما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلّما قوي قويت، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعظم النّاس مواساة لأصحابه بذلك، فلا أتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟

فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم» ([٢٨١])

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما–أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أربعون خصلة–أعلاهنّ منيحة العنز–ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها، إلّا أدخله الله بها الجنّة» قال حسّان بن عطيّة–أحد الرّواة–فعددنا ما دون منيحة ([٢٨٢]) العنز. من ردّ

---

[٢٧٧] – ورواه العقيلي (١/ ٣٥) وفي إسناده إياس بن أبي إياس، قال العقيلي: مجهول وحديثه غير محفوظ، لكن توبع عليه.
ورواه ابن خزيمة (٣/ ١٩١: ١٨٨٧)، ورواه ابن شاهين في فضائل رمضان (ص ٣٧ و٣٩) ورواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٣٨)،

[٢٧٨] – تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣/ ٣١).

[٢٧٩] – الفتح (٧/ ٢٥)

[٢٨٠] – لسان العرب لابن منظور (١/ ٨٢) ط. دار المعارف.

[٢٨١] – الفوائد ص ٢٢٤

[٢٨٢] – المنيحة–بوزن عظيمة–العطية.

السّلام وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطّريق ونحوه فما استطعنا أن نبلّغ خمس عشرة خصلة ([٢٨٣])

عن أبي موسى الأشعريّ–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكّوا العاني» ([٢٨٤]).

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعسّ ([٢٨٥]) وتروح بعسّ إنّ أجرها لعظيم» ([٢٨٦])

قال إبراهيم بن أدهم–رحمه الله تعالى–: المواساة من أخلاق المؤمنين) * ([٢٨٧]).

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «طعام الاثنين كافي الثّلاثة، وطعام الثّلاثة كافي الأربعة» ([٢٨٨]).

المواساة في حياة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–

لقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فهو السراج المنير

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم – أروع الأمثلة في المواساة ولنذكر طرفا منها هنا:

عن المقداد–رضي الله عنه–أنّه قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد ([٢٨٩]) فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فليس أحد منهم يقبلنا فأتينا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فانطلق بنا إلى أهله. فإذا ثلاثة أعنز.

فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «احتلبوا هذا اللّبن بيننا» قال: فكنّا نحتلب فيشرب كلّ إنسان منّا نصيبه. ونرفع للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نصيبه. قال: فيجيء من اللّيل فيسلّم تسليما لا يوقظ نائما.

---

[٢٨٣] – مسند أحمد ت شاكر (٦/ ٤٣) ورواه البخاري ٥: ١٨٠ ورواه أبو داود ١٦٨٣

[٢٨٤] – أخرجه: البخاري ٧/ ١٥٠ (٥٦٤٩).

[٢٨٥] – العس: القدح الكبير.

[٢٨٦] – مسند أحمد ط الرسالة (١٢/ ٢٤٩) وأخرجه الحميدي (١٠٦١)، ومسلم (١٠١٩)، وأبو يعلى (٦٢٦٨)، والبيهقي ٤/١٨٤–١٨٥

[٢٨٧] – حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠).

[٢٨٨] – أخرجه مالك (٢/٩٢٨، رقم ١٦٥٨)، والبخاري (٥/٢٠٦١، رقم ٥٠٧٧)، ومسلم (٣/١٦٣٠، رقم ٢٠٥٨)

[٢٨٩] – الجهد: الجوع والمشقة.

ويسمع اليقظان. قال: ثمّ يأتي المسجد فيصلّي. ثمّ يأتي شرابه فيشرب. فأتاني الشّيطان ذات ليلة، وقد شربت نصيبي. فقال: محمّد يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم. ما به حاجة إلى هذه الجرعة. فأتيتها فشربتها. فلمّا أن وغلت في بطني ([٢٩٠]) وعلمت أنّه ليس إليها سبيل. قال: ندّمني الشّيطان.

فقال: ويحك! ما صنعت؟ أشربت شراب محمّد؟

فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك. فتذهب دنياك وآخرتك. وعليّ شملة إذا وضعتها على قدميّ خرج رأسي وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النّوم. وأمّا صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت. قال: فجاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فسلّم كما كان يسلّم.

ثمّ أتى المسجد فصلّى. ثمّ أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا. فرفع رأسه إلى السّماء فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك. فقال: «اللهمّ! أطعم من أطعمني. واسق من أسقاني» قال: فعمدت إلى الشّملة فشددتها عليّ.

وأخذت الشّفرة فانطلقت إلى الأعنز أيّها أسمن فأذبحها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإذا هي حافلة ([٢٩١]) وإذا هنّ حفّل كلّهنّ، فعمدت إلى إناء لآل محمّد صلّى الله عليه وسلّم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتّى علته رغوة ([٢٩٢]). فجئت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال: «أشربتم شرابكم اللّيلة؟» قال: قلت: يا رسول الله! اشرب، فشرب ثمّ ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب. فشرب ثمّ ناولني، فلمّا عرفت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد روي، وأصبت دعوته، ضحكت حتّى ألقيت إلى الأرض. قال: فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إحدى سوآتك ([٢٩٣]) يا مقداد» فقلت: يا رسول الله! كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ما هذه إلّا رحمة من الله أفلا كنت آذنتني، فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها» قال: فقلت: والّذي بعثك بالحقّ! ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك. من أصابها من النّاس) ([٢٩٤]).

---

[٢٩٠] – وغلت: أي دخلت وتمكنت منه.

[٢٩١] –) (حافلة) الحفل في الأصل الاجتماع. ويقال للضرع الملوء باللبن: ضرع حافل، وجمعه حفّل.

[٢٩٢] –(رغوة) هي زبد اللبن الذي يعلوه، وهي بفتح الراء وضمها وكسرها ثلاث لغات مشهورات.

[٢٩٣] – (إحدى سوآتك) أي أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي؟

[٢٩٤] – أخرجه أحمد (٢/٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٢٨). ومسلم (١٢٨/٦)

عن عثمان بن عفّان–رضي الله عنه–أنّه قال وهو يخطب: إنّا والله قد صحبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في السّفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإنّ ناسا يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قطّ) ([٢٩٥])

عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–أنّه قال: كنت جالسا في داري. فمرّ بي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فأشار إليّ. فقمت إليه. فأخذ بيدي. فانطلقنا حتّى أتى بعض حجر نسائه. فدخل. ثمّ أذن لي.

فدخلت الحجاب عليها. ([٢٩٦]) فقال: «هل من غداء» فقالوا: نعم. فأتي بثلاثة أقرصه. فوضعن على نبيّ ([٢٩٧]) فأخذ رسول الله قرصا فوضعه بين يديه. وأخذ قرصا آخر فوضعه بين يديّ. ثمّ أخذ الثّالث فكسره باثنين.

فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يديّ. ثمّ قال: «هل من أدم؟» قالوا: لا. إلّا شيء من خلّ. قال: «هاتوه.

فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُوَ ». ([٢٩٨])

الدرس السادس عشر

معجزات ودروس غزوة بدر

اعلم علمني الله و إياك و زادني الله و إياك علما –: أن من المعارك الفصلة التي مكن الله تعالى فيها لحملة رسالته و نصرهم نصرا مبينا غزوة بدر الكبر و لقد سمها الله تعالى بيوم

---

[٢٩٥] – أحمد (١/ ٦٩–٧٠) برقم (٥٠٤). وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٣٧٨): إسناده حسن.

[٢٩٦] – فدخلت الحجاب عليها: معناه دخلت الحجاب إلى الموضع الذي فيه المرأة، وليس فيه أنه رأى بشرتها.

[٢٩٧] – على نبيّ: أي على مائدة من خوص، وروى «بتي» والبتّ: كساء من وبر أو صوف، فلعله منديل وضع عليه هذا الطعام. ورواه بعضهم بنيّ: وهو الصواب وهو طبق من خوص.

[٢٩٨] – أخرجه مسلم انظر حديث رقم (٨٨١٧). مسند أبي عوانة (٥/ ١٩٦) السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٤٤٤)

الفرقان فقال الرحيم الرحمن {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الأنفال: ٤١]

ومعركة بدر ملحمة من ملاحم الإيمان التي اشتملت على الآيات الباهرات وعلى المعجزات الظاهرات و على الدروس الإيمانية و التربوية و الأخلاقية فهي بحق ملحمة كبرى

لماذا غزوة بدر من أعظم الغزوات ؟

الجواب بحول الكريم الوهاب:

أولاً: لأنها أول غزوة كان لها أثرها في إظهار قوة الإسلام، فكانت بدءَ الطريق ونقطة الانطلاق في انتشار الإسلام.

وثانيًا: لأنها رسمت الخط الفاصل بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت قيم الجاهلية، فالتقى الابن مقاتلاً لأبيه وأخيه والأخ مواجهة لأخيه.

وثالثًا: لأن المحرك لها هو الإيمان بالله وحده، لا العصبية ولا القبيلة ولا الأحقاد والضغائن ولا الثأر، وفيها تجلت صور رائعة من الإيمان بالله وصفاء العقيدة وحب هذا الدين

العنصر الأول: معجزات قبل المعركة

وإليك أخي الحبيب بعض المعجزات التي أيد الله بها الفئة المؤمنة على الفئة الباغية الكافرة

(أ) إنزال المطر عليهم:

حيث أنزل الله سبحانه من السماء ماء كان رحمة على المؤمنين. قال تعالى: {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ

[الأنفال: ١١] ، فذكر سبحانه أنّه أنزل المطر على المؤمنين لأربعة أسباب: للتطهير من الحدث، ولإذهاب وسوسة الشيطان، ولتثبيت القلوب، ولتلبيد الأرض الرملية في بدر لتثبت عليها أقدام المؤمنين في سيرهم.

قال مجاهد: أنزل الله المطر فأطفأ الغبار وتلبدت الأرض وطابت نفوسهم وثبتت أقدامهم ، وقال عروة بن الزبير:

بعث الله السماء وكان الوادي دهسا « تربته سهلة لينة » فَأَصَابَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ مِنْهَا مَا لَبَّدَ لَهُمُ الْأَرْضَ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنَ الْمَسِيرِ، وَأَصَابَ قُرَيْشًا مِنْهَا مَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ ([٢٩٩])

وكان نزول المطر سببا في إذهاب وسوسة الشيطان الذي أراد به تثبيط المؤمنين عن القتال بعد احتلامهم بالليل حيث كانوا يصلون مجنبين، فحين نزول المطر وجد الماء الذي اغتسلوا به من الجنابة، وأذهب الله بذلك رجز الشيطان .

ولقد أثبت العلم الحديث أن عضلات القلب عبارة عن ألياف عضلية في شكل خيوط طولية وعرضية تلف القلب، فإذا أفرزت مادة (الأدرينالين) عملت على ارتخاء عضلات القلب وبالتالي ترتخي تلك الألياف والحبال العضلية، كما تعمل على ارتعاش الأطراف، وقد وجد أن من أسرع الوسائل لتخفيض مادة (الأدرينالين) هو أن يرش الجسم بالماء فيربط على القلب بتلك الحبال العضلية بانقباض العضلات، ويزول الارتخاء، كما تثبت الأقدام من ارتعاشها، وصدق الله القائل{وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ [الأنفال: ١١] }.

[ب] تقليل عدد كل فريق في نظر الفريق الآخر

ومن آيات الله في هذه المعركة أن جعل كل فريق يرى عدد الفريق الآخر قليلا، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى وهي أن تتم هذه المعركة وينتصر الحق على الباطل. قال تعالى: {

[٢٩٩] –« أخرجه الطبري بسند حسن » . دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤،)

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) }[الأنفال: ٤٤] .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين ([٣٠٠])

(جـ) بيان مصارع الكفار:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ، أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا» ([٣٠١])

(د) إلقاء النعاس على المؤمنين:

كان الصحابة على وجل من قلتهم وكثرة عدوهم، فألقى الله عليهم النعاس أمنة منه. قال تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} [الأنفال: ١١] وكذلك حصل في معركة أحد، فقد

---

[٣٠٠] –تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٧)

[٣٠١] – أخرجه أحمد (١/٢٦ ، رقم ١٨٢) ، ومسلم (٤/٢٢٠٢ ، رقم ٢٨٧٣) ، والنسائي (٤/١٠٩ ، رقم ٢٠٧٥)

قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مرارا، يسقط وآخذه "

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم، كما قال: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان([٣٠٢])

العنصر الثاني: معجزات أثناء المعركة

و في أثناء المعركة حيث الحديث للسيوف و للرماح حدثت معجزات قاهرات قهرة الكافرين و سددت الموحدين و قلبت موازين المعركة معجزات ظاهرة نذكر إليكم منها:

(أ) إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين:

والآيات تثبت ثلاثة أشياء وهي:

الأول: وهي نزول الملائكة.

والثاني: نزولهم ببشارة المؤمنين بنصر الله تعالى، رفعاً لمعنوياتهم وإعلاء لإيمانهم ودينهم.

والثالث: مقاتلة الملائكة مع المؤمنين.

ونبدأ بهذه الآية لوضوحها، وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)} [آل عمران: ١٢٣ – ١٢٦].

---

[٣٠٢] – تفسير ابن كثير–ط أولاد الشيخ (٧/ ٢٩)

وكذلك قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)} (١) [الأنفال: ٩ –١٠]. وقوله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)} [الأنفال: ١٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ: «أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ أَبَدًا» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، وَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: ٤٦] (٣٠٣).

وأمد الله المسلمين في تلك الغزوة بألف من الملائكة الكرام وأمرهم بالقتال مع المؤمنين وأوحى إليهم أن يثبتوا المؤمنين، ووعد سبحانه أنه سيلقي الرعب في قلوب الكافرين. قال تعالى: { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)} [الأنفال: ١٢ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ» (٣٠٤)

(هذا جبريل. .) الله تعالى ورسوله أعلم بكيفية قتال الملائكة وأدوات حربهم وأفراسهم والحكمة من قتالهم مع أنهم قادرون على إهلاك الكافرين بجناح واحد من أجنحتهم وليس علينا إلا الإيمان بما أتانا به الخبر الصادق من كتاب أو سنة مما يقبله العقل ويقره المنطق السليم المنطلق من الإيمان بالله تعالى وقدرته وحكمته]

---

٣٠٣ – أخرجه البخاري في: ٦٥– كتاب التفسير، تفسير سورة القمر، (٥) باب قوله: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» ، الحديث (٤٨٧٥) ، فتح الباري (٨: ٦١٩)

٣٠٤ – أخرجه البخاري (٣٩٩٥)

عن ابْن عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ» (٣٠٥) .

، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ: " إِنِّي لَأَتْبَعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي " (٣٠٦)

(ب) مقتل أمية بن خلف:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا، قَالَ: فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِي صَفْوَانَ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّأْمِ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمَيَّةُ، لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ، فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَلاَحَيَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ أُمَيَّةُ لسَعْدٍ: لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّامِ، قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ «فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ»، قَالَ: إِيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي اليَثْرِبِيُّ، قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ، قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ

---

٣٠٥ – أخرجه مسلم في المغازي (٢٠)

٣٠٦ – مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ١٩٥) وأخرجه الدولابي في "الكنى" ٦٩/١

لاَ يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الوَادِي فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ ([٣٠٧]) .

(ج) سيف عكاشة – رضي الله عنه–

ومن المعجزات النبوية التي أكرم الله بها نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة بدر ما ذكره ابن القيم في كتبه زاد المعاد: " أن سيف عُكَّاشة بن محصن انقطع يومئذ، فأعطاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جذلا من حطب، فقال: (دونك هذا)، فلما أخذه عكاشة وهزه، عاد في يده سيفًا طويلاً شديدًا أبيض، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر " . ([٣٠٨])

(د) رد عن رفاعة رضي الله عنه–

عن رِفَاعَةَ بْنُ رَافِعِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ تَجَمَّعَ النَّاسُ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ إِلَى قِطْعَةٍ مِنْ دِرْعِهِ قَدِ انْقَطَعَتْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، قَالَ: فَأَطْعَنُهُ بِالسَّيْفِ فِيهَا طَعْنَةً، فَقَطَعْتُهُ وَرُمِيتُ بِسَهْمٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَفُقِئَتْ عَيْنِي فَبَصَقَ فِيهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَا لِي فَمَا آذَانِي مِنْهَا شيء» ".([٣٠٩])

العنصر الثالث: معجزات بعد انتهاء المعركة

سماع المشركين كلام النبي صلى اللهُ عليه وسلم وخطابه وهم أموات في القليب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي طلحة رضي اللهُ عنه: "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ[١] بَدْرٍ، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ

---

[٣٠٧] – أخرجه البخاري (٣٩٥٠)

[٣٠٨] – مختصر السيرة لابن محمد بن عبد الوهاب ١٨٧.

[٣٠٩] – السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٤٨)

بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ: "أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟" قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللهُ عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ"، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا".([٣١٠])

الدرس السابع عشر

رمضان شهر العتق من النار

إخوة الإسلام: إن شهر رمضان شهر تغلق فيه النار وتفتح فيه أبواب الجنان ويمن الله –تعالى– على من يشاء من عباده الصائمين ويعتقهم من نار جهنم، ويصبح معهم براءة من نار حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد

عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد –هو شك، يعني الأعمش –، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة " ([٣١١])

---

[٣١٠] – أخرجه أحمد (٤/٢٩. والبخاري (٤/٨٩)

[٣١١] – أخرجه أحمد (٢/٢٥٤، رقم ٧٤٤٣) قال الهيثمي (١٠/٢١٦): رجاله رجال الصحيح. انظر صحيح الجامع: ٢١٦٩

وعن جابر بن عبد الله مرفوعًا: ((إن لله عند كل فطرٍ عتقاءَ، وذلك في كل ليلة)) ([٣١٢])

وعن أبي سعيد الخُدْري مرفوعًا: ((إن لله –تبارك وتعالى– عتقاء في كل يوم وليلة –يعني: في رمضان– وإن لكل مسلم في كل يوم دعوةً مستجابة))، ([٣١٣])

وعن ابن مسعود مرفوعًا: ((لله –تعالى– عند كل فطر من شهر رمضان كلَّ ليلة –عتقاءُ من النار ستون ألفًا، فإذا كان يومُ الفطر أَعتَقَ مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفًا)) ([٣١٤])

فهذه الأحاديث تفيد حقيقتين مهمتين جدًّا للصائمين في رمضان:

الأولى: كَثْرة العتقاء من النار في أيام الصوم في رمضان بمغفرة ذنوبهم، وقَبول عبادتِهم، وحفظهم من المعاصي التي هي أسباب العذاب، وهذا الوعد بهذا الكسب العظيم يَشْحَذُ هِمَمَ الصائمين للتسابق إلى إحسان عبادتهم، وإخلاص صيامهم، وعِمارة أوقاتهم بما يزيد قُرْبَهم من ربهم، عسى أن يفوزوا بكَرَمه بالعتق من النار.

الثانية: أن لكل عتيق دعوةً مستجابة، وهذا يُحمِّس الصائمين للإكثار من الدعاء وسؤال ربهم إجابةَ دعَوَاتهم، وتلبية حوائجهم، وتفريج كُرَبهم، وتحقيق أمنيَّاتهم، عسى إنْ كانوا من العتقاء أنْ تُستجاب دعواتُهم؛ فليتحرَّ الصائمون إخلاصَ الدعاء، خاصة عند الإفطار.

فرمضان موسم من مواسم العتق من نار جهنم وفيه تتنزل الرحمات وتعم النفحات ويغفر الله للمؤمنين والمؤمنات

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " تعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده " ([٣١٥])

صفة النار : فإن سألت عن نار جهنم التي ينبغي على كل عاقل أن يخلص نفسه منها حتى لا يعض على أنامل الندم يوم لا ينفع الندم و يكون حاله كما قال الله تعالى { وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ

---

[٣١٢] – رواه ابن ماجه: (١٦٤٣)، وقال الحافظ البُوصيري: "رجال إسناده ثقات". صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠١

[٣١٣] – أخرجه البزار: (٩٦٢) من "كشف الأستار"، وفي سنده أبان بن أبي عيَّاش وهو ضعيف، وليُنظر: "مجمع الزوائد": (٣/ ١٤٣)، و(١٠/ ١٤٩).

[٣١٤] – رواه البيهقيُّ في "شُعَب الإيمان": (٣٦٠٦) وقال المُنذري: "وهو حديث حسن لا بأس به في المتابعات".

[٣١٥] – أخرجه الطبراني ح ٧٢٠ ، و البيهقي ح ١١٢١ ، انظر الصحيحة: ١٨٩٠

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك: ٦ – ١١]

{لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، قال الله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأصْحَابِ السَّعِيرِ} ([٣١٦])

وقودها ودركاتها:

وقود النار: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (التحريم ٦) وقال سبحانه: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة ٢٤)

فالناس هم الوقود وهم المعذبون. فسبحان الخالق القادر.

يقول ابن رجب الحنبلي –رحمه الله –وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة: سرعة الإيقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا أحميت

قال عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود في قوله تعالى: {وقودها الناس والحجارة}

قال: هي حجارة من الكبريت خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين خرجه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ([٣١٧])

طعام أهل النار وشرابهم: أهل النار يصيبهم الجوع والعطش، فيطعمهم الله طعاماً يزيدهم عذاباً على عذاب، مما يجدونه من الألم والحر في بطونهم بعد أكله فلا هم يذهبون حرارة الجوع بذلك الطعام، ولا

---

[٣١٦] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (٨/ ١٧٨)

[٣١٧] – التخويف من النار (ص: ١٣٤)

هم يهنؤون، قال تعالى: { لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ *لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} (الغاشية ٦-٧) والضريع نوع من الشوك المر النتن، لا ينفع آكله ولا يشبعه ويعرف عند الحجازيين بالشربق.

شدة حرها: وأما حر الدنيا فإنه يتقى، فقد مد الله لعباده الظل يقيهم الحر، ورزقهم الماء يرويهم من العطش، وأوجد لهم الهواء والريح الكريمة تلطف وتهون من شدة الفيح.

أما في جهنم فإن هذه الثلاثة تنقلب عذاباً على أهلها فالهواء سموم، والظل يحموم والماء حميم. قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ *فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ *لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} [الواقعة ٤١-٤٤] وقال سبحانه: {انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ *لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ *إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات ٣٠-٣٣]

خوف السلف من النار :

عن أبي ذر، قال: والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون، والله لو أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد وتؤكل ثمرتي...! ([٣١٨])

قال عمر بن الخطّاب-رضي اللّه عنه-لمّا طعن: «لو أنّ لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب اللّه قبل أن أراه! ([٣١٩])

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر -رحمه الله-:

قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به،

قال: يا أخي، إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريا أن لا تجف لي عين

[٣١٨] – مصنف ابن أبي شيبة (٣٤١/١٣) ، مصنف عبد الرزاق (١٢٣/٧) ، حلية الأولياء (١٦٤/١) .

[٣١٩] واه البخاري ٣٦٩٢

قال: فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي، فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكان

ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول يا ويحها: ما خصصت به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما تقر لي معك عين. ([٣٢٠])

فحري بمن سمع بهذا الحديث أن يبذل قصارى جهده في الإتيان بالأسباب التي بها فكاك رقبته من النَّار، لا سيما في هذا الزمان الشريف، حيث رحمة الله السابغة، فيا باغي الخير هلمَّ أقبل، فقد صفدت الشياطين، وسجِّرت النيران، وفتِّحت أبواب الجنة، فيا لعظم رحمة الله ! ! أي ربٍ كريم مثل ربِّنا، له الحمد والنعمة والثناء الحسن.

فكم لله من عتقاء كانوا في رق الذنوب والإسراف، فأصبحوا بعد ذل المعصية بعز الطاعة من الملوك والأشراف. فلك الحمد

كم له من عتقاء صاروا من ملوك الآخرة بعدما كان في قبضة السعير. فلك الحمد.

فيا أرباب الذنوب العظيمة، الغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة، فما منها عوض ولا لها قيمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة.

الدرس الثامن عشر

الطريق إلى العتق من النار

أحباب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بعدما تعرفنا على أن من صفات شهر رمضان أنه شهر العتق من النار، وتعرفنا على حر جهنم وخوف السلف منها، فما هو الطريق إلى العتق من النار؟

الجواب بحول الملك الوهاب: اعلم–زادك الله علما–أنه ما من باب من أبواب الخير إلا ودلنا عليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وما من باب من أبواب الشر والعذاب إلا وحذرنا منه النبي الاواب — صلى الله عليه وسلم–وقد أرشدنا إلى موجبات العتق من النار وهاك بيانها:

---

[٣٢٠] – حلية الأولياء [١٦٤/٥]

أولا: الإخلاص:

فأول الأسباب وأعظمها أن تكون مخلصا لله تعالى في أحوالك وأعمالك وأقوالك

قال سهل التستري – رحمه الله –في معنى الإخلاص حيث قال رحمه الله تعالى "نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته – أي العبد – وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا ".

قال الغزالي –رحمه الله–: وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض.

قال الله تعالى﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾وكلمة المخلصين فيها قراءتان بكسر اللام وفتحها، فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر بكسر اللآم ، وقرأ الباقون بالفتح ، والاستدلال بهذه الآية على قراء ة المخلصين بالكسر .

قال السعدي رحمه الله: يقول الله تعالى:﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾فإنهم غير ذائقوا العذاب الأليم لأنهم أخلصوا لله الأعمال فأخلصهم واختصهم برحمته وجاد عليهم بلطفه.

عَنْ عِتْبَانِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ» (٣٢١)

ومن أظهر علاماته: النشاط في طاعة الله، وأنْ يحب أن لا يطلع على عمله إلا الله.

قيل لذي النون: متى يعلم العبد أنَّه من المخلصين؟

قال: إذا بذل المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة عند النَّاس.

فإذا أردت الفوز بهذه المنزلة العظيمة فجدَّ واجتهد، وشد المئزر، وأرِ الله من نفسك شيئًا يبلغك رضاه، وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى، وعلى قدر جدِّك يكون جدُّك،

---

٣٢١ – أخرجه أحمد (٥/٤٤٩ ، رقم ٢٣٨٢١) ، والبخاري (٥/٢٣٦٠ ، رقم ٦٠٥٩)

قال الصديق أبو بكر رضي الله عنه: والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإنِّي لعلى السبيل ما زغت. ([٣٢٢])

قيل للربيع بن خثيم: لو أرحت نفسك؟

قال: راحتها أريد.

فجُد بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايتك، وتحقيق بغيتك؛ فالمكارم منوطة بالمكاره، والمصالح والخيرات لا تُنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب

فكل شيء نفيس يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله،

يقول ابن الجوزي في " صيد الخاطر ": فلله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل، ويثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة، وهم لها سابقون ([٣٢٣])

ثانيا: إصلاح الصيام:

واعلم –بارك الله فيك–أن من سباب العتق من النار في شهر رمضان أن يصلح الصائم صومه من كل ما يشوبه من رياء أو ارتكاب فعل محرم أو ترك واجب من الواجبات

عن عثمان بن أبي العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصوم جنة يستجن بها العبد من النار ([٣٢٤])]

قال المناوي – رحمه الله– (الصوم جنة يستجن بها العبد من النار) وأصل الجنة بالضم الترس شبه الصوم به لأنه يحمي الصائم عن الآفات النفسانية في الدنيا وعن العقاب في الأخرى قال القاضي : والجنة بالضم الترس وبالكسر الجنون وبالفتح الشجر المظل وأطلقت على البستان بما فيها من الأشجار وعلى دار الثواب لما فيها من البساتين وثلاثيتها مأخوذ من الجن بمعنى الستر.([٣٢٥])

---

[٣٢٢] – جامع الأحاديث (٢٥/ ٢٢٨) أخرجه ابن عساكر (٤١٥/٣٠)

[٣٢٣] – صيد الخاطر (ص: ٢٨٢)

[٣٢٤] – رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني (٣٨٦٧) في صحيح الجامع]

[٣٢٥] – فيض القدير (٤/ ٣١٩)

والدليل أن الصوم يعدل الرقبة أن الله تعال جعل الله الصيام بدل عتق الرقبة في دية القتل الخطأ وكفارة الظهار قال الله تعالى: {فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٩٢]

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} [المجادلة: ٣ –٤]

فإذا كان الصيام بديلاً عن العتق، وإذا كان من أعتق رقبة أُعتق بها من النَّار، فلعل الإكثار من الصيام سبب لنفس الجزاء

فلابد من تعاهده بالإصلاح، بأنْ يكون صيامًا عن المحرمات، وعدم الوقوع في المكروهات، وعدم التوسع في المباحات، صيام للجوارح، بل صيام للقلب عن كل شاغل يشغله عن الله، فترفق، ولا تستكثر من أمور الدنيا في رمضان، فرمضان الفرصة الثمينة للفوز بالجنة والنجاة من النار.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم)) ([٣٢٦]).

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بهِ، فَليسَ للهِ حاجة فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ». ([٣٢٧])

ثالثا: إطعام الطعام للمساكين

و من موجبات العتق من النار أن تطعم الطعام و خاصة شهر رمضان الكريم الذي تجود فيه النفوس وقد جعل الله إطعام الطعام محل العتق في كفارة الظهار {ومَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة : ٤]

وجعل إطعام المساكين أو كسوتهم محل عتق الرقاب في كفارة الأيمان قال تعالى: { لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ

---

[٣٢٦] – أخرجه مالك (٣١٠/١، رقم ٦٨٢)، والبخاري (٦٧٣/٢، رقم ١٨٠٥)، ومسلم (٨٠٦/٢،

[٣٢٧] – أخرجه أحمد (٤٤٣/٢، رقم ٩٧١٧)، والبخاري (٢٢٥١/٥، رقم ٥٧١٠)،

أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة المائدة :٨٩]

وقد جاء في بعض الإسرائيليات: قال موسى u لرب العزة عزَّ وجل: فما جزاء من أطعم مسكينا ابتغاء وجهك؟ قال: يا موسى آمر مناديا ينادي على رؤوس الخلائق إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار. (٣٢٨)

ولإطعام الطعام – لاسيما للفقراء والمساكين – مزية عظيمة في الإسلام، فهو من أفضل الأعمال الصالحة عند الله تعالى:

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال صلى الله عليه وسلم: " مَن فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء ". (٣٢٩)

والأجر الذي للمفطِّر إنما هو لمن أشبع لا لمن ابتدأ بالإطعام، فليس من قدَّم تمرة كمن ذبح شاة وأطعم خبزاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمراد بتفطيره: أن يُشبعه. (٣٣٠)

رابعا: إصلاح الصلاة بإدراك تكبيرة الإحرام.

أن تواظب على ادراك تكبيرة الإحرام مع الإمام أربعين يوما وليلة فتنال بذلك البراءة الربانية من النار و من النفاق فلا يثابر على ذلك إلا مخلص يرجو وجه الله تعالى و يخاف من عقاب منعن أنس – رضي الله عنه–قال: قال: رسول الله–صلى الله عليه وسلم– صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار و براءة من النفاق [(٣٣١)

وهذا مشروع إيماني ينبغي أن تفرغ له نفسك، إنها مائتا صلاة، فاعتبرها مائتي خطوة إلى الجنة، فهل لا تستحق سلعة الله الغالية أنْ تتفرغ لها؟

---

٣٢٨ –. [حلية الأولياء (١٩/٦)]

٣٢٩ – رواه الترمذي (٨٠٧) وابن ماجه (١٧٤٦). وصححه ابن حبان (٨ / ٢١٦) والألباني في " صحيح الجامع " (٦٤١٥).

٣٣٠ – " الفتاوى الكبرى " (٤ / ٤٦٠).

٣٣١ – [رواه الترمذي وحسنه الألباني (٦٣٦٥) في صحيح الجامع]

وطريقك إلى ذلك أن تتخفف من أعباء الدنيا طوال هذه المدة، وعليك بالدعاء مع كل (صلاة) أن يرزقك الله الصلاة التالية تدرك تكبيرة الإحرام فيها، وهكذا.

واعلم أنَّ إصلاح النَّهار سبيل إلى إصلاح الليل، والعكس صحيح، وهذا يكون باجتناب الذنوب والحرص على الطاعات ووظائف الوقت من أذكار ونحوها، فقط اجعل الأمر منك على بال، واجتهد في تحقيقه، واستعن بالله ولا تعجز، فإن تعثرت في يوم، فاستأنف ولا تمل، فإنَّها الجنة، إنَّه العتق من النار، والسلامة من الدرك الأسفل فيها.

خامسا: المحافظة على صلاتي الفجر والعصر.

ومن موجبات العتق من النار أن تكون ممن يوظب على الصلاة الخمس في وقتها وان تواظب على صلاة الفجر والعصر فلهما مزية ليست لغيرهما من الفرائض لذا خصهما النبي – صلى الله عليه وسلم–بتلك المنقبة

عن أبي زهير عمارة بن رؤيبة –رضي الله عنه –، قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، يقول: ((لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)) يعني: الفجر والعصر ([٣٣٢])

تخصيصها بذلك أنَّ وقت الصبح يكون عند النوم ولذَّته، ووقت العصر عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار. ففي صلاتهما دليلٌ على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانه ببقية الصلوات الخمس.

قال الله تعالى {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور (٣٦: ٣٨)] ([٣٣٣]).

سادسا: المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وبعده

---

[٣٣٢] – أخرجه أحمد (١٣٦/٤، رقم ١٧٢٥٩)، وأبو داود (١١٦/١، رقم ٤٢٧)، ومسلم (٤٤٠/١، رقم ٦٣٤) ، والنسائي (٢٣٥/١ ، رقم ٤٧١)

[٣٣٣] – تطريز رياض الصالحين (ص: ٦١٢)

أخي السلم وأنت في شهر رمضان شهر تضاعف فيه الأعمال وترفع فيه الدرجات وتقال فيه العثرات فعليك بتخليص رقبة من نار جنهم ومما يعتق رقبتك من النار أن تواظب على أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربعا بعدها ففيهم خلاص وفيهم تحريم جسدك على النار

عن أم حبيبة –رضي الله عنها –، قالت: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يقول: "من يُحافِظْ على أربعِ رَكَعاتٍ قبلَ الظُّهرِ، وأربع بعدَها، حرَّمه اللهُ على النار" ([٣٣٤])

فهذا الفضل لا يحصل إلا لمن حافظ على هذه الركعات، وبعض العلماء يرى أنَّها سنة مؤكدة لما لها من جزاء عظيم.

فإذا وجدت نفسك تستصعب هذا فذكرها {حرَّمه الله على النار} وألح عليها تعتاده، وإنه ليسير على من وفقه الله تعالى

ثامنا: البكاء من خشية الله تعالى

و نحن في شهر تلين فيه القلوب و تخشع فيه و ذلك لكثرة ما فيها من طاعات و قربات و وكذب البعد عن المعاصي و المخالفات مما يزيد في إيمان العبد و يجعل قلبه رقيقا و دمعه غزيرا، فانظر اليهم و هم في صلاة التراويح و قد وجلت قلوبهم، و دمعت عيونهم، وخشعت جوارحهم، فتسمع الأنين، و البكاء، و ترى التضرع و الرجاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)) ([٣٣٥])

فهنيئًا لك إذا صحت لك دمعة واحدة من خشية الله، فإنَّ القلوب تغسل من الذنوب بماء العيون، والبكاء قد يكون كثيرًا لاسيما في رمضان ومع سماع القرآن في صلاة التراويح والتهجد، ولكن كما قال سفيان الثوري: إذا أتى الذي لله مرة واحدة في العام فذلك كثير

ويكفي أنَّ من رزق تلك الدمعة قد اختصه الله بفضل لا يبارى فيه

---

[٣٣٤] – رواه الإمام أحمد في "المسند" (٦/ ٣٢٦)، والنسائي (١٨١٦ وأبو داود (١٢٦٩)، والترمذي (٤٢٨) وصححه الألباني (٥٨٤) في صحيح الترغيب]

[٣٣٥] –أخرجه ابن ماجه (٢٧٧٤)، والترمذي (١٦٣٣) وصححه الألباني (٧٧٧٨) في صحيح الجامع]

تأملوا عباد الله في حال سيد الرجال — صلى الله عليه وسلم–فعن عبد الله بن الشخير –رضي الله عنه –قال: أتيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –وهو يصلي ولجوفه أزيز ([٣٣٦]) كأزيز المرجل([٣٣٧]) من البكاء) ([٣٣٨])

دمعة مالحة تكون لخطاياك ماحة ولرقبتك معتقة يا لها من دمعة غالية ترفع صاحبها جنة عالية

أيها الباكي من خشية الرحمن ها أنت في ظل عرش الرحمن يوم الحشر : فأنت من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظلَّ إلا ظله هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول : «سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه : الإمامُ العادلُ ، وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعودَ إليه ، ورجلان تحابَّا في الله ، اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه ، ورجل دَعَتْهُ امرأة ذاتُ مَنْصِب وجمال، فقال : إني أخافُ الله ، ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه ، ورجل ذَكَرَ الله خاليا ففاضت عيناه».([٣٣٩])

قال خالد بن معدان: إنَّ الدمعة لتطفئ البحور من النيران، فإنْ سالت على خد باكيها لم ير ذلك الوجه النَّار، وما بكى عبد من خشية الله إلا خشعت لذلك جوارحه، وكان مكتوبًا في الملأ الأعلى باسمه واسم أبيه منورًا قلبه بذكر الله) ([٣٤٠])

فنعوذ بالله من عين لا تدمع من خشيته، ونسأله عينًا بالعبرات مدرارة، وقلبًا خاشعًا مخبتًا.

---

[٣٣٦] –أي: صوت البكاء وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. النهاية ٤٥/١

[٣٣٧] – أي: الإناء الذي يغلى فيه الماء. النهاية ٣١٥/٤.

[٣٣٨] –أخرجه: أبو داود (٩٠٤)، والترمذي في " الشمائل " (٣٢٢)، والنسائي في " الكبرى " (٥٤٥).

[٣٣٩] – أخرجه: البخاري ١٣٨/٢ (١٤٢٣)، ومسلم ٩٣/٣ (١٠٣١) (٩١) .

[٣٤٠] –. [الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ص(٤٨)]

الدرس التاسع عشر

رمضان شهر الجنة

إن شهر رمضان جسر ممدود إلى الجنة، من عرف كيف يسير في دربه وضع أقدامه في الجنة يوم تزّل أقدام وأقدام في النار.

والجنة تفتح أبوابها أمام الصائمين والصائمات كما قال: عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: «إذا دخل رمضان فُتِّحَتْ أبوابُ السماء، وأُغلقت أبوابُ جهنم، وسُلْسِلت الشياطين» ([٣٤١])

[٣٤١] – أخرجه البخاري (٦٧١/٢، رقم ١٧٩٩)، ومسلم (٧٥٨/٢، رقم ١٠٧٩).

أما فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار فهو من رحمة الله عز وجل وفضله لهذه الأمة، فلما كثرت طاعة المسلمين وإقبالهم على الله عز وجل في هذا الشهر بادر الله عز وجل بفتح أبواب الجنة، ولذلك لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: فُتِحَت أبواب الجنة وهو الفتح الطبيعي، وإنما قال: (فُتِّحَتْ) وهي صيغة مبالغة في فتح هذه الأبواب، أي: كل باب يفتح على مصراعيه، ومصراع الباب الواحد من أبواب الجنة كما بين المشرق والمغرب.

فهذه الأبواب تفتح عن آخرها استقبالاً لأهل الله عز وجل، للصائمين والقائمين والذاكرين والتالين وغير ذلك من أقسام الطاعة. ([٣٤٢]).

الجنة هي دار الخلود، ونعيمها دائم، لا يعتري سكانها نصبٌ أو همٌ أو حزن، ويتمتعون بما أحل الله تعالى لهم بفضله وكرمه، وفيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيا باغي الخير أقبل فالأبواب مفتحة، ويا باغي الشر أقصر فالأبواب مغلقة.

البشارة الربانية للمؤمنين والمؤمنات بالجنة

اعلم بارك الله فيك: أن الله أمر نبيه محمد أن يبشر بالجنة من آمن وعمل صالحاً، قال الله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [البقرة:٢٥].

يقول الطبري – رحمه الله– وهذا أمر من الله تعالى نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقَه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه، وصدّقوا إيمانهم ذلك وإقرَارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له: يا محمد، بشِّرْ من صدَّقك أنك رسولي – وأن ما جئتَ به من الهدى والنور فمن عندي، وحقَّق تصديقَه ذلك قولا بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتُها عليه، وأوجبتُها في كتابي على لسانك عليه – أن له جنات تجري من تحتها الأنهار، خاصةً، دُون من كذَّب بك وأنكرَ ما جئته به من الهدى من عندي وعاندك ، ودون من أظهر تصديقك ، وأقرّ أن ما جئته به فمن عندي قولا وجحده اعتقادًا، ولم يحققه عملا. فإن لأولئك النارَ التي وقُودها الناسُ والحجارة، مُعدةً عندي. والجنات: جمع جنة، والجنة: البستان.

وإنما عَنى جلّ ذكره بذكر الجنة: ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها، دون أرضها –ولذلك قال عز ذكره ": تجري من تحتها الأنهار". لأنّه معلومٌ أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبرَ عن ماء أنهارها

[٣٤٢] – شرح صحيح مسلم –حسن أبو الأشبال (١٢/ ٥)

أنه جارٍ تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جارٍ تحت أرضها. لأن الماء إذا كان جاريًا تحت الأرض، فلا حظَّ فيها لعيون منْ فَوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه. على أنّ الذي تُوصف به أنهارُ الجنة، أنها جارية في غير أخاديد. ([٣٤٣])

أصحاب الحبيب النبي يسألون عن الأعمال التي تدخلهم الجنة

اعلم –بارك الله فيك–: أن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على الخير وعلى دخول الجنة لذا نجدهم يسألون النبي – صلى الله عليه وسلم–عما يقربهم من الجنة ويباعدهم عن النار عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري –رضي الله عنه –: أن رجلا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم – ((تعبد الله ، ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم)) ([٣٤٤])

عن معاذ –رضي الله عنه –قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: ((لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)) ثم قال: ((ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل)) ثم تلا: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} حتى بلغ {يعملون} [النور: ١٦] ثم قال: ((ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه)) قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)) ثم قال: ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله!)) قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: ((كف عليك هذا)) قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ((ثكلتك أمك! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟)). ([٣٤٥])

وصفة الجنة

١–أرضها وتربتها

---

[٣٤٣] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر (١/ ٣٨٣)

[٣٤٤] – أخرجه: البخاري ٢/١٣٠ (١٣٩٦)، ومسلم ١/٣٣ (١٣) (١٤) .

[٣٤٥] – أخرجه: ابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦) .

عن أبي هريرة: قال: قلت يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم) ([٣٤٦]).

واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمـــن ناشيـــها

قصورها ذهبٌ والمسك طينتـها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيـــــها

أنهارها لبنٌ مصفى ومن عسلٍ ... والخمر يجرى رحيقاً في مجاريها

والطير تجرى على الأغصان عاكفةً ... تسبح الله جهـــراً في مغانيـــها

فمن يشترى الدار في الفردوس ... يَعمرُها بركعةٍ في ظلام الليل يُحيها

٢-أنهارها: فإن سألت عن أنهارها فقد أجراها الله تعالى بكرمة مم لم يخطر على بال احد قال تعالى: ((مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ١٥)) (سورة محمد)

وقال تعالى: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (البقرة ٢٥)

٣-قصورها ومساكنها

أما قصورها فقد بناها الرحمن وغرس كرامتها بيديه – جل شأنه وعظم سلطانه –قال تعالى {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمر: ٢٠]

[٣٤٦] – أخرجه أحمد (٢/٤٤٥، رقم ٩٧٤٢) ، وهناد في الزهد (١/١٠٦ ، رقم ١٣٠) ، والترمذي (٤/٦٧٢ ، رقم ٢٥٢٦) وقال : ليس إسناده بذاك القوى وليس هو عندي بمتصل . وأخرجه أيضًا : الدارمى (٢/٤٢٩ ، رقم٢٨٢١)

عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه –قال: أَن النَّبيَّ–صلى الله عليه وسلم–قال: «إن للمؤمِن في الجنة لَخَيْمَة مِنْ لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ميلا –وفي رواية: عرضها –للمؤمن فيها أهلوُنَ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا» ([٣٤٧]).

٤–الفرش والأواني

قال تعالى: ((مُتَّكِئِينَ عَلَى؟ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٥٤)) الرحمن

فإذا كانت البطائن من استبرق فما بالك بظاهر الفرش!

وأما عن الأواني: فقال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]

وقال تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا} [الإنسان: ١٩]

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ويُطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، هي من فضة كانت قواريرًا، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج. ([٣٤٨]).

٥–الطعام والشراب

قال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة: ٢٠، ٢١] وقال سبحانه {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٢، ٣٣]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام". قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: {وظل ممدود} [الواقعة: ٣٠]. ([٣٤٩]).

٦–نساؤها

---

[٣٤٧] – أخرجه أحمد (٤/٤١١، رقم ١٩٦٩٦)، ومسلم (٤/٢١٨٢، رقم ٢٨٣٨)، والترمذي (٤/٦٧٣، رقم ٢٥٢٨) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: البخاري (٤/١٨٤٩، رقم ٤٥٩٨) .

[٣٤٨] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر (٢٤/ ١٠٤)

[٣٤٩] – أخرجه الحميدي "١١٣١"، والبخاري"٤٨٨١" وأخرجه أحمد ٢/٤١٨، ومسلم "٢٨٢٦" "٧"

قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرةٌ وندخلهم ظلاً ظليلاً) [النساء:٥٧].

فهذه بشارةٌ عظيمة بشّر الله تعالى بها عباده المؤمنين المتّقين.

فأزواجهم في الجنّة طاهرات مِن كلّ قذرٍ وخبث وآفة، سواء في ذلك ظاهرهنّ وباطنهنّ.

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله في (والمُطَهَّرة التي طُهِّرتْ مِن الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكلّ قذر وكلّ أذى يكون مِن نساء الدنيا.

فطُهِّر مع ذلك باطنها مِن الأخلاق السيّئة والصفات المذمومة.

وطُهِّر لسانها مِن الفحش والبذاء.

وطُهِّر طرفها مِن أن تطمح به إلى غير زوجها.

وطُهِّرتْ أثوابها مِن أن يعرض لها دنس أو وسخ) ([٣٥٠])

ولنتأمل معا هذه الآيات من سورة الرحمن وقال تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٦ –٥٨]

قاصرات الطرف أي تقصر طرفها على زوجها فلا تنظر إلى غيره ولا تطمح لسواه وهن كما قال تبارك وتعالى {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٣٥ –٣٨]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة على أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما بريحها، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». ([٣٥١]).

٧–الخدم والغلمان

---

[٣٥٠] –(حادي الأرواح) (٢٨٣–٢٨٤):

[٣٥١] – [البخاري، برقم ٦٥٦٨، ورقم ٢٧٩٦]،

أما خدم أهل الجنة فقد حدثنا عن صفاتهم العليم الخبير –جل جلاله–فقال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) (الطور: ٢٤)

وقوله تعالى {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان: ١٩، ٢٠]

يقول السعدي – رحمه الله– في قوله{لْدَانٌ مُخَلَّدُونَ } أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، { إِذَا رَأَيْتَهُمْ } منتشرين في خدمتهم { حَسِبْتَهُمْ } من حسنهم { لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا } وهذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، { وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ } أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم { رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا } فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية] ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه. ([٣٥٢])

٨–لباسها وزينتها

قال سبحانه وتعالى :(عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍوَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١) الإنسان

[٣٥٢] – تفسير السعدي (ص: ٩٠١)

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال النبيُّ –صلى الله عليه وسلم–: «أهل الجنة جرْد، مرد، كحّلَى، لا يفنى شبابُهم، ولا تَبلى ثيابهم». ([٣٥٣]).

٩–حال أهلها

عن أبي هريرة –رضي الله عنه – :قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:«إن أوَّل زُمرَة يدخلون الجنة : على صُورةِ القَمَرِ لَيلَةَ البدرِ ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوَّطُون ، ولا يتْفَلون ، ولا يمتَخطُون ، أمشاطُهُم الذهب ، ورَشْحُهم المسك ، ومجامِرُهم الألوَّةُ – الألنّجوج عُود الطيب – أزواجهُم الحور العين ، على خلْقِ رجُل واحد ، على صورةِ أبيهم آدم ستُّونَ ذِراعا في السماء». ([٣٥٤]).

و قال سبحانه : ((تحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)) وأعظم ثواب أهل الجنة قال تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ٢٢ / ٢٣ القيامة

١٠–أدنى أهل الجنة هو:

عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–(إن أدنى أهل الجنة منزلا رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة و مثل له شجرة ذات ظل فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها فقال الله : هل عسيت أن تسألني غيره ؟ قال : لا و عزتك فقدمه الله إليها و مثل له شجرة ذات ظل و ثمر فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها و آكل من ثمرها فقال الله : هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ؟ فيقول: لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل الله له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول له: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فيبرز له باب الجنة فيقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون تحت سجاف الجنة فأرى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى الجنة و ما فيها فيقول: أي رب أدخلني الجنة فيدخل الجنة فإذا دخل الجنة قال: هذا لي؟ فيقول الله له: تمن فيتمنى و يذكره الله

---

[٣٥٣] – أخرجه الدارمي (٢٨٢٩) والترمذي (٢٥٣٩)

[٣٥٤] – أخرجه أحمد (٢/٢٣١، رقم ٧١٦٥) ، والبخاري (٣/١٢١٠ ، رقم ٣١٤٩) ، ومسلم (٤/٢١٧٩ ، رقم ٢٨٣٤) ، وابن ماجه (٢/١٤٤٩ ، رقم ٤٣٣٣) .

عز و جل سل من كذا و كذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك و عشرة أمثاله ثم يدخله الله الجنة فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا و أحيانا لك فيقول : ما أعطي أحد مثل ما أعطيت و أدنى أهل النار عذابا ينعل من نار بنعلين يغلي دماغه من حرارة نعليه) ([٣٥٥]).

الدرس العشرون

العشر الأواخر من رمضان سلوك وتربية

بدأت أواخر شهرنا هيا ابدأوا عزما جديدا في رحاب أواخر

واستنهضوا جهدا حميدا راشدا ليحل فيكم نور فضل ذاخر

فالصوم آذان بالرحيل فشمروا صدق انطلاق للضياء الفاخر

فستندمون إن فاتكم شهر الهدى * * * في لهو إغفال و سوء تفاخر

---

[٣٥٥] – أخرجه أحمد (٣/٢٧ ، رقم ١١٢٣٢) ، ومسلم (١/١٧٥ ، رقم ١٨٨) .

العنصر الأول بقي الثلث والثلث كثير

أمة الإسلام ها هي شمس رمضان قد آذنت بالغروب فلم يبق من شهر الكرم والجود إلا الثلث

فماذا عملت في الثلثين من خيرات

وماذا أسهمت من قيام وطاعات

وما عساك أنت فاعل في الثلث وما أدرك ما الثلث؟

إنه الثلث الذي من أدركه لله طاعا فقد حلت عليه الرحمات وغفرة له الزلات ورفعة له في الجنة الدرجات

إنه ثلث العباد

إنه ثلث القوام

كان أبو إسحاق السَّبيعي – رحمه الله – يقول: "يا معشر الشَّباب، جدُّوا واجتهدوا، وبادروا قوَّتكم، واغتنِموا شبيبتَكم قبل أن تعجزوا، فإنَّه قلَّ ما مرَّت عليَّ ليلة إلاَّ قرأت فيها بألف آية".

وكان عبدالواحد بن يزيد – رحِمه الله – يقول لأهله في كل ليلة: "يا أهلَ الدَّار، انتبهوا – أي: من نومكم – فما هذه – أي: الدنيا – دار نوم، عن قريب يأكلُكم الدود".

وقال محمد بن يوسف: كان سفيان الثَّوري – رحِمه الله – يُقيمنا في اللَّيل ويقول: "قوموا يا شباب، صلُّوا ما دمتم شبابًا، إذا لم تصلُّوا اليوم، فمتى؟!".

انه ثلث القدر والرفعة

قال أحمد بن حرب: "يا عجبًا لِمن يعرف أنَّ الجنَّة تُزَيَّن فوقه، وأنَّ النَّار تسعَّر تحته، كيف ينام بيْنهما؟!".

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

فلنستدرك ما مضى بما بقى وما تبقى من ليال أفضل مما مضى

العنصر الثاني لماذا العشر الأواخر من رمضان؟

معاشر الصائمين: فإن سألتم لماذا العشر الأواخر من رمضان؟

الجواب بحول الملك الوهاب: اعلم علمني الله تعالى وإياك – أن الله تعالى جعل للعشر من الخصائص والمزايا ما ليس لغيرها من سائر الليالي وهاك بيان ذلك

١-أن فيها ليلة القدر، التي قال الله عنها: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٣-٥]. وقال فيها: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: ٣، ٤]. أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكاتبين كل ما هو كائن في تلك السنة من الأرزاق والآجال والخير والشر، وغير ذلك من أوامر الله المحكمة العادلة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ».([٣٥٦])

قال الإمام النخعي: "العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها".

من خصائص هذه العشر الاعتكاف فيها، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وهو ثابت بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾

عن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ ([٣٥٧])

عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- يَعْتَكِفُ كُلَّ رَمَضَانَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِى قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. "([٣٥٨])

٢-الأن الأعمال بالخواتيم: فمن أحسن في أول الشهر ثم أصابه الفتور واستولى عليه الشيطان فترك قراءة القران وهجر المسجد وصلاة التراويح وكلت نفسه عن الطاعة فهذا من الخاسرين

ومن اجتهد و جد في العشر الأواخر غفر الله تعالى له ما كان من تقصير فمن افطر قبل الغروب بلحظات فقد فسد صومه و خاب سعية و و من احدث قبل الصلاة فسدت صلاته لان الكريم اجرى سنة في خلقه إن الأعمال بالخواتيم

كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين {يُؤْتُونَ مَآتَوا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠].

رُوي عن علي رضي اللّه عنه، قال: " كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧] ".

---

[٣٥٦] – أخرجه ابن ماجه (٥٢٦/١ ، رقم ١٦٤٤) قال المنذري (٦٠/٢) : إسناده حسن .

[٣٥٧] – أخرجه البخاري في: ٣٣ كتاب الاعتكاف: ١ باب الاعتكاف في العشر الأواخر

[٣٥٨] – أخرجه : البخاري ٦٧/٣ (٢٠٤٤) .

وعن الحسن قال: " إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا ". فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون

العنصر هدي النبي العدنان في العشر الأواخر من رمضان

للعشر الأواخر من رمضان عند النبي –صلى الله علية وسلم – و أصحابه أهمية خاصة ولهم فيها هدى خاص ، فقد كانوا أشد ما يكونون حرصاً فيها على الطاعة . والعبادة والقيام والذكر ولنتعرف في هذه الدقائق على أهم الأعمال التي كان يحرص عليها الأولون وينبغي علينا الاقتداء بهم في ذلك :

أولا: فمن أهم هذه الأعمال : { أحياء الليل } فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر أحياء الليل وأيقظ أهله وشد مئزر([٣٥٩])

ومعنى إحياء الليل : أي استغرقه بالسهر في الصلاة والذكر و غيرهما ، وقد جاء عند النسائي عنها أنها قالت : لا اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة ولا قام ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً قط غير رمضان } فعلى هذا يكون أحياء الليل المقصود به أنه يقوم أغلب الليل ، ويحتمل أنه كان يحي الليل كله كما جاء في بعض طرق الحديث .

امنع جفونك أن تذوق مناماً ... وذر الدموع على الخدود سجاما
وأعلم بأنك ميِّتٌ ومحاسب ... يا من على سخط الجليل أقاما
لله قومٌ أخلصوا في حبه ... فرضي بهم واختصهم خُداما
قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهم ... باتوا هنالك سُجداً وقياما

ثانيا ومن الأعمال الجليلة في هذه العشر: إيقاظ الرجل أهلة للصلاة.

و لقد كان النبي – صلى الله عليه و سلم–يعمل على إيقاظ الأهل للصلاة و يحثهم على ذلك لتنالهم الرحمات و تصيبهم النفحات لا كحالنا في العشر الأواخر من رمضان حيث تعمر الأسواق و ينشغل الناس عن هذه العشر بإعداد الأطعمة و الأشربة و الملابس استعدادا للعيد و ينسون في غمرة ذلك يوم الوعيد و ينسون أن من أراد المفاخر فعليه بالطاعة في العشر الأواخر

تأملوا حال نبيكم يا رعاكم الله الله كيف كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي،

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ([٣٦٠])

---

[٣٥٩] – أخرجه الحميدي (١٨٧). وأحمد (٦/٤٠).والبخاري (٣/٦١)

[٣٦٠] – أخرجه الحميدي (١٨٧). وأحمد (٦/٤٠).والبخاري (٣/٦١))

قال سفيان الثوري: " أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يطرق فاطمة وعلياً ليلاً عن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: {وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤] (٣٦١)

وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يُوتر. وورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة، ونضح الماء في وجهه.

وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: " الصلاة الصلاة "، ويتلو هذه الآية: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢].

وكانت امرأة أبي محمد حبيب الفارسي تقول له بالليل: " قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا ".

يا نائماً بالليل كم ترقد قم ياحبيبي قد دنا الموعد

وخُذ من الليل وأوقاته ورِداً إذا ما هجع الرّقد

من نام حتى ينقضي ليله ثم يبلغ المنزل أو يجهد

ثالثا ـ ومن الأعمال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر شد المئزر كما في الصحيحين والمعنى أنه يعتزل النساء في هذه العشر وينشغل بالعبادة والطاعة وذلك لتصفو نفسه عن الأكدار والمشتهيات فتكون أقرب لسمو القلب إلى معارج القبول وأزكى للنفس لمعانقة الأجواء الملائكية وهذا ما ينبغي فعله للسالك بلا ارتياب.

رابعا ـ الاعتكاف

تلك السنة التي ما تركها النبي – صلى الله عليه و سلم–منذ هاجر من مكة إلى المدينة

تلك السنة التي أصبحت تحارب باسم الإرهاب في بعض البلاد الإسلامية

تلك السنة التي يوضع من يقوم بها في الخانة السوداء و يصنف على أنه متطرف أو إرهابي أو متشدد

في حين أن الخمارات و البارات و دور الملاهي التي تفرز كل قبيح لا رقيب و لا حسيب عليها

---

٣٦١ –أخرجه أحمد (١/ ٧٧ ، رقم ٥٧١) ، والبخارى (٦ /٢٧١٦ ، رقم ٧٠٢٧) ، ومسلم (١/٥٣٧ ، رقم ٧٧٥)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكِف العشرَ الأواخر من رمضان، حتى توفَّاه الله عَزَّ وجَلَّ وتَركه مرة، فقضاه في شوَّال، واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير، يلتمس ليلةَ القدر، ثم تبيَّن له أنَّها في العشر الأخير، فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عَزَّ وجَلَّ وكان يأمر بخباءٍ فيُضرب له في المسجد يخلُو فيه بربه عَزَّ وجَلَّ.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ فَاعْتَكَفَ عَامًا حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَهِىَ اللَّيْلَةُ الَّتِى يَخْرُجُ فِيهَا مِنَ اعْتِكَافِهِ قَالَ « مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِى فَلْيَعْتَكِفِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا وَقَدْ رَأَيْتُنِى أَسْجُدُ مِنْ صَبِيحَتِهَا فِى مَاءٍ وَطِينٍ فَالْتَمِسُوهَا فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وَالْتَمِسُوهَا فِى كُلِّ وِتْرٍ ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَمُطِرَتِ السَّمَاءُ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَبْصَرَتْ عَيْنَاىَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبِيحَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ. ([٣٦٢])

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» ([٣٦٣])

قال الإمام الزهري رحمة الله عليه: عجباً للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي صلى الله عليه وسلم (ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل) .

ومن أسرار الاعتكاف صفاء القلب والروح إذ أن مدار الأعمال على القلب كما في الحديث (إلا و أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)

فمعنى الاعتكاف وحقيقته:

قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلمَّا قويت المعرفة بالله، والمحبَّة له، والأنس به أورثتْ صاحبَها الانقطاعَ إلى الله تعالى بالكلية على كلِّ حال.

كان بعضُهم لا يزال منفردًا في بيته، خاليًا بربه، فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: ((أنا جليسُ مَن ذَكَرني)).

أَوْحَشْتَنِي خَلَوَاتِي بِكَ مِنْ كُلِّ أَنِيسِي
وَتَفَرَّدْتُ فَعَايَنْ تُكَ بِالْغَيْبِ جَلِيسِي"

خامسا : زيادة الصدقات وإطعام الطعام لضمان الغرف وإجبار النقص:

---

[٣٦٢] – أخرجه البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (١١٦٧)، والنسائي (١٢٨١) وله (٣٣٢٨)

[٣٦٣] – لبخاري "٢٠٢٦" ومسلم "١١٧٢" "٥".

معاشر الصائمين: و من الأعمال المشروعة التي شرعها لنا الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم–المسارعة إلى الصدقات و المنافسة في قضاء الحاجات فنحن عباد الله تفتح فيه أبواب الجنان و قد دلنا النبي –صلى الله عليه وسلم–على أسباب دخولها عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ، قَالَ: فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: هِيَ لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: هِيَ لِمَنْ طَيَّبَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَفْشَى السَّلَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. ([٣٦٤])

و في ختام العشر فرض علينا زكاة هي طهرة لصيامنا من اللغو و الرفث و طعمة و توسعة للمساكين و الفقراء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ. " ([٣٦٥])

أما جود النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن سمت روحه و نهلت من معين جود الجواد –جل جلاله– فلا بد أن يتصف بصفاته و هي الجود فقد كان نبيك – صلى الله عليه وسلم – من أجود الناس فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ "([٣٦٦])

ما قال لاء إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وإنما كان جوده صلى الله عليه وسلم في رمضان خاصةً أكثر لثلاثة أسباب:

السبب الأول: لمناسبة رمضان، فإنَّ رمضان شهر تضاعف فيه الحسنات،

وترفع فيه الدرجات، فيتقرب فيه العبيد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

السبب الثاني: كثرة قراءته صلى الله عليه وسلم للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله،

والتقلل من الدنيا والزهد فيها والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب الإنسان لأن ينفق في سبيل الله، وحري بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله.

السبب الثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى جبريل في كل ليلة،

---

[٣٦٤] – أخرجه الترمذي (٣٥٤/٤ ، رقم ١٩٨٤) ، وأحمد (١٥٥/١ ، رقم ١٣٣٧) ، وأبو يعلى (٣٣٧/١ ، رقم ٤٢٨)

[٣٦٥] – أخرجه أبو داود (١١١/٢ ، رقم ١٦٠٩) ، وابن ماجه (٥٨٥/١ ، رقم ١٨٢٧)

[٣٦٦] – البخاري (١٩٠٢) و (٤٩٩٧) ، ومسلم (٢٣٠٨) ، والترمذي في "الشمائل" (٣٤٦) ، وابن خزيمة (١٨٨٩)

ولقاؤه لجبريل من باب مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان وتحث على الطاعة، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصدقة في رمضان.

صور مِن كرم النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وجوده:

لقد مثَّل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجُود والكَرَم، فكان أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير مِن الرِّيح المرسلة.

(وقد بلغ صلوات الله عليه مرتبة الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم).

عن أنسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عَلَى الإسْلاَمِ شَيْئاً إلا أعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّداً يُعطِي عَطَاءَ مَن لا يَخْشَى الفَقْر، وَإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إلا يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإسْلاَمُ أحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ".([٣٦٧])

سابعا :الإكثار من الدعاء و سؤال العفو و العافية

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: " تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي " ([٣٦٨])

قال ابن كثير رحمه الله: (ويستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات. وفي شهر رمضان أكثر. وفي العشر الأخير منه. ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني")

والعفو من أسماء الله تعالى وهو: المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم على بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه وعفوه أحب إليه من عقوبته.

قال يحي بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه، لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه.

في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الدعاء ، دون غيره في هذه الليلة المباركة [ليلة القدر، كما دلّ على ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] يدل دلالة واضحة على أهميته، فالعفو هو سؤال اللَّه عز وجل التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه. قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى: ((العفو، عفو اللَّه عز وجل عن خلقه، وقد يكون بعد العقوبة وقبلها، بخلاف الغفران، فإنه لا يكون معه عقوبة البتة))

---

[٣٦٧] – أخرجه : مسلم ٧٤/٧ (٢٣١٢) (٥٧) .

[٣٦٨] – أخرجه : ابن ماجه (٣٨٥٠) ، والترمذي (٣٥١٣) .

قوله: ((تحب العفو)) أي أن اللَّه تعالى يحب أسماءه وصفاته، ويحب من عبيده أن يتعبَّدوه بها، والعمل بمقتضاها وبمضامينها [ويحب اللَّه تعالى العفوَ من عباده بعضهم عن بعض فيما يحب اللَّه العفو فيه]. وهذا المطلب في غاية الأهمية، وذلك أن الذنوب إذا تُرِكَ العقاب عليها يأمن العبد من استنزال اللَّه تعالى عليه المكاره والشدائد، حيث إن الذنوب والمعاصي من أعظم الأسباب في إنزال المصائب، وإزالة النعم في الدنيا، أما الآخرة فإن العفو يترتب عليه حسن الجزاء في دخول النعيم المقيم

يا رب عبدك قد أتاك. وقد أساء وقد هفا

يكفيه مـــــنك حياؤه من سوء ما قد أسلفا

حمل الذنوب على الذنوب الموبقات وأسرفا

وقد استجار بذيل عفوك من عقابك ملحفا

رب اعف و عافه فلأنت أولى من عفا

الدرس الحادي والعشرون

عشر: مضان شهر الانتصارات

أمة العزة والإباء رمضان شهر انتصارات المسلمين في معاركهم الحاسمة وذلك على مدار التاريخ فغزوة بدر كانت في رمضان وفتح مكة كان في رمضان وعين جالوت كانت في رمضان وغيرها من المعارك الحاسمة ونحن في هذا الشهر وفي ذكرى تلك المعارك الفاصلة العظيمة أو أن أقف بكم مع السبب الأساسي للنصر وليس أي نصر إنه نصر أمة الإسلام

الناصر هو الله: إن الله سبحانه وهو الناصر والنصير لأوليائه وأهل طاعته ومنه يستجلب النصر قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ.}

وَمِنْهَا النَّصِيرُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}

فهو الذي يدافع عن أهل طاعته وحملة رسالته قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: ٣٨]

يقول السعدي رحمه الله–" هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر –بسبب إيمانهم–من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر". ([٣٦٩])

مجالات النصر في رمضان

أخي المسلم: أما مجالات النصر في رمضان فهي عديدة يرفع فيها الصائم راية النصر فيها كلها وهاك بيانها:

المجال الأول الانتصار على النفس

أول المجالات وأعظمها ولا تحقق المجالات الأخرى بدونه ألا وهو مجال الانتصار على النفس لأن النفس هي الميدان الأول للمجاهدة وقد أخبرنا الله تعالى بخطورة النفس وأنها أمارة بالسوء فقال الله تعالى {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣]

---

[٣٦٩] – تفسير السعدي (ص: ٥٣٩)

فالصائم قد الجم نفسه بلجام التقوى وساقها بسوط الخوف من الله تعالى والزمها طريق الاستقامة فالنفس التي كانت تحدثه بالعصية قد كُبح جماحها و اطمئنة لأمر ربها فلا تراها إلا خاشعة وجلة يحدوها الأمل في الرضا و الفوز بالجنة فهي كما نراها في أحوال الصائمين مسارعة للخيرات مواظبة على الجمع و الجماعات وتاركة للمحرمات،

يقول سُفْيان الثوري –رحمه الله تعالى –: "ما عَالَجْتُ شيئًا أشد عليَّ من نفسي: مرة لي؛ ومرة علي"([٣٧٠])

وكان عمر –رضي الله عنه –يُخَاطِب نفسه، ويَقْهَرها حتى لا تَجْمح به، فتُخْرِجه عن الجادَّة. دخل –رضي الله عنه –حائطًا فبدأ يُخَاطِب نفسه ويحاسبها، قال أنس –رضي الله عنه –: فسمعته يقول: "عمر بن الخطاب أمير المؤمنِينَ، بَخٍ بَخٍ، واللهِ يا ابن الخطاب لتَتَّقِيَنَّ الله، أو ليُعَذِّبَنَّك"([٣٧١])

إن الإنسانَ قد يُجَاهِد غيره؛ لكنه يَنْسَى نفسه التي تحتاج إلى جِهَاده، فيَذَرُها تركب هواها، وتنالُ مطلوبها، ولا يَحْسب أنها تحتاج إلى مجاهدة؛ بل قد يُنْكِر ذلك، ويرى أنه على أحسن حال، أو على الأقل ليس أَسْوَأَ الناسِ، وهذا يُقْعِدُه عن المجاهدة، فيسير في الرَّدى، ويُوشِك أن يهلك. وفي هذا المعنى قال علي –رضي الله عنه –: "أولُ ما تُنكِرُون من جِهادِكُم أنفُسُكم"([٣٧٢])

ولما سأل رَجُلٌ عبدَالله بن عمر –رضي الله عنهما –عن الجِهَاد قال –رضي الله عنه –: "ابْدَأْ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغْزها"([٣٧٣])

ويقول أيضًا: "عالَجْتُ كل شيء؛ فما عَالَجْتُ أصعب من مُعَالَجَة نفسي، وما شيء أهون عليَّ منها"([٣٧٤])

الميدان الثاني: الانتصار على الشيطان

---

[٣٧٠] – [الحلية ٥/٧ – ٦٢].

[٣٧١] – [الموطأ ٩٩٢/٢].

[٣٧٢] – [جامع العلوم والحكم ١٩٦/١].

[٣٧٣] – [جامع العلوم والحكم ١٩٦/١].

[٣٧٤] – [الحلية: ٣٦/١٠، وصفة الصفوة ١٠٧/٤].

ومن أروع الانتصارات انتصار الصائم على عدوه اللدود الذي لا يتوانى في إغرائه وإيقاعه في المعصية وقد أعلنها منذ اللحظة الأولى فقال {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: ٨٢، ٨٣]

وها هو قد قعد لك بالمرصاد على شتى الطرق عن سَبْرَة بن أبي فَاكِه –رضي الله عنه –قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم –يقول: ((إن الشيطانَ يقعد لابن آدم بأَطْرُقِه، قعد في طريق الإسلام، فقال: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دينك ودين آبائك، وآباء آبائك؟ فعَصَاه وأسْلَم، وقعد له بطريق الهِجْرة، فقال: تُهَاجِر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مَثَلُ المُهاجِر؛ كمثل الفَرس في الطِّوَل، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجِهَاد، فقال: تُجَاهِد؟ فهو جَهْدُ النفس والمال، فتُقاتل فتُقْتَل؛ فتُنْكَحُ المرأةُ، ويُقْسَم المال؟! فعصاه فجاهد))، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((فمَنْ فَعَل ذلك كان حقًّا على الله أن يُدْخِلَه الجنة، وإن غَرِق كان حقًّا على اللهِ أن يُدْخِلَه الجنة، أو وقَصَتْهُ دابته كان حقًّا على الله أن يُدْخِلَهُ الجنة))([٣٧٥])

ومن فضل الله تعالى ومنه على عباده الصائمين أن سلسل مردة الشياطين في شهر رمضان لتسهل عليهم المجاهدة والطاعة فمن كان يزن له الشيطان سماع الغناء قد تركه واقبل على القران ومن كان يزين له الشيطان النظر إلى المحرمات غض بصره وحصن فرجه فخنس الشيطان واندحر وانتصر بذلك المسلم

الميدان الثالث: الانتصار على العادات

أما الميدان الثالث فهو ميدان العادات والتقاليد التي تعود عليه المسلم في غير رمضان فثار المسلم ثورته على كل عادة سيئة فابدلها بطاعة حسنة مقربه

فتأمل لمن تعود التدخين وشرب الشيشة تلك العادات المحرمة التي يهلك الإنسان فيها نفسه ويضيع ماله كيف انتصر عليها وصبر على البعد عنها أليس ذلك انتصارا للصائم على عادته؟

إنها الإرادة القوية والعزيمة الصلبة

الانتصارات على الكفرة والمشركين

[٣٧٥] – رواه أحمد ٤٨٣/٣، والنسائي ٢١/٦، وصححه ابن حبان ٤٥٩٣.

الميدان الأخير و هو مترتب على الميادين الثلاثة سالفة الذكر هو الانتصار على الكفرة و المشركين، و هو نتيجة حتمية لما مضى ذكره و هذا ما قرره الله تعالى في كتابه بقوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } [محمد: ٧]

يقول سيد قطب – رحمه الله–

وكيف ينصر المؤمنون الله، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت؟

إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئاً، شركاً ظاهراً أو خفياً، وألا تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها ، ونشاطها كله وخلجاتها . . فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

وإن لله شريعة ومنهاجاً للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة. ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة.

ثم يقول: فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان، وبين الحق والضلال. فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة. للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر. وفي عدم التراخي بعده والتهاون. وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء. ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء. وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر. ولعل هذا هو ما تشير إليه عبارة القرآن. والعلم لله.

وإن الناظر في تاريخ امتنا المجيدة ليرى أن شهر رمضان هو شهر الانتصارات التي غيرت مجرى التاريخ

أول حلقة في سلسلة الانتصارات الرمضانية، وأول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين، معركة الفرقان بين الحق والباطل، هي غزوة بدر الكبرى، التي وقعت بالقرب من ماء بدر، صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان ٢هـ (١٣ مارس ٦٢٤م). ورغم قلة عدد المسلمين مقابل المشركين، فقد كان النصر حليفًا لهم، وخرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم. وقد قال الله تعالى في شأنها: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (آل عمران: ١٢٣).

وفي رمضان كان الفتح الأعظم لاعظم بقعة خلقها الله تعالى على يدي اعظم مخلوق و افضل موجود – صلى الله عليه وسلم– كان فتح مكة ،فبعد ستة أعوام من الحلقة الرمضانية الأولى، والانتصار الرمضاني الأول، كانت الحلقة الثانية، وهي فتح مكة، بقيادة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ، فبعد أن غدرت قريش ونكثت العهد الذي أبرمته في صلح الحديبية بمساعدتها قبيلة بكر على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين كان لابد من نجدة خزاعة وإذلال الشرك والمشركين في العام الذي سُمي بعام الفتح.

وصار النبي –صلى الله عليه وسلم– على رأس جيش المسلمين إلى مكة، وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل من المسلمين، وقسم الرسول ص المسلمين إلى فرق، ورسم لكل فرقة خطة دخول مكة، ولم يلق جيش المسلمين أي مقاومة، ونجح في الاستيلاء عليها دون قتال يُذكر في ٢٠ رمضان ٨هـ (١١ يناير٦٣٠م)، ودخل الرسول الكريم ص مكة منتصرا ومطهرا لبيت الله الحرام من الأوثان، ورفع بلال من فوق الكعبة نداء الحق: الله أكبر...، وتم بذلك تطهير مكة من الأصنام، وتم القضاء على الوثنية وأعلنت فيها وحدانية الله، وأعز الله دينه ورسوله وجنده، وأنقذ بلده الأمين، وطهر بيته الحرام، الذي جعله هدى للعالمين، من دنس الكفار والمشركين، وكان هذا الفتح تتويجاً لجهود النبي ص في الدعوة، وإيذانًا بسيادة الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وارتفاع كلمة الحق والإيمان، ونزل فيه قول الحق عز وجل {إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (النصر: ١–٣).

وفي ٨ رمضان ٩هـ (١٨ ديسمبر ٦٣٠م) كانت غزوة تبوك أو العسرة على حدود الأراضي البيزنطية، وهناك أعلنت القبائل العربية خضوعها للمسلمين، واكتفى الرسول الخاتم ص بذلك، ولم يتوغل المسلمون في أراضي الدولة البيزنطية، وقد ترتب على هذه الموقعة اتساع رقعة الدولة الإسلامية لدرجة أنها عمت كل أرجاء بلاد العرب.

أما أبرز المعارك التي انتصر فيها المسلمون إبان عصر الخلفاء الراشدين، فهي معركة القادسية، على الضفة الغربية لنهر الفرات، التي وقعت في شعبان واستمرت إلى رمضان ١٦هـ (٦٣٧م) بين المسلمين والفرس، وكان قائد المسلمين الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وبلغ جيش المسلمين فيها نحو عشرة آلاف، وكان قائد الفرس رستم ذا الحاجب، ويتكون جيشه من مائة وعشرين ألف مقاتل، وقد مات المثنى بن حارثة الذي جرح في موقعة الجسر قبل المعركة، ومن الصحابة الذين كانوا يساعدون سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن خويلد، الذي كان قد

ادَّعى النبوة ثم تاب وأناب، وقبيل المعركة تم الاتصال بين المسلمين والفرس بُغية الوصول إلى اتفاق يمنع الحرب، ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة، فقامت المعركة، وهي من المعارك المهمة في تاريخ الصراع بين المسلمين والفرس، فرَّ فيها رستم وعشرات الآلاف من جنوده إلى المدائن عاصمة الساسانيين، وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة.

وفي ٩ رمضان ٢١٢هـ (١ ديسمبر ٨٢٧م) فتح المسلمون صقلية على يد القائد زياد بن الأغلب، حيث نزل المسلمون على شواطئها واستولوا عليها لينشروا الإسلام بها.

ثم كانت المعركة التي أنقذت الإسلام والمسلمين، المعركة التي قامت أمة الإسلام بعدها من غفلتها واختلافها، وقامت تحت قيادة واحدة، هذه المعركة هي معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ (٣ سبتمبر ١٢٦٠م) واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

وفي ٤ رمضان ٩٢٧هـ (٨ أغسطس سنة ١٥٢١م)، فتح السلطان العثماني مدينة بلجراد، التي تعد مفتاح أوروبا الوسطى، وعقبة في طريق التقدم العثماني إلى قلب أوروبا: فيينا وبودابست والقسطنطينية، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصرها العثمانيون ثلاث مرات: ١٤٤١ و١٤٥٦ و١٤٩٢م، ولم يتمكنوا من فتحها إلا في عهد السلطان سليمان القانوني، وبعدها تدفق العثمانيون إلى أوروبا كالسيل الجارف.

وفي ١٠ رمضان ١٣٦٣هـ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م)، عبر الجيش المصري قناة السويس وحطم خط بارليف وألحق الهزيمة بالقوات الصهيونية، في يوم من أيام العرب الخالدة التي سطرها التاريخ في أنصع صفحاته بأحرف من نور؛ ففي هذا اليوم وقف التاريخ يسجل مواقف أبطال حرب أكتوبر الذين تدفقوا كالسيل العرم يستردون أرضهم، ويستعيدون كرامتهم ومجدهم؛ فهم الذين دافعوا عن أرضهم وكافحوا في سبيل تطهيرها وإعزازها، فضربوا بدمائهم وحفظوا لأنفسهم ذكرًا حسنًا لا ينقطع، وأثرًا مجيدًا لا يمحى، هؤلاء الأبطال الذين خشعت لذكرهم الأصوات، وأجمعت على فضلهم القلوب، لأنهم قضوا نحبهم لحفظ مجد مغتصب، ولطلب حق مسلوب، ذلك اليوم المجيد من أيام التجلي الأعظم، وقف

الله فيه مع جنوده المخلصين يشد أزرهم، ويقوي عزائمهم، ويثبت أقدامهم، ويرد كيد عدوهم، ويقذف فيه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

الدرس الثاني والعشرون

رمضان شهر الرحمة

اعلم –علمني الله وإياك –: أن من صفات شهر رمضان أنه شهر الرحمة ويا لها من صفة قد انصبغ ذلك الشهر بها فهي رحمة عامة ورحمة شاملة رحمة.... فهيا لنتعرف على هذه الصفة عن كثب

إن من السمات التي يتصف بها ديننا الحنيف " الرحمة "، فالرحمة ظل وارف على كافة مبادئ الإسلام وتشريعاته وتعاليمه.

والرحمة صبغة ظاهرة في القرآن الكريم تتجلى في أحكامه وتوجيهاته كما تتجلى في لفظه وبيانه.

لقد أنزل الله كتابه العظيم هداية ورحمة للمؤمنين ، قال تعالى : {الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ} [لقمان: ١ – ٣] وقال سبحانه : {وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ٧٧]، وقال سبحانه : " {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]. فالقرآن كتاب رحمة كما هو كتاب هداية للناس.

الرحمة لغةً: الرقّة، والتّعطّف، والرأفة، وما تقع به الرحمة كالغيث، والمطر، والرحمة اصطلاحاً: إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفس المعطي، وهي من صفات الله تعالى من محبته لعباده، قال تعالى: (مّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِن رّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [فاطر: ٢].

دلائل رحمة الله في آيات الصيام

و هيا لنتعرف على مظاهر الرحمة في آيات الصيام يقول الله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) } [البقرة: ١٨٣ – ١٨٦]

أولا: أن الله تعالى افترضه علينا كما افترضه على الأمم من قبلنا: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } و في ذلك تسلية للمسلم أن هذا الأمر ليس فيه بأوحد بل قد فرض على الأمم السالفة أيضا

يقول الفخر الرازي – رحمه الله–يعني هذه العبادة كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم، ما أخلى الله أمة من إيجابها عليهم لا يفرضها عليكم وحدكم وفائدة هذا الكلام أن الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق إذا عم سهل تحمله. ([٣٧٦])

يقول ابن عاشور – رحمه الله–

والغرض الثاني أن في التشبيه بالسابقين تهوينا على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم فإن في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب، فهذه فائدة لمن قد يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده في الإسلام من الإيمان ولمن يستثقله من قريبي العهد بالإسلام، وقد أكد هذا المعنى الضمني قوله بعده: أياما معدودات. ([٣٧٧])

ثانيا: أن الله تعالى ما افترضه علينا طوال العام أو اشهرا عديدة بل افترضه علينا أياما معدودات تعد عدا و في ذلك تخفيفا على الأمة و رحمة بهم { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ}

قال ابن كثير: بين الله مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس، فتضعف عن حمله وأدائه، بل أياما معدودات " ثم ذكر أن الصيام كان في أول الإسلام أياما معدودات من كل شهر ثم نسخ بصيام شهر رمضان ([٣٧٨])

ثالثا: أن الله تعالى أسقطه عن المرضى والمسافرين وأصحاب الأعذار رحمة ورأفة بهم

قال تعالى {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}

إبقاء على رخصة الفطر للمريض والمسافر، مع قضاء ذلك الصوم في أيام أخر بعد زوال العذر. وقد تكرر ذكر هذا الحكم لئلا يتوهم نسخه بعد فرض الصوم ورفع الرخصة بالفطر والإطعام.

---

[٣٧٦] – تفسير الفخر الرازي (ص: ٧٦٠)

[٣٧٧] – التحرير والتنوير (٢/ ١٥٧)

[٣٧٨] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (١/ ٤٩٧)

فالمرض والسفر يصيب المسلم بالمشقة والله تعالى رفع عن هذه الأمة الحرج والأغلال التي كانت على الأمم السابقة قال تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ} [الحج: ٧٨]

فمن كان مريضا ولا يستطيع الصوم لمرض عارض فان الله تعالى رحمة به شرع ورخص له الفطر ثم القضاء بعد أن يعافيه الله تعالى

أما إن كان مريضا مرضا مزمنا دائما فالله تعالى أسقط عنه الصوم وشرع له الفدية

والسفر قطة من العذاب فهو يجلب المشقة على المسافر فاذا كان المسلم مسافرا لحاجة فان الله تعالى خفف عنه وشرع له الصوم

وكذلك الشيخ الكبير أسقط عنه الصوم رحمة به وأوجب عليه الفدية

رابعا بين سبحانه تعالى لنا سعة رحمته بعباده الصائمين فقال سبحانه {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}

تقرير لقاعدة شرعية عامة كلها رحمة ورأفة ولطف؛ فالله عز وجل يريد التيسير والتخفيف على العباد في كل ما يشرعه ويأمر به وإن كان ظاهر بعض العبادات غير ذلك أحيانا. ومن غاية الرحمة واللطف أن تأتي هذه القاعدة الشرعية العامة في ثنايا أحكام الصيام فهي تضفي على الآيات ظلال المودة ونسمات الأنس بمحبة الله اللطيف الرؤوف بعباده المؤمنين. إذ إن هذه القاعدة تنفي كل ما قد يخامر القلب من إحساس بثقل هذه العبادة التي كلف بها. وتزرع الثقة بأن كل أحكام الله يسر ومرحمة، وأن الله سبحانه لا يشرع ما فيه العسر والمشقة على العباد، كيف يكون ذلك وهو أرحم الراحمين ؟!

قال ابن سعدي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله. وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهَّله تسهيلا آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات.

هذه القاعدة الربانية من أعظم دلائل رحمة الله. وكونها في ثنايا آيات الصيام دليل آخر على رحمته سبحانه.

خامسا : إباحة الأكل و الجماع ليلا : و من كمال الرحمة الربانية انه سبحانه وهو العليم الخبير الذي يعلم مدى ضعف الإنسان و عدم صبره عن البعد عن شهوته الحلال فشرع لهم سبحانه الليل

ليقضوا فيه رغبتهم و يحفظوا فيه أبصارهم و لا يختانوا أنفسهم{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧]

يمتن الله على عباده برحمته لهم ورأفته بهم ، حيث تاب عليهم وعفا عنهم فيما وقع منهم من مخالفة شرعية في عهد التشريع الأول . فقد وقع بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في ذلك حين جامع بعضهم زوجته بعد نوم أو بعد العشاء. فصارحهم ربهم بما وقع منهم وبادرهم بالتوبة والعفو.

هذه بعض شواهد الرحمة الربانية التي تبينت لي في آيات الصيام في سورة البقرة، رحمة في الأحكام والتشريعات، ورحمة في الألفاظ والصيغ. ورحمة في المعاني والإيحاءات. تعاقبت في الآيات فظللتها بظلال من المودة واللطف والرأفة.

والمؤمن الذي يستشعر هذه الرحمة في وجدانه يخف عنده الإحساس بمشقة الصيام وتعبه. بل يحب هذه العبادة وتسعد روحه بظمأ الهواجر وتضور البطون. لأنه يتفيأ فيها رحمة الله البر الكريم الرؤوف الرحيم.

الدرس الثالث والعشرون

كيف تنال رحمة الله

إن الله تعالى هو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فبرحمته خلقنا وبرحمته رزقنا وبرحمته عافانا وأطعمنا وسقانا وكسانا وآوانا، وبرحمته هدانا للإسلام والإيمان والعمل الصالح، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وبرحمته دفع عنا شر البلايا والمحن، وبرحمته أنزل المطر وأنبت النبات، وبرحمته يدخل عباده المؤمنين الذين عملوا الصالحات الجنة، وبرحمته ينجيهم من النار، فالأمور كلها برحمة الله ، والعبد في غاية الضرورة والافتقار لرحمة الله ولا يستغني عنها طرفة عين، لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»([٣٧٩]).

فيا لسعادةَ من تغمده الله برحمته ويا لتعاسةَ من طرد من رحمة الله ومغفرته. وإليك أيها القارئ الكريم عشرة أسباب جالبة لمحبة الله، وهي:

١ ـ الإحسان في عبادة الله والإحسان مع الناس: فأداء العبادة وإكمالها وإتقانها ومراقبة الله فيها، بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه، والإحسان إلى الناس بما يستطيع بالقول والفعل والمال والجاه، كل ذلك يقرب الإنسان من رحمة ربه، قال تعالى {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦].

٢ ـ ومن أهم أسباب الرحمة أيضا تقوى الله تعالى وطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه: بما في ذلك إيتاء الزكاة إلى مستحقيها والإيمان بآيات الله واتباع رسوله فيما أمر به ونهى عنه، قال تعالى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]

---

[٣٧٩] – مسند أحمد ط الرسالة (١٣/ ٣١) وأخرجه مسلم (٢٨١٦) (٧٥)

٣ ـ ومن أسباب رحمة الله بعبده: رحمة مخلوقاته من الآدميين والبهائم، عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يَبْلُغُ بِهِ النَّبِىَّ –صلى الله عليه وسلم– «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ » ([٣٨٠])

، ويتأكد ذلك في حق الفقراء والمساكين والمحتاجين، والجزاء من جنس العمل.

٤–ومن أسباب الرحمة: الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله: قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨] فهؤلاء المؤمنون رجوا رحمة الله بعد أن علموا موجبات الرحمة وهي الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله ، والهجرة تشمل الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وترك ما نهى الله عنه ورسوله، كما قال عليه الصلاة والسلام:(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) ([٣٨١]) .

والجهاد يشمل جهاد النفس في طاعة الله، كما يشمل جهاد الشيطان بمخالفته والعزم على عصيانه وجهاد الكفار.

٥ ـ ومن أسباب الرحمة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم: كما قال تعالى: ({وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: ٥٦]

يقول السعدي – رحمه الله– :يأمر تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهرا وباطنا، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممن ذكرهم الله لمصرف الزكاة، فهذان أكبر الطاعات وأجلهما، جامعتان لحقه وحق خلقه، للإخلاص للمعبود، وللإحسان إلى العبيد، ثم عطف عليهما الأمر العام، فقال: { وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } { لَعَلَّكُمْ } حين تقومون بذلك { تُرْحَمُونَ } فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة.([٣٨٢])

---

[٣٨٠] – أخرجه أبو داود (٤/٢٨٥ ، رقم ٤٩٤١) ، والبيهقي (٩/٤١ ، رقم ١٧٦٨٣) ، وأحمد (٢/١٦٠ ، رقم ٦٤٩٤)

[٣٨١] – أخرجه البخاري (١/١٣ ، رقم ١٠) ، وأبو داود (٣/٤ ، رقم ٢٤٨١) ،

[٣٨٢] – تفسير السعدي (ص: ٥٧٣)

٦ ـ ومن أسباب الرحمة دعاء الله بحصولها باسمه الرحمن الرحيم أو غيره من أسمائه الحسنى: كأن تقول: يا رحمن ارحمني، اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شي أن تغفر لي وترحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ومن ذلك الدعاء الوارد في قوله تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} [الكهف: ١٠] ، قال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون: ١١٨]

٧ ـ ومن أسباب الرحمة اتباع القرآن الكريم والعمل به: ولذلك يقول الله تعالى في محكم التنزيل الناسخ للتوراة والإنجيل: {هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام: ١٥٥] فالقرآن رحمة من عند الله بأحكامه وأوامره ونواهيه.

٨ ـ ومن أسباب الرحمة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: ١٣٢]

وأطيعوا الله والرسول فيما نهيا عنه من أكل الربا وما أمرا به من الصدقة لعلكم ترحمون في الدنيا بما تفيدكم الطاعة من صلاح حال مجتمعكم، وفي الآخرة بحسن الجزاء على أعمالكم ؛ فإن الراحمين يرحمهم الرحمن

وفي المقابل فإن معصية الله ومعصية رسوله من أعظم موانع رحمة الله.

٩ ـ ومن أسباب الرحمة الاستماع والإنصات لتلاوة القرآن الكريم: قال تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤] وهذا من أعظم الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها سامع القرآن، وهي تدل على تعظيم شعائر الله.

يقول محمد رشيد رضا– رحمه الله :هذه دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن ، والحصانة من نزغ الشيطان ، وهي الاستماع له إذا قرئ ، والإنصات مدة القراءة ، والاستماع أبلغ من السمع ، ولأنه إنما يكون بقصد ونية وتوجيه الحاسة إلى الكلام لإدراكه ، والسمع ما يحصل ولو بغير قصد([٣٨٣])

١٠ ـ ومن أسباب الرحمة الاستغفار وطلب المغفرة من الله: قال تعالى:

---

[٣٨٣] – تفسير المنار (٩/ ٤٦١)

{قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦] فهذه كانت جملة من الأسباب التي تجلب رحمة الله، والذي ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يأخذوا بها ويعملوا بمقتضاها لتنزل عليهم النفحات الربانية والرحمات الإلهية ، فنسأل الله أن يرحمنا برحمته وأن يعفو عنا بعفوه، إنه جواد كريم وهو أرحم الراحمين، وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والعشرون

رمضان شهر الاعتكاف

أخي السلم ...أختي المسلمة: إن من صفات شهر رمضان أنه شهر الاعتكاف فالاعتكاف فيه له فضيلة ليست لغيره من الشهور والأيام فهو من سنن سيد الأنام–صلى الله عليه وسلم–التي واظب عليها وما تركها صلى الله عليه وسلم

فيها لنتعرف على تلك الصفة وعلى طرف من أحكامها وآدابها

أولا: تعريف الاعتكاف

هو لزوم المسجد بنية مخصوصة، لطاعة الله تعالى: وهو مشروع مستحب باتفاق أهل العلم

فالاعتكاف في الشرع: لزم مسجد لعبادة الله تعالى من شخص مخصوص على صفة مخصوصة.

قال شيخ الإسلام: "لو قيل: لعبادة الله تعالى كان أحسن –أي بدلاً من طاعة الله تعالى –فإن الطاعة موافقة الأمر، وهذا يكون بما هو في الأصل عبادة كالصلاة، وبما هو في الأصل غير عبادة، وإنما يصير عبادة بالنية، كالمباحات كلها بخلاف العبادة فإنها التذلل للإله سبحانه وتعالى"([٣٨٤]).

وقال شيخ الإسلام: "ولما كان المرء لا يلزم ويواظب إلا من يحبه ويعظمه، كما كان المشركون يعكفون على أصنامهم وتماثيلهم، ويعكف أهل الشهوات على شهواتهم شرع الله لأهل الإيمان أن يعكفوا على ربهم سبحانه وتعالى.

وأخص البقاع بذكر اسمه سبحانه والعبادة له بيوته المبنية لذلك، فلذلك كان الاعتكاف لزوم المسجد لطاعة الله" ([٣٨٥]).

تاريخ الاعتكاف

والاعتكاف من الشرائع القديمة، كما قال تعالى: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة: ١٢٥].

وقال تعالى: {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧]

وقال تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ} [آل عمران: ٣٧]

---

[٣٨٤] – شرح العمدة ٢/٧٠٨.

[٣٨٥] – شرح العمدة ٢/٧٠٨.

قال شيخ الإسلام: "ولأن مريم عليها السلام قد أخبر الله سبحانه أنها جعلت محررة له، وكانت مقيمة في المسجد الأقصى في المحراب، وأنها انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً، وهذا اعتكاف في المسجد واحتجاب فيه". ([٣٨٦])

ولحديث ابن عمر (في نذر عمر أن يعتكف ليلة في الجاهلية، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-(: "أوف بنذرك". ([٣٨٧]).

بيان حكمته

أما حكمة شرعية الاعتكاف فبينها ابن القيم رحمه الله بقوله: "لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفاً على جمعيته على الله، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القل لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثاً، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، أو يعوقه ويوقفه: اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحدث سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم" ([٣٨٨]).

والحكمة من تخصيصه العشر الأواخر من رمضان، فقد بينها التماس ليلة القدر، كما في حديث أبي سعيد الخدري (، أن النبي (: "اعتكف الشعر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم أطلع

---

[٣٨٦] – شرح العمدة ٧٤٨/٢.

[٣٨٧] – أخرجه البخاري، في الاعتكاف، باب الاعتكاف ليلاً (ح٢٠٣٢)، ومسلم، في الأيمان، باب نذر الكافر (ح١٦٥٦).

[٣٨٨] – زاد المعاد ٨٦/٢-٨٧. وانظر: الفتاوى الهندية ٢١٢/١، والشرح الصغير للدردير ٢٥٩/١، وسبل السلام ١٧٤/٢.

رأسه فكلم الناس فدنوا منه، فقال: إني أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل: إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف فاعتكف الناس معه...". ([٣٨٩]).

ويمكن أن نجمل أهداف ومقاصد الاعتكاف في النقاط التالية:

– تحري ليلة القدر.

– الخلوة بالله عز وجل، والانقطاع عن الناس ما أمكن حتى يتم أنسه بالله عز وجل وذكره.

– إصلاح القلب، ولم شعثه بإقبال على الله تبارك وتعالى بكليته.

– الانقطاع التام إلى العبادة الصرفة من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن.

– حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس والشهوات.

– التقلل من المباح من الأمور الدنيوية، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها.

أدلة مشروعية لاعتكاف الكتاب والسنة وآثار الصحابة والإجماع.

أولا من الكتاب: اعلم بارك الله فيك: أن القران الكريم قد دل على مشروعية الاعتكاف فالله تعالى امر إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام – بتطهير البيت الحرام وبين من بين تلك الأسباب الاعتكاف قال تعالى: (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ((سورة البقرة: آية ١٢٥.).

وقوله تعالى: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ((سورة البقرة: آية ١٨٧.).

فإضافة الاعتكاف إلى المساجد المختصة بالقربات، وترك الوطء المباح لأجله دليل على أنه قربة.

أدلة مشروعيته من السنة المطهرة

[٣٨٩] – أخرجه البخاري، في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر (ح٢٠١٨)، ومسلم –واللفظ له –في الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٦٧) (٢١٥).

أما السنة فقد دلت على مشروعيته فقد كان صفوت البشرية — صلى الله عليه وسلم–يعتكف ويحض أصحابه على الاعتكاف

فكثيرة؛ منها: حديث عائشة (قالت: "كان رسول الله (يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده". ([٣٩٠]).

وأما الإجماع:

قال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً إلا أن يوجبه المرء على نفسه نذراً فيجب عليه". ([٣٩١]).

ولم يرد في فضل الاعتكاف شيء من الأحاديث الثابتة عن النبي (قال أبو داود في مسائله: "قلت لأحمد تعرف في فضل الاعتكاف شيئاً؟ قال: لا، إلا شيئاً ضعيفاً"(٥٤).

وقد روى ابن عباس (أن رسول الله (قال في المعتكف: "هو الذي يعكف الذنوب ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها". ([٣٩٢]).

وروى أبو الدرداء مرفوعاً: "من اعتكف ليلة كان له كأجره عمرة، ومن اعتكف ليلتين كان له كأجر عمرتين."، ([٣٩٣]).

هديه صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف:

وهديه صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف كان أكمل هدي، وأيسره، فكان إذا أراد أن يعتكف وُضع له سريره وفراشه في مسجده صلى الله عليه وسلم، وبالتحديد وراء أسطوانة التوبة كما جاء في الحديث عن نافع عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّهُ كَانَ إِذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ، أَوْ يُوضَعُ لَهُ سَرِيرُهُ وَرَاءَ أُسْطُوَانَةِ التَّوْبَةِ» ([٣٩٤])

---

[٣٩٠] – أخرجه البخاري في الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح٢٠٢٦)، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٧٢).

[٣٩١] – الإجماع ص٥٣.

[٣٩٢] – أخرجه ابن ماجه في الاعتكاف، باب في ثواب الاعتكاف (ح١٧٨١)،

[٣٩٣] – عزاه شيخ الإسلام في شرح العمدة ٧١٢/٢ إسحاق بن راهويه.

[٣٩٤] – ابن ماجة (١٧٧٤). قال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) ٢/ ٨٤: هذا إسناد صحيح رجاله موثقون. وضعفه الألباني، كما في ((صحيح ابن خزيمة)) ٣/ ٣٥٠ (٢٢٣٦).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب له خباء مثل هيئة الخيمة ، فيمكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية ، وكان ذلك في المسجد ، ومن المتوقع أن يضرب ذلك الخباء على فراشه أو سريره ، وذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء، فيصلي الصبح، ثم يدخله؛ فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها فضربت خباء؛ فلما رأته زينب ابنة جحش ضربت خباء آخر؛ رأى الأخبية فقال ما هذا فأخبر فقال النبي ؟ آلبر (آلبر) ترون (تردن) بهن فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرا من شوال) ([٣٩٥])

وكان دائم المكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان، من بول أو غائط ، وذلك للحديث فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف أدنى إلي رأسه وهو في المسجد فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان " ([٣٩٦])

وكان صلى الله عليه وسلم يؤتي إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه كما أراد ذلك سالم بقوله : (أما طعامه وشرابه فكان يؤتى به إليه في معتكفه »

وكان صلى الله عليه وسلم يحافظ على نظافته ، إذْ كان يخرج رأسه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لكي ترجّل له شعر رأسه ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا كَانَتْ تُرَجِّلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ حَائِضٌ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا يُنَاوِلُهَا رَأْسَهُ»([٣٩٧])

قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز التنظيف والتطيب والغسل والحلق والتزين إلحاقاً بالترجل ، والجمهور على أنه لا يكره فيه إلا ما يكره في المسجد)([٣٩٨])

وكان صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، وذلك من أجل التركيز والانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل، ففي الحديث عن عائشة أنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ بالمريض وهو معتكف، فيمرّ كما هو ولا يُعرِّج يسأل عنه)([٣٩٩]) وأيضا عن عروة أنها قالت : (السنّة

---

[٣٩٥] – أخرجه البخاري في: ٣٣ كتاب الاعتكاف: ٦ باب اعتكاف النساء

[٣٩٦] – رواه البخاري ٤/ ٨٠٨ فتح الباري.

[٣٩٧] – رواه البخاري ٨٠٧/٤ فتح الباري

[٣٩٨] –فتح الباري ٨٠٧/٤

[٣٩٩] – سنن أبي داود (٢/ ٣١٠) وقال الألباني: ضعيف

على المعتكف أن لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس امرأة ، ولا يباشرها ، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع) ([٤٠٠])

وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم يزرْنه في معتكفه ، وحدث أنه خرج ليوصل إحداهن إلى منزلها ، وكان ذلك لحاجة إذ كان الوقت ليلاً ، وذلك كما جاء في الحديث علي بن الحسين – رضي الله عنهما – أنَّ صَفِيَّةَ زَوجَ النبي – صلى الله عليه وسلم – – ورضي الله عنها – قالت : كان النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – معتكفًا ، فأتيتُه أزُورُه لَيلاً ، فحدَّثتُهُ ثم قُمْتُ لأنْقَلِبَ ، فقام معي ليقْلِبَني ، وكان مَسكنُها في دارِ أسامَةَ بن زيدٍ ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلمَّا رأيا النبي – صلى الله عليه وسلم – أسرعا ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «على رِسْلِكُما ، إنَّها صفيةُ بنتُ حُيَيّ» فقالا : سُبْحان الله ، فقال : «إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدمِ ، وإني خشيتُ أن يَقْذِفَ في قلوبكما شرًا»([٤٠١]).

فرأى صلى الله عليه وسلم أن خروجه معها رضي الله عنها أمر لا بد منه في ذلك الليل، فخرج معها من معتكفه، ليوصلها إلى بيتها.

وخلاصة القول: أن هديه صلى الله عليه وسلم في اعتكاف كان يتسم بالاجتهاد، فقد كان جل وقته مكث في المسجد، وإقبال على طاعة الله عز وجل، وترقب لليلة القدر.

أركان الاعتكاف:

النية: لحديث عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، يقول : ((إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه))([٤٠٢])

المكث في المسجد: كما في قوله تعالى {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة: ١٢٥] وفي هذا تأكيد على أن مكان الاعتكاف هو المسجد، ودلّ على ذلك

---

[٤٠٠] – رواه أبو داود/ ٣٣٣/٢.

[٤٠١] – أخرجه: البخاري ٦٤/٣ (٢٠٣٥)، ومسلم ٨/٧ (٢١٧٥) (٢٤) .

[٤٠٢] – أخرجه: البخاري ٢/١ (١) ، ومسلم ٤٨/٦ (١٩٠٧)

أيضاً فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده أزواجه وصحابته رضوان الله عليهم، ففي الحديث عن يونس بن زيد أن نافعاً حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان (٤٠٣)

قال الإمام الدهلوي – رحمه الله– ولما كان الاعتكاف في المسجد سببا لجمع الخاطر وصفاء القلب والتفرغ للطاعة والتشبه بالملائكة والتعرض لوجدان ليلة القدر اختاره النبي صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر وسنه للمحسنين من أمته ، قالت عائشة رضي الله عنها : السنة على المعتكف ألا يعود مريضا ، ولا يشهد جنازة ولا يمس المرأة ، ولا يباشرها ، ولا يخرج إلا لحاجة إلا ما لا بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع أقول وذلك تحقيقا لمعنى الاعتكاف ، وليكون الطاعة لها بال ومشقة على النفس ومخالفة للعادة ، والله أعلم . (٤٠٤)

قال نافع: وقد أراني عبد الله رضي الله عنه المكان الذي يعتكف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد) (٤٠٥)

مكانه وزمانه وبداية وقته:

مكان الاعتكاف المسجد كما دلت عليه الآية في قوله تعالى: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة: ١٨٧] ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحابته رضوان الله عليهم اعتكفوا في المساجد، ولم يرد عن أحد منهم أنه اعتكف في غير المسجد.

وأما بالنسبة لزمانه فإذا كان في رمضان فآكد وقته العشر الأواخر منه، ويجوز في أي وقت في رمضان وغيره، فهو لا يختص بزمن معيّن ، بل مستحب في جميع الأوقات ، ويجب إذا ألزم نفسه بنذر ، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام . قال : (أوف بنذرك) (٤٠٦)

---

٤٠٣ – أحمد (٩٢/٦) . والبخاري (٦٢/٣)

٤٠٤ – حجة الله البالغة (ص: ٥٣٤)

٤٠٥ – أخرجه مسلم ٣٠٨/٨.

٤٠٦ – أخرجه أحمد (٢٠/٢) (٤٧٠٥) والبخاري (٦٣/٣)

وأما بالنسبة لبداية وقته فقبل غروب الشمس لمن أراد أن يعتكف يوماً وليلة أو أكثر وقال بعض العلماء يدخل معتكفه فجرا.

آداب الاعتكاف

للاعتكاف آداب يستحب للمعتكف أن يأخذ بها حتى يكون اعتكافه مقبولاً وكلما حافظ عليها المعتكف كان له الأجر الجزيل من رب العالمين وكلما أخل بهذه الآداب نقص أجره .

ومن آداب الاعتكاف ما ذكره ابن قدامة في المغني:

يستحب للمعتكف التشاغل بالصلاة وتلاوة القرآن وبذكر الله تعالى ونحو ذلك من الطاعات المحضة ويجتنب مالا يعينه من الأقوال والفعال ولا يُكثر الكلام لأن من كثر كلامه كثر سقطه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ " ([٤٠٧])

ويجتنب الجدال والمراء والسباب والفحش فإن ذلك مكروه في غير الاعتكاف ففيه أولى ولا يبطل الاعتكاف بشي من ذلك ولا بأس بالكلام لحاجة ومحادثة غيره ([٤٠٨]).

وروى عبد الرزاق عن علي قال: من اعتكف فلا يرفث في الحديث ولا يساب ويشهد الجمعة والجنازة وليوص أهله إذا كانت له حاجة، وهو قائم ولا يجلس عندهم. ([٤٠٩])

وأما إقراء القرآن وتدريس العلم ودرسه ومناظرة الفقهاء ومجالستهم وكتابة الحديث فقد اُختلف فيه. فعند الإمام أحمد أنه لا يستحب ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فلم ينقل عنه الاشتغال بغير العبادات المختصة به.

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله إن رجلاً يُقرئ في المسجد وهو يريد أن يعتكف ولعله أن يختم في كل يوم فقال:

إذا فعل هذا كان لنفسه وإذا قعد في المسجد كان له ولغيره يقرئ أحب إلي. ([٤١٠])

---

[٤٠٧] – أخرجه الترمذي (٤/٥٥٨ رقم ٢٣١٧) وقال: غريب. وابن ماجه (٢/١٣١٥، رقم ٣٩٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٥٥، رقم ٤٩٨٧). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١/٤٦٦، رقم ٢٢٩) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٩١١ في صحيح الجامع

[٤٠٨] – يستحب للمعتكف التشاغل بالصلاة

[٤٠٩] – مصنف عبد الرزاق (٤/ ٣٥٦)

[٤١٠] – الشرح الكبير على متن المقنع (٦٨٢) (٣/ ١٥٠)

وذهب الشافعي كما في المغني: إلى استحباب لأنه أفضل العبادات ونفعه يتعدى.

والقول ما ذهب إليه الإمام أحمد وهو الأفضل والله أعلم.

الدرس الخامس والعشرون

أعمال تعدل الجهاد في سبيل الله

ذكر أن الجهاد من أفضل الأعمال

اعلم بارك الله فيك أن الجهاد في سبيل الله تعالى من افضل الأعمال كما اخبرنا سيد الرجال — صلى الله عليه وسلم– عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ([411]) أخرجاه في الصحيحين

عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصّلاة وصام رمضان كان حقّا على الله أن يدخله الجنّة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه الّتي ولد فيها» . فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشّر النّاس؟ قال: «إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله

[411] – أخرجه مسلم (٩٠/١ ، رقم ٨٥) . وأخرجه أيضا : أحمد (٤١٨/١ ، رقم ٣٩٧٣) ، والبخاري (٢٧٤٠/٦ ، رقم ٧٠٩٦)

للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنّه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرّحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنّة») ([٤١٢])

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ وَيُزَوَّجُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ] ([٤١٣])

السعي على خدمة الأرملة والمسكين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ» ([٤١٤])

ولذلك كان عبد الله –كما يقول أبو بكر بن حفص – لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم، لابد أن يدعو يتيماً في كل وجبة من وجبات طعامه ليأكل معه إحساناً إلى اليتامى.

فإذا أردت أن تجاهد في سبيل الله فأد حق اليتامى والمساكين والأرامل.

والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: (كافل اليتيم له أو لغيره معي كهاتين في الجنة).

قال بعض العلماء: إنما فضل النبي صلى الله عليه وسلم السعي على الأرامل والأيتام بهذا الفضل لأن النفع متعدٍ، ومثل اليتيم والأرملة لا يجد من يعينه إلا الله جل جلاله، فإذا أهَّل الإنسان نفسه للسعي عليهم وتفريج كرباتهم والإحسان إليهم كان ذلك من أعظم الخير والبر.

بر الوالدين

، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ ، فَقَالَ: " أَحَيٌّ أَبَوَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: " فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ " ([٤١٥]).

(ففيهما فجاهد) ابذل جهدك في إرضائهما وبرهما فيكتب لك أجر الجهاد في سبيل الله تعالى]

العمل على الصدقة

---

[٤١٢] – أخرجه أحمد (٣٣٩/٢ ، رقم ٨٤٥٥) ، والبخاري (١٠٢٨/٣ ، رقم ٢٦٣٧) وابن حبان (٤٧١/١٠ ، رقم ٤٦١١)

[٤١٣] – مسند أحمد" (١٧١٨٢) و (١٧٧٨٣). أخرجه الترمذي (١٦٤٠)

[٤١٤] –أخرجه أحمد (٣٦١/٢ ، رقم ٨٧١٧) ، والبخاري (٢٠٤٧/٥ ، رقم ٥٠٣٨) ، ومسلم (٢٢٨٦/٤ ، رقم ٢٩٨٢)

[٤١٥] – أخرجه البخاري "٥٩٧٢" في الأدب: باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين عن مسدد، ومسلم "٢٥٤٩"

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الْعَامِلُ فِي الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ " "(٤١٦) رواه أحمد

العمل والتكسب لإعفاف النفس والعيال وبر الوالدين

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» (٤١٧)

الحج والعمرة

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ أَبِيهِ، قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «حَجُّ الْبَيْتِ» (٤١٨)

رواه الطبراني وصححه الألباني. وروى الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني جبان وإني ضعيف. فقال: " هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج" (٤١٩)

مجاهدة النفس

روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه"(٤٢٠)

---

٤١٦ – مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ١٤٧) أخرجه عبد بن حميد في "المنتخب" (٤٢٣)

٤١٧ – أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٩/١٩ ، رقم ٢٨٢) ، وفى الأوسط (٥٦/٧ ، رقم ٦٨٣٥) ، صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٩٢

٤١٨ – أخرجه الطبراني (٣١٤/٢٤ ، رقم ٧٩٢) ،

٤١٩ – انظر صحيح الجامع: ٢٦١١ ، ٧٠٤٤ ، صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٩٨

٤٢٠ – أخرجه أيضاً : أبو نعيم في الحلية (٢٤٩/٢) ، والرافعي (١٣٣/٣) ، والديلمى (١٢٧/١/١) كما فى السلسلة الصحيحة (٤٨٣/٣ رقم ١٤٩٦)

عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ "([٤٢١])

الدرس السادس والعشرون

رمضان شهر الزكاة

ومن صفات شهر رمضان أنه شهر الزكاة وهكذا سماه عثمان بن عفان رضي الله عنه ونهايته زكاة الفطر التي يشارك المسلمون فيها الإحساس بفرحة العيد، فلا يدع أحداً منهم إلا واساه، حتى فقرائهم يخرجون صدقة الفطر إن قدروا.

والزكاة في رمضان ليست زكاة أموال وإنما هي زكاة أبدان فهي قد شرعت لتطهير الصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وإليك بيان ذلك:

تعريف زكاة الفطر هي: الزكاة التي سببُها الفطر من رَمضان، وتُسمَّى أيضًا صدقة الفطر، وبكلا الاسمَيْن وردت النصوص.

[٤٢١] – أخرجه الترمذي (١٦٥/٤ ، رقم ١٦٢١) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (٤٨٤/١٠ ، رقم ٤٦٢٤)

وسُمِّيت صدقة الفطر بذلك لأنها عند الفطر عطيَّةٌ يُراد بها المثوبة من الله، فإعطاؤها لمستحقِّيها في وقتها عن طيب نفس يُظهِر صدقَ الرغبة في تلك المثوبة، وسُمِّيت زكاة لما في بذلها خالصةً لله من تزكية النفس وتطهيرها من أدرانها، وتنميتها للعمل، وجبرها لنقصه.

تاريخ مشروعيَّتها والدليل عليها:

أخي المسلم لقد فرضت زكاة الفطر في السنة الثانية من الهجرة؛ أي: مع رَمضان، وقد دَلَّ على مشروعيَّتها عمومُ القرآن، وصريحُ السُّنة الصحيحة، وإجماع المسلمين؛ قال -تعالى-: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾[الأعلى: ١٤]؛

قال عكرمة -رحمه الله- في الآية: "هو الرجل يقدِّم زكاته بين يدي -يعني: قبل- صلاته" ([٤٢٢])

أي: العيد، وهكذا قال غيرُ واحدٍ من السَّلَف -رحمهم الله- في الآية هي زكاة الفطر.

ورُوِي ذلك مرفوعًا إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- عند ابن خزيمة وغيره، وقال مالك -رحمه الله-: هي -يعني: زكاة الفطر- داخلةٌ في عموم قوله -تعالى-: ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وثبَت في الصحيحين وغيرِهما من غيرِ وجهٍ: "فرَض رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- زكاةَ الفطر"([٤٢٣])

وأجمَعَ عليها المسلِمون قديمًا وحديثًا، وكان أهلُ المدينة لا يرَوْن صدقةً أفضل منها.

حكمها:

حكى ابن المنذر وغيرُه الإجماع على وجوبها، وقال إسحاق -رحمه الله-: "هو كالإجماع".

قلت: ويَكفِي في الدلالة على وجوبها مع القدرة في وقتها تعبيرُ الصحابة -رضِي الله عنْهم- بالفرض، كما صرَّح بذلك ابن عمر وابن عباس؛ قال ابن عمر -رضِي الله عنْهما-: "فرَض رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- زكاةَ الفطر..." الحديث، وبنحوه عبَّر غيرُه -رضِي الله عنْهم. ([٤٢٤])

حكمة مشروعيَّتها:

---

[٤٢٢] - تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢)

[٤٢٣] - أخرجه مالك «الموطأ» (١٩٠). وأحمد (٦٣/٢) (٥٣٠٣). والدارمي (١٦٦٨. والبخاري (١٦١/٢) ومسلم (٦٨/٣)

[٤٢٤] - نبذة في زكاة الفطر (ص: ٢)

اعلم علمني الله وإياك: أن زكاة الفطر شُرِعَتْ تَطهيرًا للنفس من أدرانها، من الشح وغيره من الأخلاق الرَّدِيئة، وتَكمِيلاً للأجر، وتنميةً للعمل الصالح، وتَطهِيرًا للصيام ممَّا قد يُؤثِّر فيه ويُنقِص ثوابَه من اللغو والرفث ونحوهما، ومُواسَاة للفُقَراء والمساكين، وإغناءً لهم عن ذلِّ الحاجة والسؤال يوم العيد.

فعن ابن عباسٍ مرفوعًا: "فرَض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر طُهرَةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين" رواه أبو داود والحاكم وغيرُهما. ([٤٢٥])

* وفيها إظهارُ شكر نعمة الله –تعالى –على العبد بإتمام صيام شهر رَمضان وما يَسَّر من قيامه، وفعل ما تيسَّر من الأعمال الصالحة فيه.

* وفيها إشاعة المحبَّة والمودَّة بين فِئات المجتمع المسلم.

أمر الزكاة عظيم وأثرها الاجتماعي على الأمة المسلمة كبير، فهي وسيلة عملية فعالة في سد حاجة المحتاج وعلاج لمشكلة الفقر في المجتمع المسلم بشكل يكاد يكون جذريا، وبطريقة ميسرة كل التيسير في حين نرى عجز الأنظمة الأرضية التي وضعها المصلحون والمفكرون في شعوب العالم عن علاج هذه المشكلة، كما عالجها الإسلام، وتحقق الأخوة الإيمانية الصادقة التي لا تتحقق عند غير المسلمين، وتظهر نظاما تكافليا ربانيا ليس له على وجه الأرض ند ولا نظير، حيث يعطف فيه الغني على الفقير، ويحترم الفقير الغني، وتبنى فيه العلاقة على أساس المودة والرحمة، ولا وجود فيه للأمراض الفتاكة كالحسد والبغض والكراهية، لأن كل واحد فيه أدى ما يجب عليه عن طواعية ورضا نفس " .

على مَن تجب الفطرة؟

ثم اعلموا عباد الله: زكاة الفطر زكاة بدن، فتجب على كلِّ مسلم ذكَرًا كان أو أنثى، حُرًّا كان أو عبدًا، وسواء كان من أهل المدن أو القرى أو البوادي، بإجماع مَن يُعتَدُّ بقوله من المسلمين.

ومن أدلَّة وجوبها حديثُ ابن عمر –رضِي الله عنْهما –قال: "فرَض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر صاعًا من تمرٍ أو صاعًا من شعير، على العبد والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمَر بها أنْ تُؤدَّى قبلَ خروج الناس إلى الصلاة"؛ متفق عليه. ([٤٢٦])

---

[٤٢٥] – أخرجه أبو داود (١١١/٢، رقم ١٦٠٩)، وابن ماجه (٥٨٥/١، رقم ١٨٢٧). وأخرجه أيضًا: الحاكم (٥٦٨/١، رقم ١٤٨٨) وقال: صحيح على شرط البخاري

[٤٢٦] – سبق تخريجه

ونحو هذا الحديث ممَّا فيه التصريحُ بالفرض والأمر، وإنما تجب على الغني، وليس المقصود بالغنيِّ في هذا الباب الغني في باب زكاة الأموال، بل المقصود به في زكاة الفطر مَن فضل عنده صاعٌ أو أكثر يومَ العيد وليلته من قوته وقوت عياله، ومَن تجب عليه نفقَتُه.

أنواع الأطعمة التي تخرُج منها زكاة الفطر

ثبَت في الصحيح عن أبي سعيدٍ الخدري –رضِي الله عنه –قال: "كُنَّا نُعطِيها –يعني: صدقة الفطر –في زمان النبي –صلى الله عليه وسلم–صاعا من طعام، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من الزبيب))؛ ([٤٢٧]) متفق عليه

فالأفضل الاقتصارُ على هذه الأصناف المذكورة في الحديث ما دامَتْ موجودةً، ويُوجَد مَن يَقبَلُها ليَقتات بها، فيُخرِج أطيَبَها وأنفَعَها للفقراء؛ لما في البخاري أنَّ ابن عمر –رضِي الله عنْهما –كان يُعطِي التمر.

وفي "الموطأ" عن نافع كان ابن عمر لا يُخرِج إلا التمر في زكاة الفطر، إلا مرَّة واحدة فإنَّه أخرج شعيرًا لَمَّا أعوز أهل المدينة من التمر –يعني: لم يوجد في المدينة –فأعطى شعيرًا"

وفي هذا تنبيهٌ على أنَّه ينبَغِي أن يُخرِج أطيبَ هذه الأصناف وأنفَعَها للفقراء والمساكين، ومذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور أنَّ البُرَّ أفضلُ ثم التمر؛ قال –تعالى –:﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[آل عمران: ٩٢]، فإخراجها من أحد هذه الأصناف إذا وجد مَن يَقبَلُه ليَقتات به أفضل؛ لأنَّ فيه موافقةً للسُّنة واحتِياطًا للدين، فإن لم توجد فبقيَّة أقوات البلد سواها.

وذهَب بعضُ أهلِ العلم وهو قولُ مالكٍ والشافعي وأحمد وغيرهم إلى أنَّه يُجزئ كلُّ حبٍّ وثمرٍ يُقتات، ولو لم تعدم الخمسة المذكورة في الحديث، وهو اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، واحتجَّ له بقوله –تعالى –:﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩]، وبقوله –صلى الله عليه وسلم–: ((صاعًا من طعام))، والطعام قد يكون بُرًّا أو شعيرًا، وقال: "هو قولُ أكثر العُلَماء، وأصحُّ الأقوال، فإنَّ الأصل في الصدقات أنها تجب على وجه المساواة للفقراء".

[٤٢٧] – أخرجه مالك في «الموطأ» (١٩١). وأحمد (٧٣/٣) الدارمي (١٦٧١). والبخاري (١٦١/٢). ومسلم (٦٩/٣)

وقال ابن القيِّم –رحمه الله –: "وهو الصواب الذي لا يُقال بغيره؛ إذ المقصود سَدُّ خلَّة المساكين يومَ العيد، ومواساتهم من جنس ما يقتات أهل بلدهم؛ لقوله –صلى الله عليه وسلم–((أغنوهم في هذا اليوم عن الطواف)). ([٤٢٨])

المقدار الواجب في الفطرة:

ثبَت في الأحاديث الصحيحة أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– ((فرَض زكاةَ الفطر صاعًا))، والمراد به صاعُ النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو أربعة أمداد، والمدُّ ملء كفَّي الرجل المتوسِّط اليدين من البر الجيِّد ونحوه من الحبِّ، وهو كيلوان ونصف على وجه التقريب، وما زاد على القدر الواجب فهو من الصدقة العامَّة؛ وقد قال – تعالى –: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧].

بعد البحث وجدت أن صاع الأرز = ٢,٥ كيلو جرام تقريبًا، وبما أن الكيلة = ٦ صاع، إذن تكون كيلة الأرز = ٦ (صاع) × ٢,٥ (كيلو) = ١٥ كيلو جرام تقريبًا

أي أن كيلة الأرز = ١٥ كيلو جرام، وهي أدق طريقة لحساب كيلة الأرز بالكيلو جرام و بذلك تكون الكيلة تكفي لستة أفراد

وقت إخراج الزكاة:

لإخراج زكاة الفطر وقتان: الأوَّل: وقتُ فضيلة، ويبدأ من غروب الشمس ليلةَ العيد إلى العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد؛ لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر –رضِي الله عنْهما –قال: "فرَض رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر..." الحديث، وفيه قال: وأمَر أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة"، وتَقدَّم تفسيرُ بعض السَّلَف لقوله –تعالى –:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾[الأعلى: ١٤ –١٥]، أنَّه الرجل يُقدِّم زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته.

الثاني: وقتُ إجزاء، وهو قبل العيد بيومٍ أو يومين؛ لما في "صحيح البخاري –رحمه الله" قال: "وكانوا " يعني: الصحابة –يعطون –أي: المساكين –قبلَ الفطر بيومٍ أو يومين))، فكان إجماعًا منهم. ([٤٢٩])

---

[٤٢٨] – إعلام الموقعين (٣/ ١٢)

[٤٢٩] – خرجه البخاري "٣/٤٣٩"، كتاب الزكاة: باب صدقة الفطر على الحر والمملوك، حديث "١٥١١".

وفي حديث ابن عباس –رضِي الله عنْهما –: ((فمَن أدَّاها قبلَ الصلاة فهي زكاةٌ مقبولة، ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقةٌ من الصدقات))؛ رواه أبو داود وغيره. ([٤٣٠])

قال ابن القيِّم –رحمه الله ومقتضى هذين الحديثين: أنه لا يجوزُ تأخيرُها عن صلاة العيد، ([٤٣١])

وقال شيخ الإسلام: "إنْ أخَّرها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تَسقُط بخروج الوقت".

وقال غيرُه: اتَّفَق الفُقَهاء على أنها لا تَسقُط عمَّن وَجبَتْ عليه بتأخيرها، وهي دينٌ عليه حتى يُؤدِّيها، وأنَّ تَأخِيرها عن يوم العيد حرامٌ، ويَقضِيها آثِمًا إجماعًا إذا أخَّرَها عمدًا. ([٤٣٢])

*اختلف الحنفية في تعجيلها قبل وجود سببها الذي هو الفطر من رمضان، فقد روي عن أبي حنيفة أنه يجوز تعجيلها السنة والسنتين، وعن خلف أنه يجوز إخراجها من بداية رمضان، وفي قول آخر عنه أنه يجوز تعجيلها اليوم واليومين، وقال الحسن بن زياد: لا يجوز التعجيل مطلقا، لأنه أداء الواجب قبل وجوبه، وأن ذلك ممتنع كالأضحية قبل يوم النحر. وقال الكاساني بعد أن ذكر هذه الأقوال عن أعلام الحنفية: والصحيح أنه يجوز التعجيل مطلقا. وقال السرخسي: إن المذهب جواز التعجيل للسنة والسنتين

وأجاز المالكية والحنابلة تقديمها على سبب وجوبها بيوم أو يومين ، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يخرجها قبل يوم الفطر بيوم أو يومين

وقال الشافعية: إنه يجوز إخراجها من بداية رمضان، وقد علل النووي هذا القول بقوله: إنها تجب بسببين، وهما صوم رمضان والفطر منه، فإذا وجد أحدهما جاز تقديمها على الآخر، كزكاة المال قبل الحول، وبعد ملك النصاب، ولا يجوز تقديمها على رمضان، لأنه تقديم على السببين معا .

لِمَن تُعطَى صدقة الفطر؟

[٤٣٠] – أخرجه أبو داود (١١١/٢، رقم ١٦٠٩) ، وابن ماجه (٥٨٥/١ ، رقم ١٨٢٧) . وأخرجه أيضًا: الحاكم (٥٦٨/١، رقم ١٤٨٨) وقال : صحيح على شرط البخاري .

[٤٣١] – زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢١)

[٤٣٢] – نبذة في زكاة الفطر (ص: ٥)

أما المستحقون لزكاة الفطر فقد بينهم النبي — صلى الله عليه وسلم–في حديث ابن عباس –رضِي الله عنْهما –قال: "فرَض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين".([٤٣٣])

ففي هذا الحديث أنها تُصرَف للمساكين دون غيرهم، وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله –: "لا يجوز دفعُها إلا لِمَن يستحقُّ الكفَّارة، وهم الآخِذُون لحاجة أنفسهم".([٤٣٤])

ويجوز أن يُعطِي الجماعةُ أو أهل بيت زكاتهم لمسكينٍ واحد، وأن تقسم صدقة الواحد على أكثر من مسكين للحاجة الشديدة، ولكن ينبَغِي أن تُسَلَّم لنفس المسكين أو لوَكِيله المفوَّض في استلامها من قِبَلِه.

إخراج قيمة زكاة الفطر:

اعلم زادك الله علما: أن هذه المسالة فيها خلاف بين العلماء والرأي الذي ترتاح إليه النفس هو جواز إخراج القيمة كما قال بذلك الإمام أبو حنيفة النعمان وسفيان الثوري وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري، وأبو يوسف واختاره من الحنفية الفقيه أبو جعفر الطحاوي وعليه العمل عند الأحناف في كل زكاة وبه قال إسحاق بن راهويه، وأبو ثور ـ عند الضرورة والمقصود بالضرورة الحاجة أو المصلحة الراجحة ـ وغيرهم

فقد جاء في موسوعة فقه سفيان الثوري: لا يشترط إخراج التمر أو الشعير أو البر في زكاة الفطر بل لو أخرج قيمتها مما هو أنفع للفقير جاز لأن المقصد منها إغناء الفقراء عن المسألة وسد حاجتهم في هذا اليوم

عن الحسن، قال: لا بأس أن تعطي الدراهم في صدقة الفطر ([٤٣٥])

وعن أبي إسحاق قال أدركتهم وهم يؤدون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام ([٤٣٦])

وعن عطاء أنه كان يعطي في صدقة الفطر ورقا (دراهم فضية) ([٤٣٧])

---

[٤٣٣] – سبق تخريجه

[٤٣٤] – الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٩١)

[٤٣٥] – مصنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٧٤)

[٤٣٦] – صنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٧٤)

[٤٣٧] – صنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٧٤)

قال النووي في المجموع قال إسحاق وأبو ثور لا تجوز إلا عند الضرورة([٤٣٨])

نقل زكاة الفطر من بلد الشخص إلى بلدٍ آخر

الأصل أنَّ الشخص يَدفَعُ زكاة فطره لفُقَراء البلد الذي يُدرِكه عيد الفطر وهو فيه، وهي إنما تجب بغروب الشمس ليلةَ العيد، ونقلها إلى بلدٍ آخر يُفضِي إلى تأخير تسليمها في وقتها المشروع، وربما أفضى إلى إخراج القيمة، وإلى خَفاء تلك الشعيرة، وجهل الناس بسنَّة النبي –صلى الله عليه وسلم–فيها، ولم يثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم–ولا عن أحدٍ من خُلفائِه الراشدين ولا عن أحدٍ من أصحابه – رضِي الله عنْهم، فيما أعلَمُ –أنهم نقلوها من المدينة إلى غيرها.

وبناءً عليه: فنقلُها في هذا الزمان من مجتمعٍ إلى آخر، والذي يدعو إليه بعض الناس ويُرغِّب فيه – معدودٌ من الأعمال المحدَثة التي يجب الحذَرُ منها والبعدُ عنها، وتنبيه الناس على ما فيه من المخالفة، والله المستعان.

أمَّا كون الإنسان يُوكِّل أهلَه أن يُخرِجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر، فليس من هذا الباب، فإنَّ الكلام في نقل زكوات بعضِ أهل بلدٍ إلى بلدٍ آخَر، فإنَّه هو الذي قد تترتَّب عليه المحاذير السابقة.

هل يجوز إعطاؤها للأخ أو الأخت

اعلم أن هذه المسألة فيها كلام طويل ولكن قال أهل العلم أنه لا بد النظر في درجة قرابة المزكي له، فإن كان أباً للمزكي أو أماً، أو زوجة، أو ابناً، أو بنتاً – وكان ممن يلزمه النفقة عليهم بأن كان موسراً – فلا يجوز الصرف إلى أحد منهم من زكاته

أما سائر الأقارب من أخ وأخت وعم وعمة وخال وخالة ٠٠ الخ، فقد اختلف الفقهاء في دفع الزكاة إليهم بين الجواز والمنع اختلافاً كثيراً ، والراجح في ذلك أنه يجوز إعطاء كل الأقارب إلا من توجب عليه النفقة ، وبمعنى آخر إن كان يرث من المزكي فلا زكاة له ، وإن لم يكن يرث من المزكي فله زكاه ، وهذا قول أكثر أهل العلم ، لما ثبت في الحديث الصحيح : " الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة " " رواه الخمسة إلا أبو داود وهو حديث صحيح "

---

[٤٣٨] _

وقد روى ابن أبي شيبة وأبو عبيد هذا القول عن جماعة من الصحابة والتابعين : فعن ابن عباس قال : يعطى الرجل قرابته من زكاته إذا كانوا محتاجين ([٤٣٩])

وقال سعيد بن المسيب: إن أحق من رفعت إليه زكاتي يتيمي وذو قرابتي ([٤٤٠])

وعليه يجوز دفع الزكاة إلى الأخ ما لم يرث، فإن كان للمزكي أولاد ذكور فإنهم يحجبون العم وبالتالي فيمكن إخراج الزكاة له، أما إن كان له بنات دون الأولاد، ففي هذه الحالة يرث العم وبالتالي لا يجوز إعطاء الزكاة له

أما بالنسبة للأخت والعمة والخالة وهكذا فيجوز إعطاؤهم الزكاة بناء على قول أكثر أهل العلم، والله تعالى أعلم)

هل يجوز أن يعطي الرجل زكاته لابنته المتزوجة:

فأما دفعُ الزكاة إلى البنت فالأصلُ أنه لا يجوز إلا في الحال التي لا تجب فيها نفقتها، كأن يكون الوالد عاجزا عن الإنفاق عليها، أو أن تعطى لوصف آخر غير الفقر كأن كانت غارمة وليس لها ما تقضي به دينها، فيجوزُ له أن يدفع إليها من مال الزكاة، ثم إن البنت إذا كانت تحت زوج ينفقُ عليها فلا يجوزُ دفع الزكاة لها وإن كانت فقيرة لكونها غنية بنفقة زوجها.

قال النووي في المنهاج: والمكفي بنفقة قريب أو زوج ليس فقيرا ولا مسكينا في الأصح. انتهى. ([٤٤١])

وقال ابن قدامة في المغني: وإن كان للمرأة الفقيرة زوج موسر ينفق عليها لم يجز دفع الزكاة إليها، لأن الكفاية حاصلة لها بما يصلها من نفقتها الواجبة فأشبهت من له عقار يستغني بأجرته، وإن لم ينفق عليها وتعذر ذلك جاز الدفع إليها كما لو تعطلت منفعة العقار، وقد نص أحمد على هذا. انتهى. ([٤٤٢])

فإن أعسر الزوج بالنفقة، فهل تجبُ النفقة على الأب؟

في هذا قولان للعلماء، فمذهب المالكية وجوبها عليه

---

[٤٣٩] – مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص: ١٥٠)

[٤٤٠] – مصنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٩١)

[٤٤١] – المنهاج للنووي (ص: ٢٩٧)

[٤٤٢] – المغني –ابن قدامة (٢/ ٥٢٢)

ومذهب الشافعية عدمُ وجوبها عليه.

قال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج: فلو تزوجت — أي الأم أو البنت –سقطت نفقتها بالعقد ولو كان الزوج معسرا إلى أن يفسخ لئلا تجمع بين نفقتين. انتهى.

الدرس السابع والعشرون

رمضان شهر الفرح

أخي المسلم ... أختي المسلمة: من صفات شهر رمضان انه شهر الفرح والسرور فالفرحُ لذةٌ تقع في القلب بإدراك المحبوب، ونيل المشتهى، فيتولّدُ من إدراكه حالةٌ تسمى الفرح والسرور.

كما أن الحَزَنَ والغَمَّ مِنْ فقد المحبوب، فإذا فقده تولد مِنْ فقده حالةٌ تسمى الحزَن والغم.

والفرحُ أعلى نعيمِ القلب ولذتِه وبهجتِه، فالفرحُ والسرورُ نعيمُه، والهمُّ والغمُّ عذابُه.

والفرحُ بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينةٌ وسكونٌ وانشراحٌ.

والفرح لذةٌ وبهجةٌ وسرورٌ، فكل فَرِحٍ راضٍ، وليس كلُّ راضٍ فَرِحًا.

ولهذا كان الفرحُ ضدَّ الحزن، والرضا ضدَّ السخط، والحزنُ يؤلم صاحبَه، والسُّخط لا يؤلمه إلا إذا كان مع العجز عن الانتقام.

اعلم علمني الله وإياك: أن القرآن الكريم يتضمن اثنتين وعشرين آية عرضت للفرح صراحةً، بالإضافة إلى آيات أُخَرَ ألقت بظلالها على هذا الموضوع، يضاف إليها أحاديث نبوية أسهمت في التأصيل الشرعي

تعريف الفرح يقول ابن منظور (والفَرَحُ نقيض الحُزْن وقال ثعلب هو أَن يجد في قلبه خِفَّةً فَرِحَ)([٤٤٣])

ويقول الفيومي في المصباح (ويستعمل في معان أحدها الأشر و البطر وعليه قوله تعالى (إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ) و الثاني الرضا وعليه قوله تعالى (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) والثالث السرور و عليه قوله تعالى (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) ويقال (فَرِحَ) بشجاعته و نعمة الله عليه وبمصيبة عدوه فهذا (الفَرَحُ) لذة القلب بنيل ما يشتهي و يتعدى بالهمزة و التضعيف([٤٤٤])

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله –والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب.([٤٤٥])

أنوع الفرح: اعلم علمني الله وإياك إن الفرح جاء في القران مطلق ومقيد يقول ابن القيم –رحمه الله – (

وقد جاء الفرح في القرآن على نوعين مطلق ومقيد فالمطلق جاء في الذم كقوله تعالى (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)(القصص)

) وقوله (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠)(هود)

والمقيد نوعان أيضا مقيد بالدنيا ينسي صاحبه فضل الله ومنته فهو مذموم كقوله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)(الأنعام)

والثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته وهو نوعان أيضا فضل ورحمة بالسبب وفضل بالمسبب

فالأول: كقوله(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) (يونس)والثاني : كقوله (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)(آل عمران)

---

[٤٤٣] – لسان العرب [جزء ٢ – صفحة ٥٤١]

[٤٤٤] – المصباح المنير [جزء ٢ – صفحة ٤٦٦]

[٤٤٥] – تفسير القرطبي ج ٨ ص ٣١٦

فالفرح بالله وبرسوله وبالإيمان وبالسنة وبالعلم وبالقرآن من أعلى مقامات العارفين قال الله تعالى (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) (التوبة)

وقال (وَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) (الرعد)

فالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له ولا يحزنه فواته

لماذا يفرح الصائم في الدنيا

أولا : ويفرح الصائمون بانتصاراتهم التي حققوها في ذلك الشهر فرمضان ميدان من ميادين الجهاد والصبر فهو جهاد في ترك المباحات التي يألفها المرء في حياته اليومية من طعام وشراب وشهوة وأصعب الجهاد أن يجاهد الإنسان ما ألفه وطبع عليه لذا جاء في الحديث

ثانيا : ويفرح الصائمون :لأنهم انتصروا في ذلك الشهر على الشيطان فنجحوا في ترك الذنوب والمعاصي التي ألفوها في غير شهر رمضان ، فرمضان غير فيهم أشياء كثير

فالذي كان لا يصلي في جماعة لما جاء رمضان واظب على الصلاة في جماعة فوجد لذة وحلاوة العبادة مع الإمام وتعلق قلبه ببيت الله فهو يفرح لان الله تعالى قد هداه إلى ذلك

ثالثا : ويفرح الصائم: الذي كان قاطعا للرحم بينه وبين أخونه عداوة وبغضاء فلما جاء رمضان نبذ العداوة ووصل رحمه٠٠٠٠٠ أيها الصائمون الكرام: لقد تظاهرت نصوص الشرع في عظم شأن الصلة، وفضلها، والتحذير من قطيعتها، قال _تبارك وتعالى_: **(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)(النساء: من الآية١) .**

وقال –عز وجل–: **(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد: ٢٢-٢٣)**

عن جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ "رواه البخاري ومسلم، وقال سفيان في روايته: (يعني: قاطع رحم). (٤٤٦)

---

٤٤٦ – صحيح البخاري – (ج ١٨ / ص ٣٨٣)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (٤٤٧)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد: ٢٢]) (٤٤٨)

وهكذا يتبين لنا عظمُ شأن الصلة، وأنها شعار الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنها سبب في بسط الرزق وطول العمر، وأنها تجلب صلةَ الله للواصل.

ثم إنها من أعظم أسباب دخول الجنة وهي من أسباب تيسير الحساب وتكفير الذنوب، وتعمير الديار، ودفعِ ميتة السوء.

رابعا: ويفرح الصائم لأنه وصل من قطعه وأرغم شيطانه على صلتهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ(٤٤٩)

ومن جميل ما قيل في هذا المعنى قولُ المقنّعِ الكنديِّ يصف حالَه مع قرابته:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمِّي لَمُختلفٌ جِدّا

إذا قدحوا لي نارَ حربٍ بزندهم ... قدحت لهم في كلِّ مكرمةٍ زندا

وإن أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهُمْ ... وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا

ولا أَحْمِل الحقدَ القديمَ عليهمُ ... وليس رئيسُ القومِ مَنْ يَحْمِلُ الحقدا

وأعطيهمُ مالي إذا كنت واجداً ... وإن قلّ مالي لم أكَلِّفْهمُ رِفْدا

ويفرح الصائم أيضا لأنه عفا عمن ظلمه من أقاربه وقبل عذرهم ووص رحمهم

وتأمل فعل الكرام الأخيار مع من أساء إليهم فمن اجل وأروع الأمثلة ما جرى بين يوسف _عليه السلام_ وإخوته، فلقد فعلوا به ما فعلوا، وعندما اعتذروا قَبِلَ عُذْرَهُم، وصَفَحَ عنهم الصفحَ الجميلَ، فلم يقرِّعْهم، ولم يوبِّخْهم، بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم.

---

٤٤٧ – صحيح البخاري – (ج ٧ / ص ٢٢٨)

٤٤٨ -أخرجه أحمد (٣٣٠/٢ ، رقم ٨٣٤٩) ، والبخاري (٢٢٣٢/٥ ، رقم ٥٦٤١) ، ومسلم (١٩٨٠/٤ ، رقم ٢٥٥٤)

٤٤٩ – صحيح مسلم – (ج ١٢ / ص ٤١٢)

بل يحسن بالإنسان أن يصفح عن أقاربه، وينسى معايبهم ولو لم يعتذروا، فهذا دليل سمو النفس، وعلو الهمة.

ومما يجمل فِعْلُه مع الأقارب: بذلُ المستطاعِ لهم من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال، وأن يدعَ المنةَ عليهم، ومطالبتَهم بالمثل فالواصل ليس بالمكافئ والعاقل الكريمُ يوطِّن نفسَه على الرضا بالقليل من الأقارب؛ فلا يستوفي حقه كاملاً، بل يقنع بالعفو وباليسير، حتى يستميلَ بذلك قلوب أقاربه، ويُبْقي على مودتهم.

إذا أنت لم تستبق ودّ صحابةٍ على دَخَنٍ أكثرتَ بثَّ المعايبِ

خامسا: ويفرح الصائمون لأنهم انتصرا على الأخلاق السيئة والعادات القبيحة فرمضان مدرسة للتربية الخلقية والتربية الروحية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) ([٤٥٠])

فقد صام وصامت معه جوارحه فقد كان يقع في الغيبة والنميمة فلما جاء رمضان ترك الغيبة والنميمة واستبدل مكانهم ذكر الله وتلاوة القران فهو فرح بما من الله عليه من ترك مساوئ الأخلاق

* **سادسا: ويفرح الصائمون: لأن الصوم غيرهم وبدل حالهم إلى أحسن الأحوال فالذي كان يدخن** ويشرب المحرمات دخل عليه رمضان وقد عقد العزم والنية على التخلص من تلك المحرمات وبالفعل بالعزيمة الصادقة والقوة الرمضانية استطاع أن ينتصر على تلك العادات، فكم نرى ونسمع عن أناس كانوا يدخنون فلما دخل عليهم رمضان وصهرهم في بوتقته الإيمانية تركوا التدخين فهو يفرح يومئذ بذلك الانتصار ٠٠٠٠٠٠

سابعا: ويفرح الصائم: لأنه كان في خدمة إخوانه ومساعدتهم في ذلك الشهر الكريم

فعن الحسن رحمه الله قال: (لأنْ أقضيَ حاجةَ أخٍ لي أحبُّ إلي من أن أعتكفَ سنة).

وقيل لابن المنكدر رحمه الله: (أي الأعمال أحب إليك؟ قال: إدخال الســـرور على المؤمن، وقيل: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان).

وقال الشافعي رحمه الله:

وأفضلُ الناسِ ما بينَ الورى رجلٌ تُقضى على يدهِ للناسِ حاجاتُ

---

[٤٥٠] – صحيح البخاري – (ج ٦ / ص ٤٧٢)

الدرس الثامن والعشرون

فرح الصائمين يوم القيامة

اعلم بارك الله فيك ان فرح الاخرة هو الفرح الأكبر يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقف بين يدي ربه و مولاه اسمع الى الله تعالى و هو يصف لنا مشهد من مشاهد الفرح يقول جل جلاله {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: ١٨ – ٢٤]

والمشهد المعروض هو مشهد الناجي في ذلك اليوم العصيب، وهو ينطلق في فرحة غامرة، بين الجموع الحاشدة، تملأ الفرحة جوانحه، وتغلبه على لسانه، فيهتف : { فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ } .

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: أن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–قال: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يضاعَفُ: الحسنةُ عشر أمثالها إلى سبعمائةِ ضِعْف، قال الله عزَّ وجلَّ: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يَدَع شهوتَهُ وطعامَه من أجْلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فِطْره، وفرحة عند لقاءِ ربِّه، ولَخُلُوفُ فيه أطيب عند الله من ريح المسكِ». ([٤٥١])

وفي ذلك اليوم يفرح الصائمون بصيامهم و ما اعد الله لهم فهيا لنتعرف على مواطن فرحهم

أولا : ويفرح الصائمون يوم القيامة يوم الظمأ الأكبر: عندما يأخذ الناس العطش يأتيه الصيام فيسقيه ويرويه وعندها يفرح الصائم بصومه

ويفرح الصائمون الذين اخرجوا زكاة فطرهم فطهرتم من اللغو والرفث فلما كان يوم القيامة ودنت الشمس من الرؤوس جاءت الصدقة فأظلتهم

أنه سمع عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس » أو قال : « حتى يحكم بين الناس » قال يزيد : وكان أبو الخير « لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة » « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه »([٤٥٢])

يقول المناوي (كل امرئ في ظل صدقته) يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرؤوس (حتى يقضى) لفظ رواية الحاكم حتى يفصل (بين الناس) يعني أن المتصدق يكفى المخاوف ويصير في كنف الله وستره يقال أنا في ظل فلان أي في داره وحماه أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير بها في ظل بخلق الله وإيجاده كما قيل فيه وفي نظائره المعروفة كذبح الموت ووزن الأعمال * (والله على كل شيء قدير) * وكان بعض السلف لا يأتي عليه يوم إلا تصدق ولو ببصلة أو لقمة. ([٤٥٣])

---

[٤٥١] – أخرجه أحمد (٢/٢٦٦) والدارمي (١٧٧٨) والبخاري (٩/١٧٥) ومسلم (٣/١٥٨)

[٤٥٢] – رواه احمد ح ١٦٦٩٥ المستدرك على الصحيحين للحاكم –(ج ٤ / ص ٤٦) والبيهقي ج٤ ص ١٧٧ والطبراني في الكبير ج١٢ ص ٢٤٦

[٤٥٣] – فيض القدير – (ج ٥ / ص ١٧)

ثانيا: ويفرح الصائمون إذا وجدوا أن الصيام كان من أعظم الأسباب التي جعلت بينهم وبين النار سترا وحجاب

فالصيام جنة يقي صاحبه من الذنوب والمعاصي ويقيه من النار يوم القيامة فاذا وقف العبد في ارض المحشر يوم القيامة فانه يرى انه بينه وبين النار آلاف السنين لأنه صام رمضان سنين عديدة واستمع إلى تلك البشارة النبوية

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) ([٤٥٤])

(قالَ الْحَافِظُ : الْخَرِيفُ زَمَانٌ مَعْلُومٌ مِنْ السَّنَةِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْعَامُ ، وَتَخْصِيصُ الْخَرِيفِ بِالذِّكْرِ دُونَ بَقِيَّةِ الْفُصُولِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ لِأَنَّ الْخَرِيفَ أَزْكَى الْفُصُولِ لِكَوْنِهِ يُجْنَى فِيهِ الثِّمَارُ . وَنَقَلَ الْفَاكِهَانِيُّ أَنَّ الْخَرِيفَ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَالْبُرُودَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيُبُوسَةُ دُونَ غَيْرِهِ، وَرُدَّ بِأَنَّ الرَّبِيعَ كَذَلِكَ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَرُدَّ ذِكْرُ السَّبْعِينَ لِإِرَادَةِ التَّكْثِيرِ كَثِيرًا اِنْتَهَى، ([٤٥٥])

ثالثا: ويفرح الصائمون إذا مروا على الصراط كالبرق الخاطف: وذلك لأنهم من ثلة المتقين الذين عملوا بطاعة الله على نور من الله يرجون ثواب الله وتركوا معصية الله على نور من الله يخافون عذاب الله، فأورثهم ذلك النور نورا يمرون به على الصراط

يقول الله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) (مريم)

و يقول – سبحانه– (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ

[٤٥٤] – صحيح البخاري – (ج ٩ / ص ٤٣٣)

[٤٥٥] – تحفة الأحوذي – (ج ٤ / ص ٢٩٥)

أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) (سورة الحديد)

علم علمني الله وإياك: أن للطاعة نور في وجوه أصحابها في الدنيا وفى الآخرة ويكون هذا النور بحسب الإيمان بالله والانقياد لأمره والانتهاء عن نهيه –سبحانه وتعالى –

يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعَى نورهم بين أيديهم في عَرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا مَن نوره في إبهامه يتَّقد مرة ويطفأ مرة، ورواه بن أبي حاتم وبن جرير.

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نُوره من المدينة إلى عَدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه"

وقال سفيان الثوري، عن حُصَين، عن مجاهد عن جُنَادة بن أمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم وحُلاكم، ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك. يا فلان، لا نور لك. وقرأ: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)

وقال الضحاك: ليس لأحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأي ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طُفئ نور المنافقين، فقالوا: ربنا، أتمم لنا نورنا.

وقال الحسن [في قوله] {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: على الصراط.([٤٥٦])

ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: {بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} فلله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب [محبوب]، ونجوا من كل شر ومرهوب

رابعا: ويفرح الصائمون إذا شفع لهم الصيام والقران بين يدي الرحمن

---

[٤٥٦] – تفسير ابن كثير – (ج ٨ / ص ١٥)

فإذا وقف العبد بين يدي الرب سبحانه للحساب تقدم للدفاع عنه أمام الله الصيام فيقول الله أي ربي منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه يا له من مشهد يفيض بالفرح والسرور عندما تأتي الأعمال تدافع وتشفع لصاحبها يوم القيامة لتكون حجة له أمام خالقه –سبحانه وتعالى –

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ ([٤٥٧])

قال الإمام المناوي –رحمه الله – (أي يشفعهما الله تعالى فيه ويدخله الجنة وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق (والله على كل شيء قدير) * ويحتمل أنه يوكل ملكا يقول عنهما ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل.([٤٥٨])

خامسا: ويفرح الصائمون عند الجزاء على أعمالهم :فيحاسب العبد على الصلاة والزكاة ويعطى أجره عليها الحسنة بعشر أمثالها فإذا حوسب على الصيام أعطي أجره بغير حساب ولا سابقة عذاب

، فيومئذ يفرح الصائمون،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ([٤٥٩])

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ كَشَفَتْ مَقَادِيرَ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تَضَاعَفَتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ . وَيَشْهَدُ لِهَذَا السِّيَاقِ الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى يَعْنِي رِوَايَةَ الْمُوَطَّأِ وَكَذَلِكَ رِوَايَةُ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ حَيْثُ قَالَ : كُلُّ عَمَلِ اِبْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ : إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، أَيْ أُجَازِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِمِقْدَارِهِ ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } اِنْتَهَى . وَالصَّابِرُونَ الصَّائِمُونَ فِي أَكْثَرِ الْأَقْوَالِ اِنْتَهَى مَا فِي الْفَتْحِ ([٤٦٠]).

[٤٥٧] – مسند أحمد – (ج ١٣ / ص ٣٧٥) قال الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٣٨٨٢ في صحيح الجامع .

[٤٥٨] – فيض القدير – (ج ٤ / ص ٣٣١)

[٤٥٩] – صحيح البخاري –(ج ١٨ / ص ٢٩٣ ح ٥٤٧٢

[٤٦٠] – تحفة الأحوذي – (ج ٢ / ص ٣٠٦)

الدرس التاسع والعشرون

أعمال تعدل الصيام

إخوة الإيمان معاشر الصوام اليوم حديثا عن أعمال تعدل الصوم و فهو صائم بلا صوم و قائم بلا قيام و هذا هو فضل الله تعالى على هذه الأمة أن منحهم تلك الفضائل و الخصائص ليرفع من درجاتهم و يزيد من حسناتهم و هاك بيان ذلك بحول الله تعالى وطوله :

أولا : حُسن الخُلُق: من الأعمال التي يدرك بها المسلم درجة الصائم القائم حسن الخلق عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ وَصَائِمِ النَّهَارِ » ([٤٦١])

[٤٦١] – أخرجه أحمد (٩٠/٦ ، رقم ٢٤٦٣٩) ، والحاكم (١٢٨/١ ، رقم ١٩٩) (صحيح الجامع برقم ١٦٢٠).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ السَّاهِرِ بِاللَّيْلِ الظَّامِئِ بِالْهَوَاجِرِ» ([٤٦٢])

عَنِ ابْنِ حُجَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَقُولُ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصُّوَّامِ الْقُوَّامِ بِآيَاتِ اللَّهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ» ([٤٦٣])

"ضريبته: أي طبيعته وسجيته"

ثانيا: الجهاد في سبيل الله : إخوة الإسلام و من الأعمال التي رصد له سيد الرجال صلى الله عليه و سلم — أجر الصائم القائم الجهاد في سبيل الله تعالى فعند البخاري من حديث أبي عن هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»»([٤٦٤])

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْخَاشِعِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ ([٤٦٥])

ثالثا: الرباط في سبيل اللهو من الأمور العظام التي تعدل الصوم و القيامة حماية الثغور و الرباط في سبيل الله تعالى فقد روى ابن ماجه بسَنَد حَسَن من حديث عثمان رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَن رابَط ليلَة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها» ([٤٦٦])

---

[٤٦٢] – المعجم الكبير (٧٧٠٩)، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (١٦٢١)، الصحيحة (٧٩٤).

[٤٦٣] – أخرجه أحمد (١٧٧/٢ ، رقم ٦٦٤٨) (انظر حديث رقم: ١٩٤٩ في صحيح الجامع).

[٤٦٤] –أخرجه البخاري (١٠٢٧/٣ ، رقم ٢٦٣٥) ، ومسلم (١٤٩٨/٣ ، رقم ١٨٧٨) ،

[٤٦٥] –أخرجه النسائي (١٨/٦ ، رقم ٣١٢٧) (انظر حديث رقم: ٥٨٥٠ في صحيح الجامع).

[٤٦٦] – أخرجه ابن ماجة (٢٧٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١٥).

(من رابط ليلة في سبيل الله) إخافة للعدو وحفظا للمسلمين (كانت) تلك الليلة في الأجر (كألف ليلة صيامها وقيامها) أي صيام نهارها وقيام ليلها (هـ

قال سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ، يَقُولُ: مَرَّ سَلْمَانُ بِابْنِ السِّمْطِ وَهُوَ مُرَابِطٌ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ يَا ابْنَ السِّمْطِ أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَمَنْ مَاتَ فِيهِ وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَنَمَا لَهُ عَمَلٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤٦٧)

رابعا السَّعيُ على رعايَة الأرمَلَة والمسكين: ومن الأعمال الاجتماعية التي حثنا عليها خير البرية — صلى الله عليه وسلم– و جعلها تعدل الصيام و القيام السَّعيُ على رعايَة الأرمَلَة والمسكين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ» (٤٦٨)

(الساعي) الذي يسعى ليحصل ما ينفقه على من ذكر. (الأرملة) التي مات عنها زوجها غنية كانت أم فقيرة. (المسكين) الذي ليس له من المال ما يسد حاجته. (كالمجاهد) له أجر كأجر المجاهد أو القائم الصائم]

خامسا: أجر الاستعداد ليوم الجمعة: و الأعمال ذات الثواب المضاعف التي يبلغ المسلم فيها بكل خطوة اجر سنة صيامها و قيامها الاستعداد و التبكير الى صلاة الجمعة قال أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ « مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا ». (٤٦٩).

---

٤٦٧ –(قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٤٨١ في صحيح الجامع).

٤٦٨ –أخرجه أحمد (٣٦١/٢ ، رقم ٨٧١٧) ، والبخاري (٢٠٤٧/٥ ، رقم ٥٠٣٨) ، ومسلم (٢٢٨٦/٤ ، رقم ٢٩٨٢)

٤٦٩ – أخرجه الطيالسى (ص ١٥٢ ، رقم ١١١٤) ، وأحمد (١٠٤/٤ ، رقم ١٧٠٠٢) ، وابن أبى شيبة (٤٣٣/١ ، رقم ٤٩٩٠) (قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٤٠٥ في صحيح الجامع)

سادسا: إصلاح ذات البين ومن الأعمال التي يصل بها المسلم الى درجة الصلاة و الصيام و الصدقة الإصلاح بين الناس و العمل على تأليف القلوب عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ». قَالُوا بَلَى. قَالَ «إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ ». ([٤٧٠])

الدرس الثلاثون

هل قبل صيامك وقيامك؟

الحمد لله الذي وفّق عبادَه المؤمنين لتلاوة كتابه الكريم، وفتح عليهم من حقائق المعارف ولطائف العلوم ما هداهم به إلى صراطه المستقيم. وخصهم من مواهب برِّه وإحسانه بأسنى فضله العميم، ومن على من شاء بالصدق في معاملته، والله ذو الفضل العظيم أحمده سبحانه على ما أولاه من التعليم. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله النبي الكريم. اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على الدين القويم وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

من منا يحمل هم القبول؟

أخي المسلم: من منا يحمل هم قبول الطاعات بعد هذه الأيام مَن مِنا أشغله هذا الهاجس؟

من منا أشغله هاجس هل قبلت أعماله أم لا؟

---

[٤٧٠] – أخرجه أحمد (٤٤٤/٦ ، رقم ٢٧٥٤٨) ، وأبو داود (٢٨٠/٤ ، رقم ٤٩١٩) ، والترمذى (٦٦٣/٤ ، رقم ٢٥٠٩) ، (قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٥٩٥ في صحيح الجامع).

من منا لسانه يلهج بالدعاء أن يقبل الله منه رمضان؟! إننا نقرأ ونسمع أن سلفنا الصالح كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يقبل الله منهم رمضان، ونحن لم يمض على رحيله سوى أيام فهل دعونا أم لا؟ أم أننا نسينا رمضان وغفلنا عنه وكأننا أزحنا حملاً ثقيلاً كان جاثماً على صدورنا؟! نعم.

رحل رمضان، لكن ماذا استفدنا من رمضان؟ وأين آثاره على نفوسنا وسلوكنا وأقوالنا وأفعالنا؟ هكذا حال الصالحين العاملين، فهم في رمضان صيام و قيام، وتقلب في أعمال البر والإحسان، وبعد رمضان محاسبة للنفس، وتقدير للربح والخسران، وخوف من عدم قبول الأعمال، لذا فألسنتهم تلهج بالدعاء والإلحاح بأن يقبل الله منهم رمضان.

* *قال الحسن البصري: [[المؤمن يحسن ويخاف، والمنافق يسيء ويأمن]].

وكان الصالحون يتصدقون ويصلون ويصومون وهم خائفون من الذنوب، والمنافقون يغدرون ويفجرون وهم آمنون.

* عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ ([٤٧١])

* {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ} أي والذين يعطون العطاء، وهم وجلون خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط روى الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت: يا رسول اللّه، الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف اللّه عزّ وجلّ؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصدّيق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف اللّه عزّ وجلّ» .

وقوله تعالى: أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ أي لأنهم أو من أجل أنهم.

رجاء القبول مع الخوف من الرد

وكذلك من الأمور المهمة في العبادة وتربية النفس عليها، رجاء القبول مع الخوف من الرد، فإن بعض الناس إذا عملوا أعمالاً وعبادات أصيبوا بنوع من الغرور أو الاغترار بالعبادة، وشعروا أن فيهم صلاحاً عظيماً، وأنهم صاروا من أولياء الله، ولكن المسلم يخشى ألا تقبل عبادته، فهو يجتهد ويلتزم بالسنة ومع ذلك يخشى على نفسه.

---

٤٧١ –(أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).)

ومن صفات المؤمنين: احتقار النفس أمام الواجب من حق الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد : عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلاً يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ ، مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرِمًا ، فِي مَرْضَاةِ اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَحَقِرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.)([٤٧٢])

كلها عبادة متواصلة لا نوم ولا أكل ولا شرب، كله عبادات متواصلة في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة، يعني: بجانب ما يرى من الواجب عليه في النعم وحق الله يرى أن ما عمله طيلة حياته من يوم ولد إلى يوم يموت يراه لا شيء بجانب حق الله، ولذلك لا يمكن أن يكون المسلم مغتراً بالعبادة مهما كثرت عبادته؛ لأن من عرف الله وعرف النفس، يتبين له أن ما معه من البضاعة لا يكفيه ولو جاء بعمل الثقلين، وإنما يقبله الله بكرمه وجوده وتفضله، ويثيب عليه بكرمه وجوده وتفضله.

ومن اللفتات الجليلة ما كان يقوله أبو الدرداء رضي الله عنه: [لئن أستيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها إن الله يقول: ((إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ))[المائدة:٢٧]]

حال السلف

وكان فيها خوف السلف، بكى عامر بن عبد الله حين حضرته الوفاة، فقيل له: ما يبكيك، وقد كنت وكنت؟ فقال: "إني أسمع الله يقول: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**"،

الإلحاح على الله أن يتقبل الأعمال ألحوا على ربكم أن يقبل صيامكم كما كان يفعل سلفكم، فقد كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم.

ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله عن معلَّى بن الفضل أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا إلى قول الله عز وجل: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة:٢٧]؟!) (أخرجه أبو نعيم في الحلية)،

**وقد ذكر وكيع في كتاب الزهد بسند صحيح أن ابن عمر كان يقرأ قوله تعالى: { وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } [الزمر:٤٧] فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف، وقال ابن عمر : [[يا ليت أن الله تقبل مني مثقال ذرة، فإن الله يقول: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة:٢٧]]].

قال ابن عمر : [[وددت –والله– أن الله تقبل مني مثقال ذرة، قالوا: لماذا؟ قال: يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة:٢٧] ، قالوا: أتخشى وأنت تعمل الصالحات؟ قال: والله ما أخاف من الصالحات ولكن أخاف أن أعمل صالحاً، فيقول الله: وعزتي وجلالي لا أقبلها منك .]]

---

٤٧٢ – صحيح الجامع: ٥٢٤٩ ، الصحيحة: ٤٤٦

فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: [لو أعلم لو أن لي صلاة مقبولة لاتكلت، فمن بر والديه فإن الله يتقبل عمله] قال الله تعالى في كتابه فيمن بر والديه: { أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ } [الأحقاف:١٦] فجمع لمن بر والديه بين هاتين الثمرتين قبول العمل وتكفير الخطيئة، فيقبل عمل الإنسان وتكفر خطيئته.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟! وقع عليهم الهم، وليس وقعوا في المعاصي، وكان بعض السلف يقول في آخر ليلة من رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنئه، ومن هذا المحروم فنعزيه.

علامات قبول العمل:

(١) الحسنه بعد الحسنه فإتيان المسلمون بعد رمضان بالطاعات ، والقُربات والمحافظة عليها دليل على رضى الله عن العبد ، وإذا رضى الله عن العبد وفقه إلى عمل الطاعة وترك المعصية.

٢) انشراح الصدر للعبادة والشعور بلذة الطاعة وحلاوة الإيمان ، والفرح بتقديم الخير ، حيث أن المؤمن هو الذي تسره حسنته وتسوءه سيئته .

٣) التوبة من الذنوب الماضية من أعظم العلامات الدالة على رضى الله تعالى .

٤) الخوف من عدم قبول الأعمال في هذا الشهر الكريم ! !

٥) الغيرة للدين والغضب إذا أنتُهكت حُرمات الله والعمل للإسلام بحرارة ، وبذل الجهد والمال في الدعوة إلى الله

أسباب قبول الأعمال

بعد أن رأينا كيف كان حال الأخيار من الصحابة الأبرار و التابعين الأطهار وهم يحملون هم القبول و يسعون إلى المسارعة في الخيرات و التذلل لرب الأرض و السموات حتى يقبل منهم الأعمال ، تعال لنتعرف على أسباب قبول الأعمال

أولا : الإيمان بالله تعالى

وقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) (الأنبياء : ٩٤)

أن الشرك بالله تعالى من أخطر الأعمال التي تقصي العبد عن رحمة الكبير المتعال و تجعل الأعمال كسراب يحسبه الظمآن ماء يقول الله تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)النور}

ثانيا الإخلاص لله تعالى

وهو موافقةُ العمل لسنَّةِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال –تعالى–: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾

[الأحزاب: ٣٦]، وقال اللهُ –تعالى–: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]،

ومن حديثِ أبيّ بن كعبٍ – رضي الله عنه – ، عنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((بَشِّرْ هذه الأمَّةَ بالسَّناء والرِّفْعَة والدِّين والتمكينِ في الأرض ، فمن عَمِلَ منهُم عملَ الآخرةِ للدُّنيا ، لم يكنْ له في الآخرةِ نصيبٌ))([٤٧٣])

وفي " صحيح مسلم " عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، عن النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – قال : ((يقولُ اللهُ تبارك وتعالى : أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك ، مَنْ عَمِل عملاً أشركَ فيه معي غيري ، تركته وشريكَه)) ([٤٧٤])،

ثالثا: الاتباع

لأن من شروط الانتفاع بالسعي والعمل أن يكون موافقاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مبتدع ولا مبدل ، ومن أوضح الأدلة في أن تخلف المتابعة عن العمل يمنع من الانتفاع به عند الله عز وجل عَائِشَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ([٤٧٥])، ومن هنا وجب الحذر من الابتداع والتعبد لله عز وجل بما لم يأذن به سبحانه أو يشرعه رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن التفريط في ذلك يضيع على العبد سعيه وعمله ولو كان صاحبه مخلصاً لله فيه مريداً منه الدار الآخرة ؛ لأن قبول العمل عند الله عز وجل مقيد بالشروط السالفة الذكر مجتمعة كلها في العمل ؛ فلو تخلف واحد منها بطل العمل وحِيلَ بين صاحبه وبين الانتفاع منه

معصية الله في الخلوات

و اعلم علمني الله و إياك أن من أسباب عدم الانتفاع بالأعمال و ردها على صاحبها انتهاك محارم الله تعلى في الخلوات عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا» ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» ([٤٧٦])

ضعف مراقبة الله في الخلوات

---

٤٧٣ – أخرجه أحمد (١٣٤/٥ ، رقم ٢١٢٥٨) انظر صحيح الجامع: ٢٨٢٥، صحيح الترغيب والترهيب: ٢٣

٤٧٤ – أخرجه مسلم (٢٢٨٩/٤ ، رقم ٢٩٨٥) ، وابن ماجه (١٤٠٥/٢ ، رقم ٤٢٠٢)

٤٧٥ – أخرجه أحمد (١٤٦/٦ ، رقم ٢٥١٧١) ، ومسلم (١٣٤٣/٣ ، رقم ١٧١٨)

٤٧٦ – أخرجه ابن ماجه (١٤١٨/٢ ، رقم ٤٢٤٥) صحيح الجامع: ٧١٧٤ ، الصحيحة: ٥٠٥

قال محذراً بلال بن سعد رحمه الله " لا تكن ولياً لله في العلانية وعدواً له في السر "

* {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: ١٤]: –

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلــوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفــل ساعة ولا أن مـا يخفـى علـيه يغيب

(يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا)– [النساء/١٠٨] إذا خلو بالمعاصي بين الحيطان والجدران ارتكبوها وفعلوها ولا يبالون بنظر الله عز وجل لهم ولا بإطلاع الله تبارك وتعالى إليهم .

المَنُّ الأعمال

اعلم زادك الله علما: أن من موانع قبول الأعمال المن بها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) البقرة}

يأيها المؤمنون لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيكون مثلكم كمثل المنافق الذي ينفق ماله من أجل الرياء لا من أجل رضا الله ، وإن مثل هذا المنافق في انكشاف أمره وعدم انتفاعه بما ينفقه رياء وحباً للهور مثل حجر أملس لا ينبت شيئاً ولكن عليه قليل من التراب الموهم للناظر إليه أنه منتج فنزل المطر الشديد فأزال ما عليه من تراب ، فانكشف حقيقته وتبين للناظر إليه أنه حجر أملس صلد لا يصلح لإنبات أي شيء عليه .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا ولد زنية". ([٤٧٧])

الشحناء والعداوة والبغضاء

أخي المسلم: ومما يمنع من قبول الأعمال العداوة والشحناء الذي يوغر الصدور ويشعل بين الطرفين الحقد والحسد فلا يرفع للمتخاصمين عملا حتى يصطلحا

عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا " ([٤٧٨])

---

٤٧٧ – أخرجه أحمد (٢/٢٠١) (٦٨٨٢)

٤٧٨ – أخرجه أحمد (٢/٤٠٠ ، رقم ٩١٨٨) ، ومسلم (٤/١٩٨٧ ، رقم ٢٥٦٥)

نبذة عن المؤلف

الاسم /السيد مراد عبد العزيز سلامة

الوظيفة/ إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية على درجة كبير أئمة

العنوان: فرنوى – شبراخيت– بحيرة – مصر

موبايل: ٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨

البريد الإلكتروني: hamam4111@gmail.com

الإنتاج العلمي

طبع ونشر له مصنفات عبر دور النشر المصرية منها:

دار الإيمان بالإسكندرية

١–اللامبالاة في حياة الفرد والمجتمع

٢–صور مشرقة من الثبات على الإيمان

٣–صور من وصايا الأنبياء والعلماء عند الموت

٤–عشر محاولات لاغتيال النبي صلى الله وسلم

– دار العالمية بالإسكندرية و وقد أصدرت لي عدة كتب

٥–فكرة المؤامرة عقيدة وحقيقة لا خيال

٦–تبصرة الموحدين بخيانات الشيعة على الإسلام والمسلمين

٧–تذكرة النفوس الأربعة بالأخطار

٨–أخطاؤنا في تربية الأبناء

٩–الخطب والمواعظ الباهرة في ذكر الموت وأهوال المقبرة

١٠–الالئ الحسان من أوصاف شهر رمضان

–دار ابن رجب وقد أصدرت لي عدة كتب

١١–تشنيف الآذان بأحكام وآداب الأذان

١٢–الشيطان كأنك تراه

١٣–فوائد الزواج وأسرار السعادة الزوجية

١٤لماذا نصوم رمضان

١٥ يومئذ يفرح الصائمون

١٦–أخطاؤنا في تربية الأبناء

دار التقوى

*١٧ تحفة الواعظ للخطب والمواعظ

١٨ أنبياء وعلماء وقضاة خلف القضبان

المكتبة المرادية

المكتبة المرادية (وكل هذه الكتب موجودة على صفحتي على موقع الالوكة و كذلك صفحتي على موقع صيد الفوائد لمن أراد تحميلها)

١٩–كشف اللثام عن حقيقة وحكم الأضراب والمظاهرات والاعتصام

٢٠–متن الأربعين المرادية

٢١–العهد القديم والإرهاب العالمي مقارنة برحمة الإسلام وعدله

٢٢–متن الأربعين الشتوية من أحاديث خير البرية

٢٣–الأربعون النورانية في وصف صفوة البشرية

٢٤–مشكاة المصابيح لجلسة صلاة التراويح

٢٥–الركائز في بيان أسرار وآداب الجنائز

٢٦–الدرر البهية من المقدمات المنبرية

٢٧–الأربعون التيسيرية من سنة خير البرية

٢٨–إشراق المصابيح لجلسة صلاة التراويح

٢٩–السراج الوهاج من عبر الإسراء و المعراج

٣٠–تحفة الأنام بفتاوى شهر رجب الحرام

٣١–مفاتيح النجاح العشرة

٣٢–مؤذنو رسول الله – صلى الله عليه وسلم–

٣٣–العناية الربانية بصفوة البشرية صلى الله عليه وسلم–

٣٤–أسباب الغلاء و قلة البركة من منظور الشرع

٣٥–هجرة القلوب إلى علام الغيوب

٣٦–فتح الكبير المتعال بالأحاديث الطوال

٣٧–التجلية في بيان معاني وأسرار وأحكام التلبية

٣٨–الأربعون البرزخية

٣٩–الأربعون البلدانية

٤٠–التسعون العلية من أسماء الذات الإلهية

٤١–الأربعون النبوية لمغفرة خطايا الإنسانية

٤٢–إسراج المصابيح لجلسة صلاة التراويح

٤٣–الأربعون الرمضانية من أحاديث خير البرية

٤٤–رد القوي المتين على من سب أو عاب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

٤٥–متن الأربعين من أهوال يوم الدين

٤٦–النسمات المباركات من مقدمات المناسبات

٤٧–الدرر البهية من المقدمات المنبرية

٤٨–مشكاة المصابيح لجلسة صلاة التراويح

٤٩–المشكاة في بيان آداب وأحكام اصطحاب الأطفال إلى الصلاة

٥٠–الأربعون النورانية في وصف صفوة البشرية

٥١–هزة غزة هزة إيمان واعتقاد وعزة

المخطوط

ويوجد ما يقرب من خمسين مصنفا لم يتم طبعها منها:

* النسوة يسألن والنبي يجيب
* الجامع لأسباب الموانع
* حرص السلف وتفريط الخلف
* الفوز والفائزون في القران الكريم
* الدر المنضود في الإصلاح والتغيير المنشود
* ٥٠٠ وصية من وصايا الأنبياء والعلماء لأبنائهم
* رحلة الشيطان مع بني الإنسان من البداية حتى النهاية
* العقد الثمين من درر اليقين
* شرح الأربعين المرادية
* السيل العرمرم من خصائص وفضائل ماء زمزم
* قصص الشيطان مع الأنبياء والصالحين
* الصواعق الربانية للقضاء على فوضى البلطجية
* خلفاء وملوك ورؤساء خلف القضبان
* ديوان لحن الخلود في الشهادة والشهيد
* رسالة عاجلة إلى من فاته الحج
* ألف ليلة وليلة من ليالي الأنبياء والعلماء والخلفاء

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

كاتب في كثير من المواقع الإسلامية منها :

موقع الالوكة

موقع صيد الفوائد

موقع ملتقى الخطباء

موقع المكتبة العربية

موقع المشكاة

الفهرس

المقدمة ٢

الفصل الأول: الوصايا الغراء للإمام في رمضان ٥

الفصل الثاني ثلاثون ترويحة دروس وعبر ١٠

الليلة الأولى: وجاء الفرج في رمضان ١٢

الليلة الثانية: يعذبني الله على الصلاة !! ١٥

الليلة الثالثة: حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون ١٨

الليلة الرابعة: يرحمك الله –هو ابنها ٢٠

الليلة الخامسة: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعهم بعضا" ٢١

الليلة السادسة: الطفل الداعية ٢٣

الليلة السابعة: لأغلبن الليلة على المقام.....٢٥

الليلة الثامنة :أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر ٢٧

الليلة التاسعة: فضل الله.....٢٩

الليلة العاشرة: طاعة الأشجار للنبي المختار–صلى الله عليه وسلم–.....٣٢

الليلة الحادية عشر: تبني للخراب وتعمر للفناء ٣٤

الليلة الثانية عشر: ليت شعري من غرني بك يا رياح.....٣٧

الليلة الثالثة عشر: فقه الأوليات دليل على صلاح البدايات.....٣٩

الليلة الرابعة عشر: غرور المتعبدين.....٤١

الليلة الخامسة عشر: من الحـر أفـر.....٤٢

الليلة السادسة عشر: رمضان مضمار سباق.....٤٤

الليلة السابعة عشر: كما تدين تدان.....٤٦

الليلة الثامنة عشر: احفظ الله يحفظك ٤٨

الليلة التاسعة عشر: حفظ الله تعالى لمال عبده.....٥١

الليلة العشرون: عيش السعداء.....٥٣

الليلة الحادية والعشرون: الهدف من العبادة التهذيب لا التعذيب.....٥٥

الليلة الثانية والعشرون: لقمة بلقمة.....٥٧

الليلة الثالثة والعشرون: وما أدراك ما العقبة.....٥٩

الليلة الرابعة والعشرون: تلك الملائكة دنت لصوتك.....٦٠

الليلة الخامسة والعشرون: لا تدعوا على أولادكم.....٦٣

الليلة السادسة والعشرون: هل أصابتك حسرة فوات العلم؟ ٦٥

الليلة السابعة والعشرون: الرضا جنة السالكين.....٦٧

الليلة الثامنة والعشرون: رب لا تضيع عنده المظالم.....٦٨

الليلة التاسعة والعشرون: يا من شغله ماله عن صلاته.....٧٠

الليلة الثلاثون: ليل الصادقين.....٧٢

الفصل الثالث ثلاثون درسا ٧٣

الدرس الأول: رمضان شهر الترويح.....٧٣

الدرس الثاني: سنن خير الأنام في الصيام ٧٩

الدرس الثالث: رمضان شهر الصوم.....٨٣

الدرس الرابع: لماذا نصوم رمضان.....٨٩

الدرس الخامس: رمضان شهر التقوى.....٩٤

الدرس السادس: شرف التقوى ومنزلتها.....١٠٣

الدرس السابع: رمضان شهر القرآن ١٠٧

الدرس الثامن: التبيان في بيان حقوق القران (١) ١١٢

الدرس التاسع: التبيان في بيان حقوق القران (٢) ١١٨

الدرس العاشر: رمضان شهر التوبة.....١٢٥

الدرس الحادي عشر: فضائل التوبة.....١٣٥

الدرس الثاني عشر: رمضانُ. شهرُ الغفران.....١٣٩

الدرس الثالث عشر: رمضان شهر الكرم والجود.....١٤٣

الدرس الرابع عشر: صور من جود وكرم الصَّحابة–رضي الله عنهم أجمعين.....١٤٩

الدرس الخامس عشر: رمضان شهر المواساة.....١٥٣

الدرس السادس عشر: معجزات ودروس غزوة بدر ١٥٧
الدرس السابع عشر: رمضان شهر العتق من النار..... ١٦٥
الدرس الثامن عشر: الطريق إلى العتق من النار..... ١٦٩
الدرس التاسع عشر: رمضان شهر الجنة..... ١٧٧
الدرس العشرون: العشر الأواخر من رمضان سلوك وتربية..... ١٨٥
الدرس الحادي والعشرون: عشر: مضان شهر الانتصارات..... ١٩٣
الدرس الثاني والعشرون: رمضان شهر الرحمة..... ٢٠٠
الدرس الثالث والعشرون: كيف تنال رحمة الله..... ٢٠٤
الدرس الرابع والعشرون: رمضان شهر الاعتكاف..... ٢٠٨
الدرس الخامس والعشرون: أعمال تعدل الجهاد في سبيل الله ٢١٧
الدرس السادس والعشرون: رمضان شهر الزكاة..... ٢٢٠
الدرس السابع والعشرون: رمضان شهر الفرح..... ٢٢٩
الدرس الثامن والعشرون: فرح الصائمين يوم القيامة..... ٢٣٣
الدرس التاسع والعشرون: أعمال تعدل الصيام..... ٢٣٩
الدرس الثلاثون: هل قبل صيامك وقيامك؟ ٢٤٢
نبذة عن المؤلف..... ٢٤٨
الفهرس ٢٥٢